محاضرات

في

تاريخ الكتب والمكتبات

جمـــع واعـــداد

د. ياسر رجب على سليمان

قسم المكتبات وتكنولوجيا المعلومات

كلية الآداب

العام الجامعي

2021 /2022م

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب بقنا

الفرقة: الأولي

التخصص: المكتبات وتكنولوجيا المعلومات.

اسم المقرر: تاريخ الكتب والمكتبات

كود المقرر: 113 مك

الفصل الدراسي الأول (فصل الخريف)

تاريخ النشر:2021م

عدد الصفحات: (210 ص).

الإعداد: د. ياسر رجب علي سليمان

عدد الساعات التدريسية: (3) ساعات.

قائمة الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	5-4
تاريخ إملاء وتدوين الكتاب في الحضارة العربية	49-8
تدوين وتأليف الكتاب في العصور الوسطي.	61-50
إصلاح وتصحيح الكتب في الحضارة العربية.	90-62
اعارة الكتب الشخصية في الحضارة العربية.	115-91
بيع وتجارة الكتب في الحضارة العربية.	146-116
انتحال الكتب في الحضارة العربية	162-147
تاريخ المكتبات الوطنية	184-163
تاريخ المكتبات في أوربا في العصور الوسطى	197-185
تاريخ مكتبة الإسكندرية القديمة	204-198

مقدمـــة:

يبدأ الكتاب المقرر لدراسة تاريخ الكتاب والمكتبات بدراسة تاريخ الكتب باعتبار الكتب هي أحد الروافد الأساسية لأي حضارة ،فقد حرص علي تناولها من جوانب عدة ، ومما لاشك فيه أن الكُتب في الحضارة العربية مرت بعدة مراحل، ولذا أحاول أن أستهل الدراسة بواقع دراسة طرق ووسائل إملاء الكتب وتدوينها ابان الحضارة العربية، ثم يعرض الكتاب المقرر للدراسة لوسائل تدوين وتأليف الكتاب في الحضارة العربية و قد جرت العادة أنه بعد الفراغ من إملاء الكتب وتدوينها يتم الدفع بها الي أسواق الوراقة والوراقين، فتخضع لعمليات العرض والطلب، بيعاً وشراءً ،وهنا تبدو مهمة " دلاّل الكتب " ودوره في الدِلالة علي الكتب ،ولاسيما القيمةُ والنادرةُ منها ، وبعدما يتلقفها العلماء فيطالعون هذه الكتب ،ويبدؤون في إعارتها وتداولها فيما بينهم وبين طلاب العلم ،وبعد فحصهم الدقيق لموضوعاتها ومحتوياتها ،تقع أيديهم – خصوصاً ذوي الخبرة منهم - علي ما يعتري هذه الكتب من أخطاء أو خَلل ،فينهضوا بإصلاحها وتصحيحها لذا يهتم الكتاب المقرر للمنهج الدراسي بموضوع إصلاح وتصحيح الكتب في الحضارة العربية وبيان مناهج العلماء في اصلاح وتصحيح الأخطاء الموضوعية والشكلية والمنهجية في الكتب حتي يتم دفعها بصورة صحيحة لأسواق الوراقة والوراقين وبيعها لمن يريد اقتنائها من العلماء وطلاب العلم ويختتم الكتاب المقرر بعرض تاريخ ونماذج للمكتبات الوطنية.

المحتوي

الفصل الأول

تاريخ إملاء وتدوين الكتاب في الحضارة العربية

تمهيـــد:

بدأ الإملاء أثناء البواكير الأولي للإسلام ، وتطور حتى ظهر في شكل مجالس صغيرة ، ومع اتساع رقعة الحضارة العربية تحولت إلى مجالس كبيرة، قصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب ، وأضحى لمجالس الإملاء طقوس ومراسم بعينها ، وكان من ثمرتها ظهور كُتب الأمالي، وتباينت نُسخ كتب الأمالي نظراً لظروف وعوامل كثيرة ، كما تنوعت طرق تنظيمها وفقاً لنهج الأستاذ أو العالم أو الشيخ ، وتعد ظاهرة الأمالي إحدى ظواهر العلم التي تميزت بها الحضارة العربية دون غيرها من الحضارات الأخرى ،والتي ساهمت بدورها في إثراء الحياة العلمية والفكرية والثقافية ، من خلال ما نتج عنها من كتب ومؤلفات ذات فوائد وأهمية واضحة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، ومصدراً من مصادر المعلومات التي تحظى باهتمام الدارسين والباحثين في المعاهد والجامعات.

يرتبط تطور المعرفة البشرية والارتقاء بها على ما قدمه الأوائل من علوم معارف أملوها على طلابهم وتلاميذهم، ولأن الإملاء وما نتج عنه من مدونات وكتب عُرفت بـــ " الأمالى" والتي تعد أحد الركائز الأساسية في مجتمع المعرفة خلال العصور التي ظهرت فيها، كما أنها أحد الروافد الأساسية التي أسهمت في التكوين العلمي والمعرفي للدارسين وطلاب العلم، ولأن كتب الأمالى كانت تقف جنباً إلى جنب مع روافد الثقافة الأخرى المتاحة آنذاك، فضلاً عن دورها في اكتساب العلوم والمعرفة السائدة، حيث تضمنت علوم وفنون شتى.

ترجع أهمية التعرف على ظاهرة إملاء وتدوين الكتب في الحضارة العربية إلى سببين رئيسيين هما:

1-أهمية الإملاء ومجالس الإملاء وكتب الأمالي ودورها في الحياة العلمية والتعليمية عند المسلمين، بالإضافة إلى دورها في حفظ التراث الفكري المتاح لديهم آنذاك، فضلاً عن أنها ساهمت كثيراً في كشف جوانب متعددة في الحضارة الإسلامية.

2-أن موضوع الإملاء ومجالس الإملاء وكتب الأمالى لم يحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات البحثية، لذا كان من الضروري دراستها وتحديد معالمها وأهميتها وتنظيمها ودورها في التأريخ الفكري والعلمي عند العلماء والمؤلفين.

تركز دراسة ظاهرة إملاء وتدوين الكتب لدي العلماء والمؤلفين، بغض النظر عن الموضوعات التي تشتمل عليها سواء كانت تتعلق بعلوم القرآن أو الحديث أو اللغة أو النحو أو الشعر .... الخ. إذ ليس الغرض من الدراسة إعداد حصر شامل لكتب الأمالى ولكن دراستها للوقوف على ملامحها ومميزاتها وموضوعاتها والمنهج المتبع فيها.

كما ركز الباحث علي دراسة كتب الأمالى التي ظهرت بدءاً من القرن الرابع الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، أي أن الدراسة تشمل فترة زمنية تقدر بعشرة قرون من عمر الحضارة العربية، مع انتقاء مجموعة من كتب الأمالى التي تُغطى هذه الفترة الزمنية.

كما يؤكد الباحث علي أنه سيتناول مجالس الإملاء وكتب الأمالى في الحضارة العربية بشكل عام، بغض النظر عن مكان ظهورها وانتشارها، سواء في بلاد المشرق أو بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، بغرض الخروج بصورة تغطى كافة جوانب موضوع إملاء وتدوين الكتب لدي العلماء والمؤلفين.

الحفظ والرواية لدي العلماء والمؤلفين:

كان للحفظ والرواية أهمية بالغة في تحصيل العلوم والمعارف، وإن كان البعض يحض على استخدام الكتابة والتدوين كوسيلة للحفظ، فإذا أتم ما أراد محي كل ما كتبه أو دونه في صحيفته، حتى أن عاصم بن حمزة (ت 156هـ) كان يسمع الحديث فيكتبه، فإذا حفظه دعا بمقرض فقرضه[1][2] ، كما ظن أحد العلماء أن تلميذه يدون حديثه ، فسأله : يا بني أتكتب حديثي ؟ قال " نعم " قال : جئني به ، فنظر فيه فمحاه ، وقال يا بني احفظ كما حفظتُ "[3] ليبقى العلم حياً في الذاكرة ، دون أن يتم رصده في كتبهم ومصنفاتهم . إذ أن الشك في الكلمة المدونة وعدم الثقة بها يفسر لنا ولو جزئياً إيثار الناس للتعلم الشفوي علي العلم الذي يحصله الطالب من الصحيفة أو الكتاب "[4]، وكانت العقيدة الراسخة في أذهانهم أن الحفظ ليس أهم من التدوين والكتابة فقط بل أهم من جمع الكتب ذاتها، وظهر ذلك في أشعارهم ومنه قول محمد بن بشير، ناصحاً طلاب العلم :[5]

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

ومن الثابت تاريخياً أن المسلمين الأوائل كرهوا تدوين وكتابة العلم لأن النبي صلي الله عليه وسلم نهي عن ذلك في البداية ، فضلاً عن الاعتقاد السائد – آنذاك – بأن التدوين يؤدي إلى ترك الحفظ ، كما أن الكتاب أكثر عرضة للزيادة والنقصان والتغيير والتحريف بعكس الحفظ ،ولكن مع مرور الزمن وكثرة الفتوحات الإسلامية زادت حاجتهم إلى التدوين ،وكان علي التلميذ أو طالب العلم أن يكتب ويدون كل ما يتعلمه علي اعتبار أن ذلك أضبط وأقوم له علي الدراسة والتحصيل ، فقد كان أبو سعيد بن الأعرابي (ت231هـ) يُدون ويكتب كل ما يتحدث به معلمه[6] ويقول أحد طلاب العلم " كنت عند بعض العلماء ، فكنت أكتب عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال لي : أكتب كل ما تسمع فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض"[7] ، وسرعان ما انتقل الاهتمام بالتدوين والكتابة في مجالس العلم والإملاء ، كما كان العلماء يحضون التلاميذ والطلاب على الكتابة والتدوين أثناء مجالس الإملاء .

وعلى أية حال فإنه وبالرغم من أهمية الحفظ في دراسة وتحصيل العلوم عند المسلمين إلا أن الحضارة العربية كغيرها من الحضارات الأخرى قامت على الكلمة المدونة، فقد تعددت وتنوعت العلوم والمعارف، وأدرك العلماء والمؤلفين أن نقل وتحصيل هذه العلوم والمعارف لن يتم عن طريق الحفظ فقط وإنما بالكتابة والتدوين أيضاً، فاهتموا بإملاء العلوم والمعارف على طلابهم وعقدوا لذلك الحلقات والمجالس العلمية، والتي تمثل إنتاجها الفكري في كتب ومؤلفات عُرفت بـــ " كتب الأمـالى ".

ثانياً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للأمالى:

1-المعني اللغوي لإملاء الكتب

الأمالي جمع إملاء أو جمع أُملية قياساً على كلمة الأغاني وهي جمع لكلمة أُغنية، وكلمة الأحاجي، وهي جمع لكلمة أحجية، وكلمة الأضاحي وهي جمع لكلمة أضحية ... الخ، وقد ذكر صاحب لسان العرب في فصل الميم "ملا " أن كلمة أمليت والإملاء والإملال علي الكاتب واحد، وأمليت الكتاب، وأملي وأمللته أمله لغتان جيدتان جاء بهما القرآن. واستملته الكتاب: سألته أن يمليه على "[8]، وكذلك أشار صاحب القاموس المحيط إلى أن أمليته الكتاب: أمللته، واستملاه سأله الإملاء.[9]

المعني الاصطلاحي:

أما الأمالي اصطلاحا فهي كما ذكرها صاحب كشف الظنون حاجي خليفة " أن يقعد العالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، فيتكلم بما فتح الله سبحانه وتعالي عليه من العلم ويكتبه التلاميذ فتصير كتاباً، يسمونه الإملاء أو الأمالي، وكذلك كان أهل السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرهم في علومهم "[10] على اعتبار أن مصطلح الإملاء أو الأمالى كانت تُطلق على هذه النوعية من المؤلفات والمصنفات أياً كانت الموضوعات المختلفة والمسائل المتفرقة التي تشتمل عليها.

ويمكن القول بأن الأمالي هي: المادة العلمية التي يلقيها الشيخ أو الأستاذ علي الطلاب والتلاميذ الموجودين بمجلسه، فيدونون كل ما يُحِدث به الشيخ أو الأستاذ من علوم وأخبار وروايات .... الخ، سواء كان في إطار الموضوع الأصلي الذي بدأ به مجلس الإملاء أو تَعَرض لموضوعات أخرى لها صلة بالموضوع الأصلي من قريب أو من بعيد، ويحمل الطلاب معهم عتادهم للنسخ والتدوين؛ من أقلام وأحبار وكراريس وقراطيس، وهذه العملية أشبه بما يفعله المعلم في مدرسته والأستاذ في جامعته حينما يُملى على تلاميذه أو طلابه شيئاً من العلم أثناء الدرس أو المحاضرة، أي أن الأمالي اسم يطلق على كل ما يُملي في أي علم من العلوم أو فن من الفنون. وأن كتب الأمالى هي نتاج لمجالس الإملاء.

ثالثاً: الفرق بين مجالس الإملاء ومجالس الرواية:

دار جدل كبير حول الفرق بين مجالس الإملاء ومجالس الرواية علي الرغم من أن كل منهما يعد مظهراً لما كان يدور من تدوين لأقوال العلماء والشيوخ المتصدرين للتعليم التدريس ؛ فقد رأي بعضهم أن الأمالى هي ما يمليها الشيخ أو من ينوب عنه – في حضوره - فيتلقفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم وكراريسهم ،وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يُمليه على الطلاب من علوم ومعارف ،أما مجالس العلماء ففيها يلقي الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه و يُسأل عن بعض المسائل فيجيب عنها ،ويتم تدوين كل ما يقع في كل مجلس على حدة فيما يُعرف باسم "مجلس أو مجالس "[11] و يري البعض الآخر أنه لا يوجد فرق كبير بين كل منهما فلقد كان الطلاب يجلسون على هيئة حلقة حول أستاذهم وبين أيديهم الأقلام والمحابر والدفاتر والكراريس ،يحسنون الاستماع ويقيدون ما يجري علي لسان أستاذهم ،فإذا جُمعت هذه الأمالى لكي

تصدر في شكل كتاب كان لزاماً عليهم إما أن تُعرض علي الأستاذ أو يقوم علي مراجعتها بعض النابهين من تلامذته ، الذين يقومون بروايتها منسوبة اليه .[12]

ورغم الخلط الذي ساد بين كلاً من اللفظين ، إلا أن الباحث يؤيد الرأي الأخير ويؤكد علي ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي أن هذه المجالس عرفت- عموماً – باسم " مجالس الإملاء " وتختلف اختلافا واضحاً عن ما عُرف بـــ " مجالس الرواية " ، ففي الأولي " مجالس الإملاء " لم تكن المادة العلمية جاهزة من قبل الشيخ أو الأستاذ في معظم الأحوال ، سواء كانت من فكره أو من فكر غيره ،أو أملاها من كتاب أو أملاها من حفظه ، ولذا تنوعت موضوعاتها ومسائلها ، لكن مجالس الرواية كانت تُعد مسبقاً ، ومن ثم ركزت علي موضوع بعينه لم تحد عنه خلال المجلس الواحد في معظم الأحيان فيدون كل مجلس على حدة ،بالإضافة إلى أن المادة العلمية في الأولى عرف بالأمالى ،بينما عرفت المادية العلمية في الثانية بعناوينها وموضوعاتها المتنوعة فيقال مجلس فلان ، بالإضافة إلى ارتباط تسمية هذه المجالس بالرواية في علم الحديث أو الرواية أكثر من غيرها ، حيث كان من الضروري أن يقوم الشيخ بالسرد الصحيح للروايات المتواترة بالأسانيد الصحيحة والثابتة .

رابعاً: ظهور وانتشار كتب الأمالي:

ظهر الإملاء منذ عصر النبوة ، فقد شكا أحدهم سوء الحفظ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم" استعن على حفظك بيمينك "[13] كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُملى وعلى ابن أبى طالب رضي الله عنه يكتب [14] ، ومع زيادة الفتوحات الإسلامية والتوسع في النقل والترجمة من ثقافات الآخرين ، بدأت مجالس الإملاء في الانتشار وزادت أعداد الحاضرين فيها حتى أنها كانت تُعد بالآلاف ، وكان يحضرها طلاب العلم من كل مكان ، ومن شدة أهميتها عند المسلمين حرص بعض الخلفاء والأمراء والحكام والوزراء على حضورها ، فقد حضر الخليفة المأمون مجلس الحافظ سليمان الواشحى البصري (ت224هـ) .[15]

وبدأ انتشار كتب الأمالى مع انتشار حلقات ومجالس الإملاء بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم حتى أصبحت ظاهرة عامة في دراسة وتحصيل العلوم والمعارف المختلفة ،فمن يطالع ببليوجرافيات التأريخ

الفكري عند العلماء والمؤلفين يجد مؤلفات وكتب عديدة تحت عنوان " الأمالي " ،فقد أحصي صاحب ببليوجرافية " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ما يقرب من سبع وستين كتاباً كلها بعنوان " الأمالى "[16] وإن كان عددها الفعلي يزيد عن ذلك بكثير ، كما فاضت كتب التراجم العامة والمتخصصة بالحديث عن كتب الأمالى ضمن مؤلفات من ترجمت لهم من العلماء والمؤلفين ، كما ذكر القفطي في ترجمة سعيد بن محمد الخرساني النحوي أن له مؤلفات كثيرة ومنها كتاب الأمالى ... وله مع أبى عبد الله المعلم مسائل برز فيها ، وظهرت حجته فيها ثم أملاها على أصحابه و أسماها المجالس .[17]

وبالرغم من الإرهاصات الأولى لإنشاء وتأسيس المدارس خلال القرن الرابع الهجري ، وان كان الفضل في ظهورها بشكل رسمي وكمنشآت عامة يرجع إلى الوزير نظام الملك ، حيث أنشأ العديد من المدارس في نيسابور خلال منتصف القرن الخامس الهجري ، ثم ما لبثت أن انتشرت في ربوع الحضارة العربية ، ورغم ذلك ظل الإملاء ومجالس الإملاء في ازدياد مستمر ، حيث أقبل عليها طلاب العلم بمختلف أعمارهم واهتماماتهم العلمية والتعليمية ، وذلك مع غزارة الإنتاج الفكري في شتى العلوم والفنون نتيجة تشجيع الخلفاء والأمراء والحكام على العلم والتعلم وتهيئة الظروف المطلوبة لذلك ، فضلاً عن كثرة المناظرات العلمية ودروس العلم ، بالإضافة الي الاهتمام بالنقل والترجمة من ثقافات وعلوم الأمم الأخرى . وظلت كتب الأمالى منتشرة بين العلماء والمؤلفين وتداولها الطلاب والدارسين في بلاد المشرق والمغرب والأندلس، منها ما وصل الينا ومنها ما لم يصل نتيجة عوامل عديدة تعرضت لها بلاد المسلمين، داخلياً وخارجياً خلال تاريخها الطويل.

ومن المؤكد أنه تعددت أغراض كتب الأمالى فظهر بعضها بغرض التعليم أو نشر العلم والمعرفة في شتي ربوع الحضارة العربية، وقد يكون الغرض من تأليف وإعداد كتاب الأمالى تلبية طلب أحد الأشخاص، مثلما كتب عمر بن بكر إلى الفراء (ت 178هـ) أن الأمير الحسن سهل السرخسي (ت 131هـ) وزير المأمون لا يزال يسأله عن أشياء من القرآن لا يحضره جواب عنها فلبى الفراء طلبه وطلب من أصحابه أن يجتمعوا حتى يُملى علهم كتاباً سماه " معاني القرآن " بلغ عدد أوراقه نحو ألف ورقة.[18]

ولأن بعض أصحاب كتب الأمالى حرص على تحصيل العلم والمعرفة ولازم العلماء فترة طويلة ومن ثم أراد أن يكون الغرض من أماليه أن يفيد من يقدر قيمة العم والمعرفة وأن يحبسها عن غيرهم ، ولم يقصد

بها الشهرة أو خلافه [19]، وقد يكون الغرض الأساسي من كتب الأمالى هو تبسيط العلم للتلاميذ والطلاب والخروج بكتاب صغير الحجم إلى حد ما ، يحوي علم غزير كما فعل عبد الله بن الحسن العكبري(ت 616هـ) في كتابه " إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن "[20] وهو ما عُرف فيما بعد بـ " أمالى العكبري ".

وهناك من أصحاب كتب الأمالى من قصد بها وجه الله تعالى خالصا، فكتاب الأمالي للشهاب الدين الخفاجي (ت1069هـ) أراد له أن يكون من أفضل كتب الأمالى حيث أودعها -كما قال - " مالا يبلى على مر الحقب ، وهل يصدأ مكنون الذهب مما أرجو أن يظن على أُذن الدهر الأصم ويخصب له نادي القبول ، وإن كان قد أجدب عن الكرم فإنها خالصة لوجهه الكريم وهو الفياض ذو الجود ".[21]

خامساً: عناصر مجالس الأمالي:

تبين للباحث أن ظاهرة الأمالى عند العلماء والمؤلفين وطلاب العلم خلال الحضارة العربية قامت على خمسة عناصر أساسية هي: -

العنصر الأول: الشيخ أو الأستاذ.

العنصر الثاني: الطلاب والتلاميذ.

العنصر الثالث: المادة العلمية.

العنصر الرابع: مكان الإملاء.

العنصر الخامس: موعد وزمان الإملاء.

وفيما يلي عرض مفصل لكل عنصر منها:

1-الشيخ أو الأستاذ:

تمتع الشيوخ والأساتذة في المجتمع الإسلامي بمنزلة لا تدانيها منزلة ومقام لا يعلوه مقام، وحرص طلاب العلم وغيرهم على إكرام العلماء وتعظيم حرماتهم فضلاً عن التحذير من التعرض لهم بالأذى أو حتى الانتقاص من مكانتهم [22] فكان يحظى بجُل الأدب والتوقير، وكلما علىَ شأن الأستاذ وكان حجةً في علمه كلما ازداد الإجلال والتوقير له داخل المجتمع بوجه عام، وبين أوساط العلماء وطلاب العلم بوجه خاص.

اشترط العلماء والمؤلفين أن يكون الشيخ أو الأستاذ ثقة وعدلاً ،وأن لا يتصدى للتدريس إذا لم يكن أهلاً له لأن " من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه "[23] وأن يبرهن علي كفاءته أمام من يحضر مجلسه ،فإذا نجح وأصاب ، كان له أن يستمر في الإملاء ،فلم يكن هناك ما يمنع من استمرارهم ما داموا قادرين على ذلك ، ولم يُشترط وجود درجة علمية أو شهادة أكاديمية كي يتصدى للتعليم والإملاء ، ولا حتى حصولهم علي ترخيص لعقد المجالس بالمساجد والجوامع ، باستثناء بعض الجوامع الكبرى التي كانت تفرض وجود ترخيص بغرض ضبط وتنظيم مجالس الإملاء التي تُعقد بها .[24]

2-التلاميذ والطلاب:

الطالب في نظر العلماء والمؤلفين هو كل فرد له رغبة في التعلم بصرف النظر عن عمره والفترة التي يقضيها في طلب العلم، ومن الطبيعي أن يكون الطالب الذي يذهب إلى مجالس الإملاء قد ألم إلماماً جيداً بمبادئ القراءة والكتابة حتى يتمكن من دراسة وتحصيل العلوم التي تُملي عليه في هذه المجالس، وغالباً ما كانت المرحلة السابقة للمجالس تتم في " المكاتب " أو " الكتاتيب " حيث كان الصغار والصبية يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة وحفظ آيات القرآن الكريم وشيئاً من النحو والحساب ... الخ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما السن أو العمر الذي كان يتردد فيه التلميذ أو الطالب على مجالس الإملاء؟

للإجابة علي هذا السؤال نرجع إلى ما ذكره أحمد فؤاد الأهوانين ،أنه إذا وضعنا في الاعتبار أن سن الالتحاق بالكُتَّاب في المتوسط هو السادسة ،وأن سن الخروج منه هو الحادية عشرة ،أي أن هذه المرحلة من التعليم كانت تستغرق خمس سنوات [25] ومن ثم فإنه يمكننا القول بصفة عامة أن التلميذ أو الطالب الذي كان يتردد علي مجالس الإملاء لم يكن يقل عمره عن اثني عشرة عاماً إلا في حالات محدودة ولا نأخذ النابغين من الطلاب والتلاميذ قياساً في الحكم عليهم بصفة عامة ، فضلاً عن تفاوت هذه الأمور بين ربوع البلدان سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي، فمثلاً أهل الكوفة كانوا لا يُخرجون أولادهم في طلب العلم صغاراً حتى يستكملوا عشرين سنة "[26] ذلك أنهم اعتادوا على ذلك في تربيتهم وتعليمهم ، ظناً منهم أن

الطالب ينبغي أن يستوفي قدراته العقلية والذهنية والعلمية حتى يتمكن من التعلم الجاد والقدرة على التحليل والتمييز والتفسير .

جرت العادة أن يحمل التلميذ أو الطالب أدوات ومواد للكتابة كلما غدا أو راح إلى مجالس الإملاء حتى يتمكن من تدوين المادة العلمية التي يلقيها الشيخ أو الأستاذ، ورغم أن التلاميذ والطلاب قد اعتادوا على ذلك إلا أنه لا يمنع من وجود طلاب لم يحملوا عتادهم معهم، ربما لعدم قدرتهم المادية أو لأنهم جاءوا من مكان بعيد، مما يضطرهم إلى استعمال أدوات غيرهم ممن يجلسون بجوارهم في مجلس الإملاء.

وكان عدد التلاميذ والطلاب يزيد وينقص في مجالس الإملاء حسب مكانة العالم أو الشيخ بين مصاف العلماء من ناحية ،وأهمية الفرع أو المجال الذي يُملي فيه من ناحية أخري ،وإن كانت خير وسيلة عندهم للتعرف علي عدد الحاضرين أثناء الإملاء هو إحصاء المحابر التي يحملها الطلاب معهم [27] ففي أحد مجالس الإملاء بلغ عدد المحابر نحو عشرة آلاف [28] بينما زاد عدد المحابر فبلغ نيفاً وأربعين ألف محبرة في أحد مجالس الإملاء ببغداد [29] وقد يزيد عدد التلاميذ وطلاب العلم حتى يصل أكثر مما ذُكر بكثير فهناك من المجالس حفلت بما يزيد عن مائة ألف طالب للعلم ،مثل مجلس أبو الحسين بن المبارك .[30]

إن الشيوخ والأساتذة كانوا دائماً يحضون تلاميذهم علي تدوين كل ما يتم إلقائه في مجالس الإملاء ،لينتفعوا به في حياتهم العلمية ،وانقسم التلاميذ والطلاب تجاه ما يُملى عليهم الي فريقين ؛ الفريق الأول كان يدونه كل ما يُملي عليهم حرفياً دون أن يترك أي كلمة تُملى عليه أثناء المجلس ،وأما الفريق الثاني فاهتم بتدوين الأفكار والمعاني التي يدور حولها المجلس دون الاعتبار بالألفاظ والكلمات التي ترددت أثناء المجلس طالما أنهم لم يخرجوا عن إطار الموضوع ، ولم يكن هناك غضاضة ولا حرج في عدم تدوين بعض ما يُملي عليهم طالما أنه لا يتوافق مع الحقائق أو العقائد الدينية ... الخ، فقد حكي أن سليمان بن علي قدم من الكوفة إلى البصرة قاصداً محمد بن السائب (ت146هـ) وأجلسه في داره ،فجعل يُملى علي الناس تفسير القرآن حتى بلغ إلى آية في سورة " براءة " ففسرها علي خلاف ما كان يُعرف ، فقالوا: لا نكتب هذا التفسير .[31]

وكانت الفرصة تتاح أمام التلاميذ والطلاب لكي يسألوا الأستاذ أو الشيخ عما يدور في أذهانهم خاصة تلك الأمور التي يدور حولها الجدل فيجيب الشيخ أو الأستاذ بما فتح الله عليه سواء من حفظه أومن كتاب يكون بين يديه ويدون التلاميذ والطلاب ، كما كان مجلس الأعرابي (ت 231هـ) الذي كان يحضره مائة

إنسان ،وكان يُسأل فيُجيب من غير دفتر أو كتاب .[32] وقد تضاف هذه الأسئلة وأجوبتها إلى أواخر كتب الأمالى ويُفرد لها جزء خاص بها باعتبارها تكملة أو زيادة على ما تم إملائه ،كما هو الحال في أمالي الشريف المرتضي (ت 436هـ)[33] وقد تكون الأمالى كلها عبارة عن أسئلة وأجوبة من بداية المجلس وحتى آخره كما هو الحال في أمالي السيرة النبوية للحكمي (ت1377هـ) .[34]

3-المادة العلمية:

تنوعت المادة العلمية المدونة في مجالس الإملاء حيث كان الشيخ أو الأستاذ ينتقل من موضوع إلى آخر ومن مسألة لأخرى ،فأثناء مجلس الإملاء يصادف ذكر اسم شخص ما ، سواء كان عالماً أو مؤلفاً أو حاكماً أو وزيراً ... الخ ، فيستطرد في الحديث عنه ويذكر اسمه ولقبه وكنيته وميلاده وشيوخه والعلوم التي تلقاها علي أيديهم ورحلاته العلمية والوظائف والمناصب التي تقلدها ومؤلفاته والعلوم التي برع فيها وينهي الحديث عنه بذكر سنة وتاريخ وفاته ، ثم يعود للموضوع الأساسي الذي كان يعرض له ،وربما يصادف اسم مكان أو بلد أو قرية بعينها ، تتوافر لديه معلومات عنها فيتناولها بالذكر والتعريف ، وهكذا يستطرد الشيخ أو الأستاذ في موضوعات فرعية ذات صلة بالموضوع الرئيسي من قريب أو من بعيد .[35]

ويرجع السبب الرئيسي في تنوع موضوعات كتب الأمالى إلى أن الشيخ أو الأستاذ قلما كان يقوم بإعداد وتجهيز وتنظيم المادة العلمية التي يريد إلقائها وإملائها علي طلابه من ناحية ،كما أن السواد الأعظم من هؤلاء الشيوخ والأساتذة كان يقعد للإملاء فيتحدث من حِفظه وبدون كتاب من ناحية ثانية ، فقد أملى الأعرابي (ت231هـ) علي الناس ما يُحمل علي جمال ولم يُري بيده كتاب قط ،كما كان أكثر ما يُمليه محمد بن القاسم الأنباري (ت304هـ) من غير دفتر ولا كتاب[36] ، هذا بالإضافة إلى اختلاف أساليب وطرق تدوين التلاميذ والطلاب للمادة العلمية التي يمليها عليهم الشيخ أو الأستاذ - كما سبقت الإشارة اليه – من ناحية ثالثة .

ولا يمكن أن نغفل حقيقة أن إملاء الشيخ أو الأستاذ للكتاب في أكثر من مكان وزمان قد أدي إلى تنوع المادة العلمية بين الزيادة والنقصان ،فكتاب " الجمهرة في علم اللغة " لمحمد بن الحسن بن دريد الأسري (ت321هـ) " كتاب مُختلف النُسخ ، كثير الزيادة والنقصان لأنه أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما

اختلف الإملاء زاد ونقص ، والتامة التي عليها المُعَول هي النسخة الأخيرة "[37] ، فرغم اعتماد الأستاذ أو العالم على الذاكرة فمن الممكن أن لا تسعفه في بعض الأحيان ، إلى جانب بعض الأمور العارضة التي تحدث أثناء مجالس الإملاء من أسئلة أو أحداث أو موضوعات أفاض فيها الأستاذ من تلقاء نفسه مما أدى إلى حدوث الزيادة والنقصان في نُسخ الأمالى .

وقد يقوم بعض تلاميذ أو طلاب الشيخ بأخذ إحدى نُسخ الإملاء حتى يعرضوها ويقرأها علي الشيخ ويُجمع على تلك القراءة وتسمي بالفذلكة، وقد يزيد الشيخ فيها بعد ذلك فتُجمع النُسخ وتعرض علي الشيخ وتقرأ عليه ليتقرر بذلك الكتاب، ولا تكون بعدها زيادة وتسمي هذه العرضة بالمحرامة. [38]

4-مكان الإملاء:

لم يعتمد الشيوخ والأساتذة في إملائهم للعلوم والمعارف على مكان واحد فقط ،وإن كان الكثير منهم قد اعتبر أن المساجد والجوامع هي أفضل البقع والأماكن للإلقاء والإملاء وذلك لبركتها وطهارتها ، إلى جانب قدرتها على استيعاب أكبر عدد ممكن من التلاميذ وطلاب العلم ،فضلاً عن أنها أماكن مُحكمة من جوانبها المختلفة ،فقد كان أبو عبد الله إبراهيم الأزدي (ت 323هـ) يعقد مجلسه في مسجد الأنبارية بالغدوات ، كما كان أبو عمر الزاهد (ت 345هـ) يُملى في جامع مدينة أبى جعفر المنصور[39] ، وكان بعض العلماء يعقدون مجالس الإملاء في ديارهم وبيوتهم ،كما اتخذ الصاحب بن عباد (ت 385هـ) لنفسه بيتاً سماه " بيت التوبة " وقعد للإملاء فحضر اليه أناس كثيرون [40] ،وكذلك أملى أبو محمد بن عبد الواحد نسخة من كتاب " الياقوتة في اللغة " في منزله [41] و كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد المعروفة بـ " أمالي الشريف المرتضى (ت 436هـ) أملاها بداره .[42]

وقد لا يكون المسجد أو البيت واسع أو فسيح فُتعقد مجالس الإملاء في البُرحات أو الأماكن الواسعة لدرجة يصعب معها وصول صوت الشيخ إلى جموع الحاضرين ، الأمر الذي يقتضى وجود شخص أو أكثر يُبلغ عن الشيخ أو الأستاذ في المجلس ، كما هو الحال في صلوات الجُمع والعيدين حينما يزداد عدد المصلين فيُردد المؤذن وراء الإمام بصوت عال حتى يسمعه المأمومين ،فكذلك كان الأمر في مجالس الإملاء ،وعُرفت هذه الفئة باسم " المُستملين "، ولأهمية دورهم في مجالس الإملاء حض العلماء والمؤلفين على ضرورة

وجودهم فيها ، وكان من المُستحب أن يجلس المستملي في مكان مرتفع ، وأن يكون متيقظاً ، وأن يُبلغ ألفاظ وكلام الشيخ أو الأستاذ كما هو دون أن يزيد عليه [43] وقد ارتبط اسم المستملي بمجلس من يَستملى له من العلماء والشيوخ فقد كان أبو بشر أحمد بن العميّ (ت350هـ) هو المستملي لمجلس أبو أحمد بن الجلودي (ت بعد332هـ) [44] و بلغ من شأنهم وارتباطهم الوثيق بهذه المهمة أن عُرف بعضهم باسم مستملي العالم الفلاني ،مثل عبد الله بن رستم اللغوي الذي عُرف باسم " مستملي يعقوب ابن السكيت "[45]

وعندما كانت مجالس الإملاء تُعقد في البُرحات الكبيرة كان المستملي يُبلغ الحاضرين كلام الشيخ أو الأستاذ، وقد يزداد عدد الحاضرين فلا يتمكن المستملي الواحد من أن يُبلغ صوته لجموع الحاضرين مما يحتم ضرورة زيادة عدد المستمليين في المجلس الواحد على اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك، فقد بلغ عدد المُستملين في مجلس الحافظ أبى مسلم بن عبد الله الكجى (ت 292هـ) سبعة، كل واحد منهم يُبلغ الآخر [46] [47] حتى يصل كلام العالم أو الشيخ إلى جميع الطلاب الذين حضروا هذا المجلس بكل سهولة ويسر.

5-موعد وزمان الإملاء:

جرت عادة الشيوخ والعلماء أن يُحددوا للطلاب موعداً لمجالس الإملاء " لئلا ينقطعوا عن أشغالهم ، وليستعدوا لإتيانه ويَعدُ بعضهم بعضاً "[48] حتى يحضروا للمجلس في الوقت الذي حدده الشيخ ، فضلاً عن توفير عتادهم اللازم للإملاء ، وقلما تخلف الشيخ عن حضور مجالس الإملاء في الوقت المعين لذلك إلا لأمر أو حدث قد ألمَ به فمنعه عن حضور المجلس ، فالالتزام في المواعيد كان من أهم سمات الشيخ والأستاذ ، وقد تفاوتت هذه المواعيد من قبل الشيوخ ، فكان كل واحد منهم يحدد اليوم الذي يناسبه ويتلاءم مع ظروفه سواء كان بالليل أو بالنهار ، فمنهم من كان يُملى على طلابه في يوم واحد من أيام الأسبوع ، وإن كان أكثر العلماء والشيوخ يستحبون الإملاء يوم الجمعة [49] تَبرُكاً به ولاجتماع أكبر عدد من الطلاب في هذا اليوم ، ومنهم من كان يُخصص يومين أو أكثر للإملاء ، ومنهم من كان يُملى باستمرار ومنهم من كان يُملى مؤلفاته على فترات متقطعة ، لكن الشيء الثابت هو التنبيه على الطلاب وإخبارهم بمواعيد مجالس الإملاء مُسبقاً .

وقد حرص طلاب العلم على الالتزام بحضور مجالس الإملاء في الموعد الذي حدده الشيخ ، فكانوا يحضرون إلى المجلس قبل مجيء الشيخ أو الأستاذ ويستعدوا للإملاء ، وربما تأخر طلاب العلم عن الموعد

الذي حدده الشيخ للإملاء مثلما فعل طلاب أبو زكريا الفراء (ت 187هـ) حين سألوه أن يُملى عليهم أبواباً في النحو ، ففعل ذلك وحضروا مجلسين ، فلما كان المجلس الثالث قرروا أن يقعدوا عنه فغضب من ذلك وقال " سألوني القعود ، فلما قعدت تأخروا ![50] **، وليس من شك في أن هذا من الأمور النادرة ، فلم يكن التأخر أو التخلف عن مواعيد مجالس الإملاء أمراً معتاداً بين العلماء أو الشيوخ أو طلاب العلم في ربوع الحضارة العربية .**

سادساً: مراسم مجالس الإملاء:

بالرغم من تنوع أساليب وطرق الإملاء فإنه كان لمجالس الإملاء ما يشبه الطقوس أو المراسم التي تتم منذ افتتاحها وبدايتها وأثناء الإملاء وحتى ختامها والفراغ منها ،فبعد أن يُعين الشيخ موعد ومكان الإملاء كان التلاميذ والطلاب يأتون لمجلس الإملاء في الوقت والمكان المحدد ،ويجلس الشيخ تجاه القبلة ويشرع في مجلس الإملاء ، ويفتتح المجلس بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وربما بدأ المجلس بآيات من القرآن ، كما كان الحافظ ابن حجر العسقلاني يستفتح مجلس الإملاء بسورة الأعلى ([51] **ويترحم على شيوخه ويدعوا لهم ولجموع الحاضرين ، ويحرص على أن يروى ويحدث بإسناد الآراء والأقوال إلى أصحابها من الثقاة، ويبتعد عن رواية الضعفاء حتى لا يسقط في زلات العلماء والمؤلفين .**

وكان بعض العلماء يُعين " نقيباً " له يهتم بأمور ضبط مجلس الإملاء وتنظيمه وتهيئته وترتيب التلاميذ [52] **فيحرص -في مجالس الإملاء الكبرى - على أن يكون تلاميذ الشيخ أو الأستاذ في صدر المجلس (وهم غالباً من العلماء والشيوخ) ،يليهم تلاميذ هؤلاء العلماء والشيوخ ، ثم التلاميذ الآخرين (وهم من المبتدئين في التعليم والتعلم) ،ويروى ابن النديم في ببليوجرافية " الفهرست " أن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي (ت313هـ) كان يجلس في مجلسه الشيوخ ودونهم تلاميذهم ،ودونهم تلاميذ آخر** [53] **، ويمكن تصوير الهيئة أو الشكل العام لمجالس الإملاء على النحو التالي :-**

الشيخ أو الأستاذ

↓

تلاميذ وطلاب الشيخ أو الأستاذ (شيوخ وعلماء مبتدئين)

↓

تلاميذ هؤلاء الشيوخ والعلماء

↓

تلاميذ وطلبة علم آخرون (التلاميذ والطلاب المبتدئين)

اعتاد التلاميذ والطلاب الحاضرين على تدوين جمل وعبارات للدلالة على بداية المجلس واسم الشيخ والمكان والزمان الذي تم فيه الإملاء كأن يكتب:

مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا، أو في منزل كذا، في يوم كذا من شهر كذا وسنة كذا، ومثال ذلك ما ورد في مقدمة أمالي ابن الشجري (ت542هـ) [54] **ثم يدون التلاميذ ما يمليه الشيخ عليهم، وتختتم المجالس دائماً بالحكم والنوادر والأشعار ...الخ، على أن يكون ذلك بكلام ونبرة يُفهم منه أن الشيخ أوشك على الختام كقوله " وهذا آخره، أو ما بعده يأتي ... الخ** [55] **وهذا أمر مهم تربوياً وتعليمياً، حتى لا يتم إنهاء المجلس فجأة، ويسجل التلاميذ وقت الفراغ أو الانتهاء من الإملاء ، وكذلك آخر مكان تم فيه الإملاء كما هو الحال في أمالي المرتضى .**[56]

وقد طرح بعض الشيوخ عدة مسائل على الطلاب بعد الفراغ من مجلس الإملاء ، يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم وأمُلى عليهم ، فمن ظهر له أنه فهم الدرس ووعِيهُ شكره ، ومن لم يفهم تلطف في إعادته له [57] **وكان ذلك أدعى للتركيز أثناء المجلس ، إلى جانب تثبيت الدروس في أذهانهم وحرصهم على**

فهم كل ما يُملى عليهم ، فضلاً عن استيعاب ما لم يدركوه أثناء المجلس ،وقد يقوم الطلاب بمقابلة كُتب الإملاء التي بين أيديهم بما أملاه الشيخ أو الأستاذ من كراسته أو من الأصل الذي يحتفظ به بغرض الضبط والإتقان [58]، وإن فات الطالب مجلس الإملاء فإنه يطلب ممن كان حاضراً أن يُعيره كتابه فينسخه منه ثم يرده اليه ونادراً ما يقابل طلب الإعارة بينهم بالرفض على اعتبار أن إعارة الكتب أولى بركات تحصيل العلم.

سابعاً: إعداد وتنظيم كتب الأمالى:

كان العلماء والمؤلفين أصحاب إنتاج فكري متعدد ومتنوع، وقلما خضع هذا الإنتاج إلى التنظيم والتبويب من جانب الشيخ أو الأستاذ، ومن ثم تنوعت موضوعاته ومسائله، كما أن كثرة وتعدد مجالس الإملاء فتح المجال أمام تنوع موضوعاتها في فروع شتى من العلوم، فمسألة من هنا وأخرى من هناك، فموعظة بالغة وتفسير آية يتبعها نادرة مضحكة .... الخ.

ومع هذا التفاوت في موضوعات كتب الأمالى ، نجد أن عناوين بعض هذه الكتب حمل ما يكشف عن محتوياتها ويُعبر عن تعدد وتنوع موضوعاتها ، فجاءت أمالي أبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدي(ت310هـ) تحمل عنوان " الأمالى : فيها تراث وأشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها"[59] ، ويبدو أن العلماء والمؤلفين تأثروا بالقول السائد آنذاك أن " الأديب هو من يأخذ من كل علم بطرف " ومن ثم جاءت كتبهم و مؤلفاتهم – منها كتب الأمالى – تعكس الواقع الفكري والعلمي للعصور التي ظهرت فيها ، ويمكن بيان ذلك من خلال دراسة مجموعة من كتب الأمالى التي وقف عليها الباحث كنماذج - وفقاً لظهورها تاريخياً - على النحو التالي :

أولاً : أمالي ابن سمعون البغدادي (300 - 387 هـ) :

صاحب هذه الأمالى هو الإمام الواعظ المحدث أبي الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس ابن سمعون البغدادي (ت 387هـ) ، رحل للتعلم على يد شيوخ وعلماء بلغ عددهم تسعة عشر شيخاً ، وهو شيخ من مشايخ البغداديين ، كان شيخاً وإماماً وعالماً كبيراً [60] وقد أملى ابن سمعون هذه المجالس بجامع دمشق ، وبلغ إجمالي عدد المجالس التي أملاها في كتابه عشرين مجلساً تضمنت مجموعة من الأحاديث

المتنوعة بلغ عددها (347) حديثا ، وقد تنوعت هذه الأحاديث بين سرد الأحاديث النبوية والحِكم والأقوال والمأثورات والقصص والأشعار التي وردت على لسان العلماء والوعاظ أو الحكماء أو الشعراء ... الخ .

1-الهدف الرئيس من أمالي ابن سمعون:

كان الهدف الأساسي من أمالي ابن سمعون البغدادي هو وعظ الناس وإرشادهم إلى العبادات والمعاملات من خلال سرد الأحاديث النبوية والحكم والأقوال المأثورة وبعض القصص والأشعار مستخدماً نوعاً من الترهيب مرة والترغيب مرة أخرى...الخ.

2-موضوعات أمالي ابن سمعون:

تناولت أمالي ابن سمعون الأحاديث النبوية وغيرها من الأقوال للعلماء السابقين، باعتبار أن صاحبها اشتهر بالوعظ والإرشاد، ومن عادة من تصدى لهذه المهمة أن يتعرض لموضوعات متنوعة لخدمة مهمته، لكن الملاحظ عليه أنه في كل مجلس لم يكن يُحدد موضوعاً واحداً ثم يسرد الأحاديث التي تدور في فلك هذا الموضوع، وإنما أملى أحاديث وأقوال وأدعية وقصص وحكايات في موضوعات شتى.

تنوعت وتشتت موضوعات الإملاء في المجلس الواحد فتناول موضوعات مختلفة ، وخير مثال على ذلك ما أملاه في المجلس الرابع (يوم الثلاثاء نهاية جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وثلاث مائه) [61] **حيث بدأ بحديث نبوي في النهى عن كتمان العلم ثم أملى حديثاً آخر في موضوع إذا نام العبد وهو ساجد ، تلاه أحاديث أخرى عن فضل عمر بن الخطاب وعائشة وأبو بكر وعلى ، ثم حسن الظن بالله ثم فضل النصف من شعبان وفضل حملة القرآن ، ثم قول لمحمد بن سيرين يتبعه بقول لزيد بن على ،وختم هذا المجلس بحكاية عن داوود الطائي ، مما يدل على عدم وجود تناسق أو ترابط بين الموضوعات والأحاديث التي تناولها ، وهذا شأن كثير ممن تصدى لمجالس الإملاء من العلماء والشيوخ .**

3-المنهج المتبع في أمالي ابن سمعون:

لم يتبع ابن سمعون منهجاً واحداً محدداً في أماليه حيث تأرجح فيها ولم يسلك طريقة واحدة من بداية أماليه وحتى نهايتها ، سواء في عرضه للأحاديث والحكم وغيرها في كل مجلس من مجالسه ، فضلاً عن عدم الاتزان في إملاء الأحاديث التي وردت في كتابه من حيث الاستطراد والاختصار ، حيث أنه اقتصر في

بعض الأحاديث على موعظة ببيت من الشعر فقط كما هو الحال في الحديث رقم (284) وفيه : حدثنا عثمان بن أحمد بن يزيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم الختلي قال سمعت هذا من العيشي إذ أنشدنا :[62]

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

لكن ابن سمعون البغدادي في نفس مجلس الأمالى أطال في الحديث التالي مباشرة مما يدل على الاضطراب وعدم اتباعه لمنهج محدد في هذه الأحاديث وفي المجالس ذاتها.

4-الملامح والخصائص العامة لأمالي ابن سمعون:

توجد مجموعة من السمات والملامح العامة سادت أمالي ابن سمعون ويمكن بيانها على النحو التالي:

1-لم يهتم ابن سمعون في كتابه الأمالى بذكر أي بيانات بيوجرافية لأي شخص ورد ذكره في أي مجلس من مجالس الإملاء التي أملاها على تلاميذه وطلابه، باستثناء ما أورده حينما ورد ذكر " عنبس بن إسماعيل "، قال الشيخ ابن سمعون وهو جد أبي"[63]

2-لم يهتم ابن سمعون في أماليه بذكر أي كتب سواء للسابقين عليه أو حتى المعاصرين له وبذلك خلت أماليه من ذكر أي بيانات ببليوجرافية.

3-اهتم ابن سمعون بذكر رواة الحديث النبوي الشريف وغيره من الأقوال والمأثورات والحكايات ولكنه لم يتعرض لأمور الرواة من حيث الجرح والتعديل إلا نادراً حيث جاء ذلك حكاية على لسان بعض العلماء وليس من قوله هو، فمثلاً في سرده لحديث " من سئل عن علم فكتمه " ذكر قول أبو عمر حين سئل معاذ بن معاذ القاضي عن هذا الحديث، فلم يعرفه من حديث ابن عون فقال من حدث به؟ فقالوا إسماعيل الكرابيسي، فقال: ثقة. [64]

4-اعتاد ابن سمعون في جميع أماليه ومجالسه على عدم الشرح الوافي لكل حديث أو قول أو حكمة يسردها في أماليه.

5-لم يهتم بشرح الألفاظ المبهمة لطلاب العلم واكتفي بسرد ألفاظ الأحاديث والأقوال المأثورة والقصص كما هي دون أي شرح أو تفسير.

6-لم يذكر ابن سمعون أي اختصارات على الإطلاق في مجالسه العشرين، وان كان هذا أمر طبيعي لأن غرضه من الإملاء هو الوعظ والإرشاد بوجه عام.

7-حفلت أمالي ابن سمعون بطرق نقل الحديث ما بين أخبرنا وحدثنا وقراءة ... الخ، وهذه عادة العلماء الأوائل الذين تصدوا للأمالى التي يغلب عليها ذكر الأحاديث النبوية.

ثانياً: أمالي الشيخ المُفيد (336-413هـ):

صاحب هذه الأمالى هو الشيخ المُفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت413هـ) المعروف بابن المُعلم والمفيد وكنيته أبو عبد الله ، عاش خلال القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري ولد في قرية عُكبرا على بعد عشرة فراسخ من بغداد ، وقد قال عبد الله بن على السبط الخياط : أنه كان يتشيع [65] إذ يعتبر أحد أبرز علماء الإمامية الاثني عشرية ومحدثيها ، وتضمنت مجالس أمالي الشيخ المُفيد (ت413هـ) عدد أكبر من مجالس ابن سمعون حيث بلغ عددها (42) مجلساً ، بدأت بالمجلس الأول في مستهل رمضان سنة أربع وأربعمائة هجرية ، وانتهت بالمجلس الثاني والأربعون في سنة إحدى عشر وأربعمائة هجرية ، أي أن أماليه استغرقت حوالي ثماني سنوات وأن بعض المجالس تم إملائها في بعض البيوت أو المنازل كما هو الحال بالنسبة للمجلس الأول منها ، حيث ورد أنه تم إملائها في منزل ضمرة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بمدينة بغداد .[66]

1-الهدف من أمالي الشيخ المُفيد:

كان الهدف الرئيسي من أمالي الشيخ المُفيد هو الاهتمام ببيان فضل أهل البيت وعلى رأسهم على بن أبى طالب وزوجته وأولاده وأحفاده ... الخ كعادة جُل علماء الإمامية، بالإضافة إلى حض الناس على فضائل الأعمال من الزهد في الدنيا وذم العجب والكبر وفضل الأعمال الصالحة ... الخ، وذلك من خلال سرد الأحاديث النبوية، وذكر بعض خطب النبي صلى الله عليه وسلم، إلى جانب بعض خطب على ابن أبى طالب فضلاً عن سرد الأقوال والمأثورات والوصايا والحكم التي وردت على ألسنة العلماء والحُكماء.

2-موضوعات أمالي الشيخ المُفيد:

تفاوتت الموضوعات في أمالي الشيخ المُفيد (ت413هـ) ، حيث عالجت موضوعات شتى من أمور الصلاة والدعاء وبعض الخطب النبوية وبعض مواعظ على بن أبى طالب وابنه الحسين وخطب على زين العابدين والأدعية المختلفة ، وفي مجمل هذه الموضوعات يحاول أن يلبى الهدف الرئيسي من الأمالى كما سبق ذكره ، وإن كان لا يوجد أي ترابط بين موضوعات المجالس المختلفة التي أملاها جميعاً ، ولا حتى في أماليه خلال المجلس الواحد ، فليس ثمة مجلس تماسكت موضوعاته مطلقاً ، وخير مثال على ذلك ما أورده في المجلس الحادي والأربعون حيث تضمن موضوعات متنوعة على النحو التالي :[67]

ذم طول الأمل وإتباع الهوى، خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حق على بن أبى طالب، كتاب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس، خطبة الحسن بن على في الناس بعد البيعة له، ثواب الصبر عن المعصية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً تفاوت عدد الموضوعات والأحاديث في المجالس الواردة في أمالي الشيخ المُفيد بداية من المجلس الأول وحتى المجلس الأخير (المجلس الثاني والأربعين)، وقد تراوحت عدد الأحاديث في كل مجلس ما بين خمسة أحاديث وثلاثة عشر حديثاً مما يدل على الاضطراب الواضح، وعدم توازن موضوعات الأمالى في كتابه، شأنه شأن كثير من كتب الأمالى.

3-المنهج المتبع في أمالي الشيخ المُفيد:

لم يسلك الشيخ المُفيد أي منهج واضح ومحدد في جميع مجالسه للإملاء فلم يسير على طريقة حتى ولو في مجلس واحد فخطبة من هنا وقول من هناك ومدح هنا وذم هناك، وكل ما فعله في أماليه أنه حاول أن يلملم الشتات لأحاديث وخطب وأقوال تبين فضائل على بن أبى طالب وأولاده بشتى السبل والوسائل فكان ذلك سبباً رئيسياً وأساسياً في عدم إتباعه لمنهج معين في أماليه. حتى أن ترتيب المجالس في الكتاب نفسه والتي أُريد لها أن تُرتب ترتيباً زمنياً وفقاً لتواريخ الإملاء ذاتها لم تسلم من سوء الترتيب، إذ أن المجلس الحادي والثلاثين [68] مُقدم على المجلس الثلاثين [69] في الترتيب داخل الكتاب، بالرغم من أن المجلس الحادي والثلاثون بتاريخ السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة، بينما المجلس الثلاثون كان بتاريخ العاشر من شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة. وكان من المفترض أن يتم تقديمه، ولكن يبدو أن الخطأ في

ترتيب المجالس حدث في هذه النسخة التي وصلت الينا، وليس من جانب الشيخ المُفيد نفسه لأسباب تم ذكرها عند اختلاف النُسخ.

4-الملامح والخصائص العامة لأمالي الشيخ المُفيد:

تبدو على أمالي الشيخ المُفيد مجموعة من الملامح والسمات من أهمها ما يلي:

1-أن مواعيد مجالس الإملاء في كتاب الأمالى للشيخ المُفيد جاءت متفاوتة ولم تكن منتظمة، فمثلاً المجلس الأول عقده في الأول من شهر رمضان سنة أربع وأربعمائة هجرية ثم المجلس الثاني وكان في الخامس من الشهر ذاته والسنة نفسها، أما المجلس الثالث فقد عقده في الثامن منه ومن السنة نفسها، أما المجلس الثالث فقد عقده في نفس اليوم والسنة السابق ذكرهما، أما المجلس الرابع فكان يوم النصف من ذات الشهر تلاه المجلس الخامس في يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان في نفس السنة .... وهكذا.

2-روى الشيخ المُفيد أحاديث وروايات عن كثير من شيوخه حيث بلغ عدد من روع عنهم 37 شيخاً، في حين لم يذكر أي روايات أخرى لبقية شيوخه الذين يزيد عددهم عن 60 شيخاً. (70)

3-بالرغم من سرد الأحاديث المتنوعة والتي توضح ميل الشيخ المُفيد إلى التشيع إلا أنه أغفل ذكر درجة الحديث وصحته وضعفه، وهذا يتطلب إجراء بحث دقيق من جانب المتخصصين في علم الحديث.

4-يغلب على أمالي الشيخ المُفيد الاستشهاد بأحاديث نبوية وخطب وأقوال وحكم الإمام على بن أبى طالب وأولاده وأحفاده. ولم تحفل أماليه بالاستشهاد بأبيات الشعر سوى مرة واحدة وهي أبيات من الشعر للسيدة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم. (71)

5-لم يترجم الشيخ المُفيد في أماليه لأي شخص ورد ذكره ولم يدون له أي بيانات بيوجرافية، حيث خلت أماليه من ذلك مطلقاً.

6-لم يذكر الشيخ المُفيد في أماليه أي كتاب من الكتب وعليه خلت أماليه من ذكر البيانات الببليوجرافية تماماً.

7-تنوع الشيخ المُفيد في نقل الأحاديث والأخبار والأحداث التي أملاها في مجالسه وفقاً لطرق حمل العلم ونقله، مثل: أخبرنا، حدثنا، قراءة، سمعنا .... الخ.

8-لم يعبأ الشيخ المُفيد بالنواحي اللغوية وبيان معاني الألفاظ والمصطلحات المبهمة التي وردت في أماليه.

ثالثاً: أمالي القاضي أبى يعلى الفراء (380-458هـ):

صاحب هذه الأمالى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن أبى يعلى ابن الفراء ،ولد في سنة380هـ ، تعلم على يد كثير من العلماء ، ورحل إلى البلاد لسماع الحديث وطلب العلم بمكة وحلب وغيرها ، وله المؤلفات الكثيرة في الأصول والفروع ، وقد أملى هذه الأمالى سنة ستة وخمسون وأربعمائة في جامع المنصور بمدينة دمشق ، وكان يمليها جالساً على كرسي ، وكان المُبلغون والمُستملون في حلقته ثلاثة وكان يأتي اليه الناس بالآلاف من الأعيان والقضاة والفقهاء وعامة الناس وكانت هذه المجالس تقام في أكبر جامع في بغداد وهو جامع المنصور بعد صلاة الجمعة كعادة كثير من المحدثين .[72]

وقد بدأت هذه الأمالى بالمجلس الأول في التاسع والعشرون من ذي القعدة سنة (456هـ) وانتهت بالمجلس السادس والأخير وكان في الثامن من محرم سنه (458هـ) أي أن مجموع المجالس في أمالي الفراء ستة مجالس فقط، وهذا شأن العديد من كتب الأمالى التي وصلت الينا.

1-الهدف من أمالي أبى يعلى الفراء:

من خلال دراسة أمالي أبى يعلى الفراء (ت458هـ) يتضح أن الهدف الأساسي منها ينصب على تعليم طلاب العلم وتقديم الموعظة الحسنة لهم وإرشادهم من خلال ذكر الأحاديث النبوية والمواعظ، مع الاهتمام بالمناسبات الدينية، فمثلا المجلس الرابع الذي كان يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر شعبان أملى على الجالسين بجامع المنصور[73] **مجموعة من الأحاديث التي تخص صيام رمضان وفضل الصيام والقيام فيه وآداب الصيام بغرض تهيئة الحاضرين إلى قدوم شهر الصوم والاستعداد له.**

2-موضوعات أمالي أبى يعلى الفراء:

تناولت أمالي أبى يعلى الفراء موضوعات شتى غير مترابطة ولا متناسقة فيما بينها، ولا تغطى موضوعاً واحداً من جميع جوانبه كالصلاة أو الزكاة أو الحج .... الخ، وسار على ذلك في جميع مجالسة التي أملاها، وخير دليل على ذلك تشتت موضوعاتها وعدم تماسك بنيانها ما ورد في المجلس الأول حيث تضمن ما يلي[74]**:**

حديث عن فضل صلاة الجماعة وصلاة الفجر، حديث يتعلق برؤية الله عز وجل، حديث عن سعة رحمة الله ومغفرته، حديث عن فضل العشر الأوائل من ذي الحجة، حديث عن عدم تمنى الموت، حديث عن الراعي والرعية، حديث عن الصدق وفضله والكذب وعقوبته، حديث عن فضل الصحابي أبو الدرداء رضى الله عنه، وختم المجلس برؤية مناميه عن فضل الإمام أحمد بن حنبل، كعادته في المجالس الأربعة الأولى من أماليه.

3-المنهج المتبع في أمالي أبى يعلى الفراء:

لم يتبع أبى يعلى الفراء في أماليه أي منهج محدد ، حيث أملى في مجالسه مجموعة من الأحاديث النبوية التي لا يوجد أي تناسق فيما بينها على الإطلاق ، وكان بإمكانه أن يرتبها على أبواب الفقه أو وفقاً للأحاديث التي رواها صحابي معين ، وإن كان الفراء قد عمد إلى بيان مكانة الصحابة وفضلهم ، وعقوبة من لم يتولهم ، كما اهتم في الأربعة مجالس الأولى من أماليه أن يختمها بقول أو حكاية مأثورة عن الإمام أحمد بن حنبل أو لطيفة له ، مما يدل على تحيزه إلى المذهب الحنبلي ، لكنه وبالرغم من ذلك لم يُملى على طلاب العلم أي حديث عن طريق الإمام أحمد بن حنبل الذي اعتنق مذهبه وتبع نهجه حتى أصبح إماماً فيه .

4-الملامح والخصائص العامة لأمالي أبى يعلى الفراء:

تتنوع الخصائص والسمات الغالبة على أمالي أبو يعلى الفراء ويمكن بيان أهمها على النحو التالي:

1-لم يكن ثمة انتظام في مجالس الأمالى التي عقدها الفراء، حيث نجد أن مجلسا في سنة 456هـ، وأربعة مجالس في سنة 457هـ، ومجلس واحد في سنة 458هـ، كما يلاحظ على مواعيد هذه المجالس عدم التزام أبو يعلى الفراء بأشهر بعينها، فقد كانت المجالس تعقد في أشهر مختلفة ومتفاوتة ولم يخص شهراً بعينه في الإملاء وان كان شهر المحرم قد حظي بمجلسين من المجالس الستة لأبى يعلى الفراء في أماليه.

2– لم يتعرض الفراء في أماليه لذكر أي كتب أو مؤلفات كغيرها من كتب الأمالى السابقة ومن ثم جاءت أماليه خالية من أي بيانات ببليوجرافية.

3 – حاول الفراء أن يسرد أسانيد الحديث وكذلك في سرد الحكايات والأقوال المأثورة، وإن كان يوضح على استحياء طريقة تخريج الحديث في بعض كتب الصحاح وليس كلها، حيث كان يقتصر على ذكر تخريجها من جانب الشيخان البخاري ومسلم وذلك للدلالة على صحة الحديث. [75]

4-خلت أمالي الفراء من الاستشهاد بآيات القران الكريم، وان كان قد بلغ عدد ذكر الآيات القرائية (13) مرة، فإنها وردت فقط في متون الأحاديث ذاتها، كما أنه لم يستشهد بالآراء المختلفة أو آراء أهل اللغة أو أشعار الشعراء وغيرهم.

5-لم يتعرض الفراء للألفاظ الصعبة والمبهمة من حيث بيان المعنى والجمع والتضاد .... الخ، بما يدل على عدم اهتمامه بالجوانب اللغوية في أماليه.

6-لم يتم ذكر أي بيانات بيوجرافية عن أي راوٍ من الرواة أو من ورد ذكرهم في الأحاديث التي سردها الفراء في أماليه، سواء ما يتعلق باللقب أو الكنية ... الخ.

7-وردت في أمالي الفراء بعض الاختصارات المعروفة في روايات الحديث لكن على استحياء مثل (ثنا)، (أنا).

8-اعتاد الفراء على ختام المجلس بحكاية أو طرفة أو رؤية مناميه لطيفة وان كان الغالب الأعم فيها تخص الإمام أحمد بن حنبل.

رابعاً: أمالي السهيلي (508 -581هـ):

السهيلي صاحب الأمالى هو أبى القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى حسن ، والسهيلي نسبة إلى سهيل قرية بالأندلس ، عاش خلال القرن السادس الهجري وتوفي سنة 581هـ ،وروى عن كثير من كبار العلماء ، وعُرف بغزارة علمه في النحو واللغة ، وله مؤلفات عديدة من بينها " الروض الأنف والمنهل الروي "[76] ، وكتاب الأمالى وعنوانها كما دُون على غلاف المخطوطة " مسائل من إملاء الفقيه أبى القاسم بن أبى الحسن الختمى ثم السهيلي ، رحمة الله ، وحل أجوبة في مسائل له ، سأله عنها الفقيه المحدث أبو إسحاق ابن قرقول رحمة الله عليهما ."[78]

1-الهدف من أمالي السهيلي: –

الغرض الأساس من أمالي السهيلي هو بيان رأيه ووجهة نظره في بعض القضايا النحوية واللغوية، بالإضافة إلى الإجابة على الأسئلة التي عرضت عليه من جانب المحدث ابن قرقول (ت 596 هـ)، فضلا عن بيان مسألة الطلاق والألفاظ المتعلقة بالطلاق والآراء المختلفة في أيمان الطلاق مع سرد الأدلة المختلفة التي تدعم وجهة نظره في هذه القضية.

2-موضوعات أمالي السهيلي:

اشتملت أمالي السهيلي (ت581هـ) على مجموعة من المسائل يمكن بينها على النحو التالي:

أولا: مسألة فيما لا ينصرف من الأسماء.

ثانيا: مسألة في كاف التشبيه.

ثالثا: مسألة في الجواب ببلى ونعم.

رابعا: مجموعة من المسائل وأجوبتها على ابن قرقول وبلغ عددها أربع وسبعون مسالة.

خامسا: مسألة في الطلاق والأيمان اللازمة.

تناول السهيلي في كتابه مجموعة من الموضوعات المختلفة والقضايا الهامة في علم النحو والأساليب المختلفة، كما تعرض لموضوعات في اللغة وذكر أطرافاً من الأحاديث اللغوية والتفسير، بالإضافة إلى عرضه لموضوعات فقهية هامة على رأسها الطلاق.

وبالرغم من تنوع الموضوعات التي عرض لها في أماليه إلا أنه من المؤكد أنه غلب عليها موضوع علم النحو بشكل واضح.

3-المنهج المتبع في أمالي السهيلي:

لم يكن ثمة منهج واضح في أمالي السهيلي عموماً حيث أنه في بدايتها عرض لفصول مختلفة في علم النحو ، تبعها الإجابة على أسئلة الفقيه والمحدث ابن قرقول ، وتفاوتت الإجابات وفقا لطبيعة السؤال ذاته ، فاختصر في إجابة وأطال في أخرى ، وخير دليل على ذلك ما ورد في المسألة رقم (9) حيث كانت الإجابة عليها لا تتعدى سطرين فقط [78] في حين أن إجابته على المسألة التالية مباشرة وهى المسألة رقم (10)

بلغت ثلاث صفحات [79] ، ومما يلاحظ على هذه الأمالى أن صاحبها كان يميل نحو عرض الآراء المختلفة في القضية بل والمخالفة له في وجهة نظره ، ثم يرد عليها بالأدلة ليؤكد على صحة رأيه فيها .

4-الملامح والخصائص العامة لأمالي السهيلي:

تعددت وتنوعت خصائص وملامح أمالي السهيلي ويمكن بيانها على النحو التالي:

1-حاول السهيلي في أمالية أن يلم بأطراف الموضوع من كافة جوانبه، حينما يعرض لأي مسألة أو فصل في أمر يخص الإعراب حيث كان يوضح طريقة نطق الكلمة وأصلها وإعرابها مع بيان آراء العرب وأقوالهم خصوصا علماء النحو مثل سيبويه وغيره، كما استأنس بالأسئلة التي تمت الإجابة عليها قديما من جانب أئمة اللغة العربية وطرق استدلالهم بالروايات ليؤكد على صحة وجهة نظره ومنهجه في تناول الموضوعات والإجابات على الأسئلة ذاتها.

2-كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية حيث بلغ عدد مرات الاستشهاد بها (37) آية قرآنية، كما استشهد بالأحاديث النبوية الشريفة بما يزيد عن 70 حديثاً، كما استشهد بالأمثال والأشعار لعديد من أدباء وشعراء العرب.

3-تميزت أمالي السهيلي ببيان أصل اللفظ والكلمة وبيان معانيها والشرح الوافي كلما تطلب الأمر ذلك.

4-لم يلجأ السهيلي في أمالية وإجاباته على الأسئلة إلى التكرار وكان دائما يحاول الاختصار قدر المستطاع، مع عدم الاستطراد الممل، مما جعل أسلوبه في عرض المسائل يتميز بالسهولة والإقناع، مثلما ذكر في مسالة " الاسم المعدول ". [80]

5-لم يهتم السهيلي في أماليه بأن يذكر أي بيانات بيوجرافية لمن ورد ذكرهم في أماليه ويرجع ذلك إلى اتجاهه نحو الاختصار قدر الإمكان في جميع أماليه.

6-لجأ السهيلي -على استحياء -إلى إحالة القارئ وتوجيه نظره تجاه معالجة مسألة ما مستقبلاً بأنه سوف يذكرها فيما بعد مثلما ذكر في فصل (وقوع نعم موقع بلى) حيث قال " وفهم مراده في ذلك، بقرينة نذكرها بعدُ إن شاء الله "[81] لكنه لم يُحدد المكان والموضع الذي يمكن للقارئ أن يجدها فيه.

7-لم يذكر السهيلي في أماليه أي كتاب من الكتب السابقة وعليه خلت أماليه من ذكر البيانات الببليوجرافية مطلقاً.

خامساً: الأمالي المطلقة لابن حجر العسقلاني (773 -852هـ):

وهذه الأمالي للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني الذي عاش خلال الفترة من سنة 773هـ وحتى سنة 852هـ ، وقد ترجم له تلميذه السخاوى في " الضوء اللامع " حيث ذكر أنه إمام الأئمة ،عُرف واشتهر بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه ، ارتحل إلى العلماء ، وألف الكتب والمؤلفات ، وكثرت طلبته حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلاميذه ورحل اليه طلبة العلم من كل مكان[82] ، و الأمالي المطلقة عبارة عن مجالس مختلفة بلغ عددها تسع وسبعون مجلساً ، تبدأ بالمجلس الحادي والسبعين وهو أول مجلس وكان في سنة 829هـ حتى المجلس الخمسين بعد المائة وكان في سنة 830هـ .

1- الهدف من الأمالي المطلقة لابن حجر :

لم يكن للأمالى المطلقة هدف محدد بذاته لأنها وكما هو واضح من اسمها أنه لم يتقيد فيها بموضوع محدد، فتناول فيها أحاديث وتفسير وشعر وغيرها، وان غلب عليه ذكر الحديث النبوي، أياً كان موضوع هذا الحديث سواء كان في العقيدة أو العبادات أو المعاملات أو البيوع أو أي أمر من الأمور الشرعية، بما يؤكد أن الهدف من الأمالي المطلقة هو إفادة طلاب العلم في شتى أمور دينهم وحثهم على الطاعة والبُعد عن المعاصي من خلال ذكر الأحاديث النبوية أو التفسير لآية وخلافه.

2-موضوعات الأمالي المطلقة لابن حجر:

جاءت الأمالي المطلقة في الأحاديث النبوية ذات الموضوعات المتنوعة وغير المرتبة على باب معين مثل: أحاديث الصلاة، وأحاديث الصيام، أحاديث الحج ...الخ، فقد كان يذكر حديث في الصلاة يليه حديث في الرزق يتبعه حديث عن يوم عاشوراء وأخر في حديث عن أثر النعمة على العبد وهكذا لم يجمعها تحت موضوع محدد أو باب بعينه.

وتنوعت موضوعات المجالس كلها، فمثلاً المجلس الحادي والسبعين تناول فيه: حديث أبى هريرة " إذا نظر أحدكم إلى من فُضل عليه "[83] بينما يعرض في المجلس الذي يليه لحديث " بينما رجل بفلاة من الأرض

" [84]، أما المجلس الذي أملاه بعده فيتناول حديث " يقول العبد مالي مالي "[85] ولم يقتصر الأمر على تشتت موضوعات الكتاب كله بل طال التشتت موضوع المجلس الواحد وخير دليل على ذلك ما أملاه في المجلس السابع والسبعين حيث تناول الموضوعات التالية: [86]

حديث أول من يدخل الجنة الحمَادون، أثر عن ابن عباس في تفسير " الفجر " بأنه شهر المحرم، فجر السنة، الحكمة في جعل شهر المحرم بداية السنة الهجرية، حديث ابن عباس " من أكثر من الاستغفار "، حديث " لا تيأس من الرزق ".

3-المنهج المتبع في الأمالي المطلقة لابن حجر:

لم يسلك ابن حجر العسقلاني أي منهج واضح ومحدد في جميع مجالسه التي أملاها، وكان من المتوقع أنه سيستشهد بالإمام البخاري في صحيحه حيث انه تصدى لشرحه في كتاب بعنوان " فتح الباري بشرح صحيح البخاري " والذي سلك فيه منهجاً موحداً، فلم يرتب ابن حجر الأحاديث على أبواب أو حتى على حسب الرواة أنفسهم كأن يجمع أحاديث أبى هريرة مع بعضها وأحاديث ابن عباس مع بعضها ... الخ مما جعل هذه الأمالي كسابقتها تفتقد إلى المنهجية في تناولها للموضوعات المختلفة.

4-الملامح والخصائص العامة للأمالى المطلقة لابن حجر:

توجد مجموعة من الخصائص للأمالى المطلقة لابن حجر العسقلاني وأهمها:

1-حرص ابن حجر في أماليه على ذكر الأسانيد كاملة مع كل حديث يُمليه على طلابه وتلاميذه، ولكي يقلل من ذكر أسماء الرجال كلهم فكان عادة ما يفتح رواية الحديث بلفظ (وبالإسناد الماضي إلى فلان)، وربما يرجع السبب في ذلك إلى رغبته في عدم تكرار الإسناد كاملا، واختصاراً للوقت، فضلا عن رغبته في عدم الاستطراد.

2-اهتم بذكر الحديث النبوي وبيان طُرق تخريجه وأسانيده وخصوصاً في الكتب الصحاح مع التركيز على كتب الشيخان البخاري ومسلم، ليكشف بوضوح مدى درجة الحديث سواء كان صحيحاً أو حسناً .... الخ، كما يبين مدى الثقة في رجال الحديث الذي أملاه على تلاميذه وطلاب العلم. [87]

3-أنه بين بعض ألفاظ الحديث التي يصعب فهمها، كما بين جمع الكلمة وطريقة نطقها وتشكيلها ...الخ، ومثال ما ورد في شرح لفظ (الشُرجه). [88]

4 -ترجم ابن حجر في بعض الأحيان لبعض الأشخاص بذكر بعض البيانات البيوجرافية الموجزة والمختصرة عنهم ويذكر مدى صدقه وصحته في مجال الرواية مثلما ذكر في ترجمته لأبى نشيط محمد بن هارون [89]**، وإذا لم يقف على اسم الشخص ذكر ذلك صراحة مثل مولى سعد قال: لم أقف على اسمه** [90] **، وربما ذكر اسم أمه واسم أبيه وإن كان ثمة اختلاف على اسم أمه وأبيه ذكر ذلك مثل ابن الحنظلية .**[90]

5-ذكر ابن حجر في أماليه مجموعة من الكتب وأهمها كتب الصحاح وعلى رأسها كتاب الشيخان البخاري ومسلم، لكنه كان يكتفي فقط بذكر أسم المؤلف وباختصار شديد حيث اقتصر فقط على ذكر اللقب أو الكنية، ولم يذكر كافة البيانات الببليوجرافية الأخرى المهمة عن الكتاب.

6- يبدو أن ابن حجر العسقلاني كان منتظماً في مجالسه للإملاء الي حد كبير ، فكان يعقد مجلسه كل سبعة أيام تقريبا وفقا للتاريخ الهجري – كما يبدو من تاريخ الإملاء - لكن ذلك لم يكن بطريقة منتظمة باستمرار ، فمثلا المجلس الثالث عشر بعد المئة قد عُقد في يوم (6ذي الحجة سنة 829هـ) ثم تبعه بالمجلس الرابع عشر بعد المئة وكان في يوم (20ذي الحجة سنة 829هـ) ربما تكون الفترة الخالية هي وقت أداء شعائر الحج ، وكذلك الحال في المجلس السابع والأربعين بعد المائة وكان في يوم (28شعبان سنه 830هـ) ولم يجلس للإملاء في المجلس الثامن والأربعين بعد المئة إلا في يوم (11شهر شوال سنة 830هـ) وربما يكون ذلك لانشغاله في شهر رمضان بأمور الصيام والقيام والاعتكاف ، أو ربما أنه اعتاد على عدم عقد المجالس خلال هذا الشهر ومثال ذلك : أن المجلس الثامن بعد المائة كان بتاريخ (19 شعبان سنه819هـ) ثم عقبه بالمجلس التاسع بعد المئة وكان في (آخر شوال سنه 829هـ) .

7- حاول ابن حجر العسقلاني أن يستعمل الإحالة وذلك بغرض الاختصار قدر الإمكان مثلما ذكر أن أصل أحد الأحاديث قد أملاه في المجلس الثاني والثلاثين مع شواهد أخرى على صحة هذا الحديث ، لكن الشيء اللافت للنظر أنه ذكره بالفعل ولكن في المجلس الثالث والثلاثين - وليس كما ذكره - وربما يكون ذلك لسهو منه أو لاختلاف الإملاء من طالب لآخر[92] **، وفي بعض الأحيان يحيل القارئ إلى موضوع سبق طرحه في أماليه ،**

فيذكر مثلا : عن حديث في صيام شهر المحرم فيقول : (ويُغنى عنه ما أمليته في العام الماضي من حديث أبى هريرة في فضل صيام شهر الله المحرم فإنه أفضل الشهور بعد رمضان[93]

8-تكشف أمالي ابن حجر عن ذكره لطرق حمل العلم ونقله مثل: أخذنا، حدثنا، أخبرنا، أجازه .... الخ، وهذا أمر معتاد لدي عامة المحدثين وعلى رأسهم ابن حجر.

سادساً: أمالي في السيرة النبوية للحكمي (1342هـ -1377هـ)

هذه الأمالي للعلامة حافظ بن أحمد بن على الحكمي ولد في سنة 1342هـ بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا الكائنة في مدينة جنوب جازان بالسعودية ، وانتقلت أسرته إلى قرية الجاضع التابعة لمدينة صامتة ، وله مؤلفات عديدة وتتلمذ على يديه كثير من الطلاب وتوفي في سنة 1377هـ ، أما أماليه في السيرة النبوية فكان قد أملاها على طلاب العلم والتلاميذ في المعهد العلمي ، ثم حصل عليها الشيخ على الفيفي ونسخها سنة 1366هـ ، وتم طبعها بعد ذلك بثمان سنوات أي في سنة 1374هـ [94] وقد جاءت هذه الأمالي ضمن كتاب للحكمي موزع على قسمين هما :-

القسم الأول: وهو عبارة عن أمالي في السيرة النبوية على هيئة أسئلة وإجابتها، وهى موضوع الدراسة فقط.

القسم الثاني: ويمثل منظومة كاملة من الشعر حول السيرة النبوية أيضاً. لكنها ليست جزءاً من الأمالي ذاتها وإنما طُبعت معها فقط.

1-الهدف من الأمالي في السيرة النبوية للحكمي:

كان الهدف الأساسي من هذه الأمالي كما هو واضح من عنوانها هو دراسة السيرة النبوية وبيان حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته والأحداث والمواقف والغزوات التي حدثت في عهده، باعتبارها سيرة مليئة بالمواعظ والحكم والآداب والأخلاق والرحمة ...الخ، كنوع من التعليم لطلبة العلم والاهتداء يهديه والسير على نهجه، وذلك كله من خلال أسئلة وإجابتها لكي يسهل حفظها وفهمها.

2-موضوعات الأمالي في السيرة النبوية للحكمي:

بالرغم من أن هذه الأمالي تعرضت لموضوع عام فقط هو السيرة النبوية إلا أنها ذات موضوعات فرعية متنوعة حسب نوعية الأسئلة وإجابتها التي بلغ عددها تسع وسبعون سؤالاً أجاب عليها الحكمي في أماليه، حيث بدأت بسؤال عن: نَسب النبي صلى الله علية وسلم من جهة أبيه تبعه سؤال عن نسبه من جهة أمه وانتهت بأسئلة عن وفاته صلى الله عليه وسلم، ووفاة بعض زوجاته وأولاده، وأخيراً سؤال عن: ماذا ورَّثَ النبي صلى الله عليه وسلم لأولاده؟ (95)

ومن الطبيعي أن تتنوع الموضوعات التي وردت في هذه الأمالي نظرا لتنوع الأسئلة حيث تعرضت للأحداث والمواقف والقصص والغزوات والأحداث التي وقعت منذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم وبيان نسبه ووفاة والديه وسفره مع عمه إلى الشام وعمره يوم بعثه وأول بدء الوحي وأول من آمن بالرسالة وكيفية الدعوة ومتى جهر بالدعوة وحادثة الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة واستقراره بها.

وبعد أن انتهى من ذكر الأحداث والموضوعات السابقة ودن التقيد بسنة بعينها، رتب الأحداث تاريخياً وفقاً لعدد السنوات التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة بدءاً من السنة الأولى للهجرة وحتى السنة الحادية عشر للهجرة، حيث عرض للأحداث والوقائع التي وقعت في كل سنة منها على حدة حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهل ورَّث شيئا لهم.

3-المنهج المتبع في أمالي السيرة النبوية للحكمي:

سلك الحكمي نهجين مختلفين في أماليه السيرة النبوية: بدأ الأول منها بطريقة السؤال والجواب عليه، ثم تبعها بالمنهج التاريخي بدءاً من السنة الأولى للهجرة وحتى السنة الحادية عشر للهجرة، وبذلك جمعت الأمالي في السيرة النبوية بين طريقة الاستفهام وبين طريقة السرد أو المنهج التاريخي، وما يميزها أنها تناولت موضوع محدد من خلال منهج واضح مما جعلها فريدة من نوعها بين كتب الأمالي موضوع الدراسة.

4-الملامح والخصائص العامة للأمالى في السيرة النبوية:

توجد عدة ملامح وخصائص تتسم بها الأمالي في السيرة النبوية يمكن بيانها على النحو التالي:

1-حرص الحكمي في أماليه على الاستشهاد بالآيات القرآنية طالما دعت الأحداث والمناسبات التي يعرض لها إلى ذلك، كما كان يذكر أسباب نزول الآية وفيمن نزلت ومتى نزلت .... الخ.

2-وردت في أمالي الحكمي مجموعه من الأحاديث النبوية التي يتطلب الحدث أو الواقعة التاريخية ذكرها وبيانها، ومن ذلك ما ذكره في الرد على سؤال عن كيفية صفة حجة الوداع. [96] **لكنه تأرجح بين ذكر الأحاديث بسندها كاملة وأخرى أوردها دون أن يذكر الإسناد أساسا.** [97]

3-تتجه أمالي الحكمي إلى الاختصار إلى حد ما في إجاباته على بعض الأسئلة فلم يطل فيها، مثلما جاء في الرد على سؤال بخصوص أحداث صلح الحديبية فلم يذكر فيها سوى (9) أسطر ولم يعرض للموضوع من كافة جوانبه وأحداثه المختلفة.

4-لم يهتم الحكمي بذكر البيانات البيوجرافية لأي شخص ورد اسمه في أماليه، على اعتبار أن الغرض الرئيسي منها هو الاهتمام بصاحب السيرة النبوية فقط.

5-غاب عن الحكمي الاهتمام بذكر الكتب والمؤلفات التي استند اليها، أو حتى تلك التي يمكن لطلاب العلم الرجوع اليها للحصول على معلومات أكثر بشأن الإجابات الواردة في أماليه .... الخ.

6-خَلت أمالي السيرة النبوية من أبيات الشعر والاستشهاد بها، ويبدو أنه اكتفي بما أورده في المنظومة الشعرية في السيرة النبوية البالغ عددها (715) بيتاً من أبيات الشعر، والتي تم طباعتها مع أماليه في القسم الثاني من الكتاب ذاته باعتبارهما يتناولان موضوعاً واحداً.

وعلى أية حال فإنه يمكننا القول بأن كتب الأمالي لم تختلف عن بعضها في الموضوعات والمسائل التي تناولتها فقط، بل تفاوتت أيضاً من حيث الموضوعات والمسائل التي اشتمل عليها كل كتاب من كتب الأمالي في حد ذاته، نظراً لاختلاف مكان أو زمان الإملاء، فضلاً عن اختلاف وتفاوت أهدافها، بالإضافة إلى عدم وجود منهج محدد ومقنن يسير عليه كل من تصدى للإملاء من الشيوخ والأساتذة والعلماء في الحضارة العربية.

ثامناً: أهمية كتب الأمالي في تاريخ الحضارة العربية:

مهما يكن من أمر الإملاء وكتب الأمالي فإنها ستظل ذات أهمية وفوائد عديدة ومتنوعة سواء للعلماء وطلاب العلم في العصور السابقة أو خلال العصر الحالي، ولعل أهمها ما يلي:

1-تُعد كتب الأمالي أحد مصادر التأريخ الفكري لدى العلماء والمؤلفين، إذ تعد بمثابة نتاج وخلاصة القريحة العربية الإسلامية، حيث أنها تكشف عن مختلف جوانب الفكر السائد آنذاك.

2-أنها كانت تعد بمثابة الكتب الدراسية والتعليمية التي تعهدها التلاميذ وطلاب العلم والعلماء بالدراسة والفحص والتحليل، كما بذلوا الجهد في حفظها والعناية بها.

3-أن مخطوطات الأمالي تكشف وبوضوح طبيعة مواد وأدوات الكتابة المستعملة في تدوينها، إلى جانب الأحبار والخطوط التي نُسخت بها والتي كانت سائدة في العصر الذي ظهرت فيه.

4-أن كتب الأمالي -في حد ذاتها -تعد من أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها العلماء الذين حرصوا على تأليف الكتب في المجالات العلمية التي تعرضت لها كتب الأمالي بالشرح والتفسير.

5-أنها تكشف عن نشأة وتطور العلوم (العقلية والنقلية) وموضوعات المعرفة المتاحة في الحضارة العربية، فمن يتعهد كتب الأمالي بالدراسة والتحليل يتبين له ذلك بوضوح.

6-أن كتب الأمالي ومجالس وحلقات الإملاء تُعالج الجوانب المختلفة لتاريخ الحضارة والنظم المتباينة عند المسلمين خلال عصور الحضارة العربية.

7-أن كتب الأمالي -وبتعدد النُسخ المخطوطة التي ظهرت لكل كتاب -كانت ولا تزال مادة خصبة للبحث والتحقيق من خلال الدراسات الأكاديمية في المعاهد والجامعات.

وعلى أية حال يمكننا القول إن ثمة مجموعة من المؤشرات يمكن الخروج بها بعد تناول ظاهرة إملاء وتدوين الكتب لدي العلماء والمؤلفين ابان عصور الحضارة العربية ومنها:

1. **تعدد وتنوع عناصر مجالس املاء وتدوين الكتب في الحضارة العربية حيث قامت على دعائم أو عناصر أساسية على رأسها: الشيخ أو الأستاذ الي جانب الطلاب والتلاميذ وكذلك المادة العلمية بالإضافة إلى مكان وموعد أو زمان الإملاء.**
2. **لم يتبع أصحاب كتب الأمالي نهجاً محدداً في إعدادها وتنظيمها وموضوعاتها وملامحها العامة وإنما خضعت لطرق شخصية وذاتية متباينة بشكل واضح من جانب أصاحبها.**
3. **تعد كتب الأمالي وما تضمنته من موضوعات شتي بمثابة الكتب الدراسية والتعليمية التي تعهدها العلماء وطلاب العلم بالدراسة والفحص والتحليل.**

4- كشفت كتب الأمالى عن مختلف الطرق السائدة في حمل العلم ونقله خلال الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها.

5- حددت كتب الأمالى لدي العلماء والمؤلفين ملامح نشأة وتطور العلوم وموضوعات المعرفة المتاحة آنذاك كاللغة والنحو والأدب والفقه والشعر ... الخ، بالإضافة إلى أنها عالجت الجوانب المختلفة لتاريخ الحضارة والثقافة في الحضارة العربية السائدة آنذاك.

مصادر ومراجع الفصل الأول

1-القاضي عياض بن موسى اليحصبى (479 -544هـ). الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع / تحقيق السيد احمد صقر. - ط1. – القاهرة: دار التراث، 1970. - ص 149.

2-ابن الصلاح، الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى (ت 643هـ). مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح / تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).- طبعة جديدة محررة .- القاهرة : دار المعارف ، 1989.- ص .368

3- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم. - ط2 .- القاهرة : دار إحياء السنة ، 1974.- ج 1 ، ص 83 .

4- روزنتال ، فرانز ، مناهج العلماء والمؤلفين في البحث العلمي / ترجمة أنيس أبو فرحة ، وليد عرفات . – ط4 .- بيروت : دار الثقافة .1983 .- ص 22، ص .23

5- الراغب الأصبهاني . محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / هذبه واختصره إبراهيم زيدان.- القاهرة : مكتبة الهلال ، 1920 .- ص .21

6- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . المزهر في علوم اللغة وأنواعها / شرحه وحققه محمد أحمد جاد المولى بك، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط3.- القاهرة : دار التراث ، [د . ت]. – ج2 ، ص 304 .

7 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150- 255هـ) . الحيوان / تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.- ط2 .- القاهرة : مطبعة مصطفي البابى الحلبي ، [د . ت] .- ج1 ، ص58 .

8-ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب. - بيروت: دار صادر، [د . ت] .- مج15، ص 291 .

9-الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد .- القاهرة : دار الحديث ،2008 .- ص .1556

10 -حاجى خليفة . مصطفي بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. - بغداد: مكتبة المتنبي،[د . ت] .- ج 1، ص161 .

11-عبد السلام محمد هارون . مجالس ثعلب / أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (200هـ -291هـ). - مصر: دار المعارف، 1956. - القسم الأول. - ص23.

12-- مصطفي الشكعة. مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب. - ط2. - بيروت: دار العلم للملايين، 1974. - ص341.

13-الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر . - مرجع سابق. - ص .67

14- الرامهرمزى ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (265- 360 هـ). المحدث الفاضل بين الراوي والواعي / تحقيق محمد عجاج الخطيب.- بيروت : دار الفكر ، 1981 .- ص 601 .

15-المباركفورى، أبو العلى محمد بن عبد الرحمن (1283 – 1353هـ) .- مقدمة تحفة الأحوذى : شرح جامع الترمذي / راجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان .- القاهرة : دار الفكر ، [د . ت]. - ج 1 .- ص ص 102 -104 .

16-حاجى خليفة . مصطفي بن عبد الله. مرجع سابق. - مج1، ص161، ص163.

17-القفطي، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط1 .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986 .- ج 2 ، ص 53 .

18-الزبيدي . أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ). طبقات النحويين واللغويين / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط1. - القاهرة: مطبعة الخانجى، 1954. - ص145.

19- القالي ، أبو على بن إسماعيل القاسم (ت 356هـ). كتاب الأمالى. - لبنان: دار الكتب العلمية، [د. ت]. - ج1، ص ص 1-2.

20 - العكبرى، أبو البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله (538 – 616هـ) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن .- ط1 .- بيروت : دار الكتب العلمية ,1979 .- ج1 ، ص1 .

21- الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد (977 - 1069هـ) . طراز المجالس. - القاهرة: المطبعة الوهبية ، 1864 . – ص .2

22- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) . المعيد في أدب المفيد والمستفيد. - ط1. - دمشق: المطبعة العربية، 1928.- ص .14

23- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / اعتنى به محمد بن مهدي العجمي. - ط3 مزيدة ومنقحة. - القاهرة: بيروت: درا البشاير الإسلامية: 2012. - ص 70.

24- منير الدين أحمد . تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري / ترجمة وتلخيص وتعليق سامي الصغار. - الرياض: دار المريخ ،1981. - مح1، ص83.

25- الأهواني ، أحمد فؤاد. التربية في الإسلام. - ط3. - القاهرة: دار المعارف، [د . ت]. - ص53.

26- الرامهرمزى ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (265- 360 هـ) .- مرجع سابق .- ص 186 .

27- متز ، آدم . الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري، أو، عصر النهضة في الإسلام / نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، رفعت البدراوي. - بيروت: دار الكتاب العربي ،1967. - مج1، ص333، ص334.

28- المبار كفوري، أبو العلى محمد بن عبد الرحمن (1283 – 1353هـ) .- مرجع سابق .- ص ص 102 – 103 .

29- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463 هـ) . تاريخ مدينة السلام: وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها / حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001. - مج 8، ص 104.

30 – المبار كفوري، أبو العلى محمد بن عبد الرحمن (1283 – 1353هـ). - مرجع سابق. - ص 104.

31- ابن النديم ، محمد بن اسحق . الفهرست / تحقيق ونشر شعبان خليفة، وليد محمد العوزه. – القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1991. - ج1، ص 167.

32-نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

33- الشريف المرتضى ، على بن الحسين الموسوي العلوي (355ه - 436هـ) . أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط1. - القاهرة: دار الفكر العربي، 1952. - المقدمة، ص .1

34 – الحكمي، حافظ بن أحمد (1342-1377هـ). أمالي في السيرة النبوية / تعليق أبى همام محمد بن على الصومعى البيضانى .- ط 2 .- مكة المكرمة : [د : ن] ، 1433.- 168 ص .

35- شعبان عبد العزيز خليفة . الأمالى. – مرجع سابق. - مج 5، ص.24

36- ابن النديم ، محمد بن اسحق .- مرجع سابق .- ج1 ، ص 116، ص 128 .

37 - نفس المرجع السابق .- ج1 ، ص 128

38- نفس المرجع السابق .- ج1 ، ص ص 129– .130

39- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

40- متز ، آدم .- مرجع سابق .- مج1 ، ص 335 .

41- ابن النديم ، محمد بن اسحق .- مرجع سابق .- ج1 ، ص .130

42- الشريف المرتضى ، على بن الحسين الموسوي العلوي (355- 436هـ) . مرجع سابق.- مج1 ، ص20 .

43 - الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / تحقيق محمد عجاج الخطيب. - ط3. - بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.- ج2 .- ص ص 79 – 84 .

44- ابن النديم ، محمد بن اسحق . - مرجع سابق. - ج1، ص .405

45- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف .- مرجع سابق .- ج2 ، ص 120 ، ص 130 .

46- الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد . تذكرة الحفاظ. - بيروت: دار الكتب العلمية، 1958. - ج 2، ص .621

47- المباركفورى ، أبو العلى محمد بن عبد الرحمن (1283 – 1353هـ) .- مرجع سابق ص .102

48- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463 هـ) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .- مرجع سابق .- مج2 ، ص 69 .

49- نفس المرجع السابق .- مج2 ، ص 71 .

50 - القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف .- مرجع سابق .- ج4 ، ص .12

51- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) .- مرجع سابق .- ص.54

52- نفس المرجع السابق .- ص.56

53- ابن النديم ، محمد بن اسحق . - مرجع سابق. - ج1، ص597.

54- ابن الشجري ، ضياء الدين أبى السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسن العلوي (450ه – 542هـ) . الأمالى الشجرية / تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحى. - القاهرة: مطبعة الخانجى، [د. ت]. المقدمة، ص .1

55- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) .- مرجع سابق .- ص.57

56- الشريف المرتضى ، على بن الحسن الموسوي العلوي . مرجع سابق. - مج1، ص.3

57 - ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) .- مرجع سابق .- ص 76 .

58- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / شرح ألفاظه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة. - بيروت: دار الكتب العلمية، 1996. - ج2، ص 82.

59- اليزيدى ، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك (ت 310 هـ) . الأمالى : فيها تراث وأشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها .- ط1 .- الهند : مطبعة جمعية دائرة المعارف ، [د. ت] .- 157ص .

60- ابن سمعون ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي (300 - 387 هـ) . أمالي ابن سمعون / دارسة وتحقيق عامر حسن صبري. - بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2002. - ص 11.

61- نفس المرجع السابق .- ص ص 120- 129 .

62- نفس المرجع السابق .- ص ص 264- 265 .

63- نفس المرجع السابق .- ص 27.

64- نفس المرجع السابق .- ص 120 .

65- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ) . لسان الميزان / اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة؛ اعتنى بإخراجه وطباعته سلمان عبد الفتاح أبو غدة. - ط 1. - بيروت: مكتبة المطبوعات الإسلامية، 2002. - ج 7، ص ص480 – 481.

66- الشيخ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت 413 هـ) . الأمالى / تحقيق علي أكبر الغفاري .- بيروت : دار التيار الجديد ؛ دار المرتضى ، [د . ت] .- ص 1 .

67- نفس المرجع السابق .- ص ص335- 350 .

68 - نفس المرجع السابق .- ص ص259- 259 .

69- نفس المرجع السابق .- ص ص252-258 .

70- نفس المرجع السابق .- ص ص11 - 13.

71- نفس المرجع السابق .- ص13 .

72- - ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . معجم الأدباء، أو ، إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب . - ط1. - لبنان : دار الكتب العلمية ، 1991.- مج 3 ، ص ص55- 56.

73- الفرَّاء ،محمد بن المحسن ابن أبى يعلى (380-458هـ) . (جزء فيه ستة مجالس من أمالي شيخ الحنابلة أبى يعلى الفراء) / قابله بأصوله وخرج أحاديثه محمد بن ناصر العجمي. - ط1. - بيروت: دار البشاير الإسلامية ,2004. - ص75.

74- نفس المرجع السابق .- ص ص 49- 56 .

75 - نفس المرجع السابق .- ص 84

76 - القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف .- مرجع سابق .- ج 2 ، ص ص 162 – 163.

77- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى حسن الأندلسي (508 /581هـ) أمالي السهيلي ، في النحو واللغة والحديث والفقه / تحقيق محمد إبراهيم البنا .- القاهرة : مطبعة السعادة ، 1970.- ص 12 .

78- نفس المرجع السابق .- ص57 .

79- نفس المرجع السابق .- ص ص57 – 59 .

80- نفس المرجع السابق .- ص34 .

81- نفس المرجع السابق .- ص45 .

82- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. - بيروت: دار الجيل ، 1992 .- ج 2 ، ص ص38- 40 .

83- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن حجر (773 - 852هـ) . الأمالى المطلقة / تحقيق وتعليق حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي، 1995. - ص 5.

84- نفس المرجع السابق .- ص7 .

85- نفس المرجع السابق .- ص11 .

86- نفس المرجع السابق .- ص ص 23 -27 .

87- نفس المرجع السابق .- ص ص 6- 7 .

88- نفس المرجع السابق .- ص 8 .

89- نفس المرجع السابق .- ص 145 .

90- نفس المرجع السابق .- ص 20 .

91- نفس المرجع السابق .- ص 36 .

92- نفس المرجع السابق .- ص 16 .

93- نفس المرجع السابق .- ص 23 .

94- الحكمي ، حافظ بن أحمد (1342 - 1377هـ) . أمالي في السيرة النبوية / تعليق أبى همام محمد بن على الصومعى البيضانى .- ط 2 .- مكة المكرمة : [د : ن] ، 1433 .- ص 13 .

95- نفس المرجع السابق .- ص 77 .

96- نفس المرجع السابق .- ص 62 .

97- نفس المرجع السابق .- ص51 .

الفصل الثاني

تدوين وتأليف الكتب في العصور الوسطي

تاريخ الكتابة والتدوين عند العرب والمسلمين:

اهتم العرب والمسلمون اهتماماً فائقاً بالمخطوطات العربية لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي والإسلامي فجعلوا منها تحفاً فنية ثمينة ، وتركوا فيها نتاجاً علمياً ضخماً ، وقد سلكوا مسالك شتى في هذه الصناعة فاهتموا بالتأليف والإملاء وجمع مادة الكتاب وتدوينها ومراجعتها وتهذيبها وإضافة ما ينبغي إضافته، وحذف ما لا ينفع ، وقد ازداد التأليف وتطور منذ القرن الثاني الهجري وخاصة بعد ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء التي حققت انتشارها في بغداد وأرجاء الحضارة العربية ، كما ازدهرت حركة الترجمة في العصر العباسي وأسهمت في ازدهار مهنة الوراقة وتوسع نسخ الكتب المترجمة .

إن الحضارة العربية كأي حضارة أخرى لم تظهر من العدم وإنما سبقتها حضارات شكلت مصادرها كالحضارة اليونانية والفارسية وغيرها وبالتدقيق في عناصر الحضارة العربية نجد أنها خليط من العنصر العربي وكذلك شعوب البلاد المفتوحة حيث انصهر كل منها في بوتقة النظام والشريعة الاسلامية.

لا يمكن لأي أمة من الأمم أن تقف على كافة جوانب التراث الفكري والعلمي للسابقين دون أن تتفهمه وتخرج ذلك في إطار علمي وحضاري ولن يتم لها ذلك إلا من خلال تدوين تراث السابقين إلى جانب الاهتمام بالإنتاج الفكري الذي يناسب عقيدة هذه الأمة ومبادئها وأصولها.

البداية التاريخية للكتابة عند المسلمين:

إن من يستعرض تاريخ العرب قبل الإسلام لا يستطيع أن يجزم القول بأنه كانت لديهم علوم او فنون وكان الجهل متفشيا فيهم كذلك الأمية كما جاء في قول الحق سبحانه وتعالى " هو الذى بعث في الأمين رسولا منهم يتلوا عليهم ءايته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين " .

لقد كانت الكتابة عند العرب قبل الإسلام محصورة في نطاق ضيق ومحدود لأن أسلوب حياتهم البسيطة لم يكن يتطلب كثرة الكتابة وموادها آنذاك فالكتابة عند أي أمة من الأمم تبدأ بين فئة قليلة من أفرادها وتظل محصورة بينهم ثم تأخذ في النمو والتطور مع مرور الزمن كذلك الحال بالنسبة للكتابة العربية فالإسلام دخل قريش وفيها سبعة عشر رجلا كلهم يكتبون وكذلك كانت هناك من النساء من يكتبن ولم تكن الكتابة معرفة على مستوى الأفراد فقط بل انتشر كذلك على مستوى القبائل والعشائر العربية .

وتعد الكتابة العربية من دعائم نشر تعاليم الأسلام وحفظ مبادئه كما أن الإسلام ذاته من أكبر دعائم نشر الكتابة واللغة العربية داخل جزيرة العرب وخارجها فقد حث القران الكريم على التعليم وكذلك السنة النبوية واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المعلمون سواء القراء أو الكتاب فالوحى يتطلب كتابا له والدولة بحاجة إلى مراسلات وعهود ومواسيق مما إلى زيادة أعداد الكتاب والنساخ ليسدوا حاجات الدولة الجديدة.

ومرت الكتابة واللغة العربية بمنعطف خطير بعد مرور عصر النبوة والصحابة ومجيئ عصر التابعين ودخول الأمم والشعوب الأخرى تحت راية الإسلام إذ كان من الطبيعي أن يلحنوا فيكون بلغة غير لغتهم فأدرك العرب المسلمون فداحة ذلك الخطر فعجلوا بإدخال الاصطلاحات التي من شأنها حماية اللغة العربية من اللحن الذي بدأ يدب فيها مما يؤدى إلى الخطأ في القرآن الكريم وعدم قراءته قراءة سليمة تؤدى المعنى والهدف المقصود منها وهو ما دعا العلماء إلى نقط الحروف وشكلها وضبط الكلمات والألفاظ لضمان نطقها بطريقة سليمة وصحيحة.

التدوين والتأليف عند المسلمين:

اقتصر التدوين في عصر النبوة والخلفاء الراشدين على القرآن الكريم والحديث الشريف ولم يكن التدوين بغرض التأليف وإنما اتخذ التدوين أغراضا أخرى تمثلت في نشر الدعوة الإسلامية وإدارة شئون الحضارة العربية وكانت الكتب في هذه الفترة عبارة عن صحف يدون عليها وربما كانت صحفا متفرقة ومبعثرة واقتصر دور المؤلف فيها على الجمع بعيدا عن الإبداع او الاختراع أو الاستنباط أو غيرها مما يمكن أن يطلق عليه تأليف أو مؤلفات.

وعندما ال الأمر إلى خلفاء بنى أمية بدأ الاهتمام بتدوين القصص والأخبار والتاريخ على يد معاوية بن أبى سفيان فقد ذكر صاحب الفهرست أن عبيد ابن شرية الجرهمي (ت 67هـ) وفد على معاوية بن ابى سفيان فسأله عن أخبار المتقدمين وملوك العرب العجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وكان قد استحضره من صنعاء اليمن فأجابه بما أمر فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية الجرهمي مما يوضح أن التدوين العام القريب من التأليف بدأ منذ منتصف القرن الأول الهجري تقريبا.

وقد كثر التأليف خلال العصر الأموي ـ في كتب التاريخ والأدب واللغة والنحو غير أن الإنتاج الفكري في شكل كتب كان أقرب إلى الرسائل والمقالات أو المباحث المفرد التي تتناول مسألة أو عدة مسائل وكان الكتاب بمثابة فصل من فصول الكتب الحالية فقد ذكر ابن النديم أنه رأى كتاب الأمثال لعلاقة بن كرشم وبلغ عدد صفحاته نحو خمسين ورقة.

وبدأت حركة التأليف تأخذ منحدرا جديدا مع ظهور حلقات الدروس ومجالس الإملاء وأصبح العالم يتعرض لأكثر من موضوع وذلك لا لمامه بأكثر من علم نظرا لتداخل العلوم والمعارف وتشابكها.

مواد الكتابة وأدواتها عند العرب والمسلمين:

استخدم العرب مواد عديدة ومتنوعة للكتابة وذلك من خلال ما توافر في البيئة التي كانوا يعيشون فيها، وكان لابد للمسلمين أن يستفيدوا منها.

ويمكن بيانها على النحو التالي:

العسب: بضم العين والسين، وهي جمع عسيب، يعنى الجريد الذي يوجد في الجزء الأعلى من النخل، حيث كانوا يقطعونه ثم يتركونه حتى يكون يابساً.

الكرانيف: وهي الجزء الملتصق بجذع النخلة (القحف)، وكان يفضل في الكتابة والتدوين نظراً لقدرته على استيعاب كم كبير من الكلمات والعبارات.

العظام: والمقصود هنا هو عظام الإبل والأغنام، وخاصة الأكتاف والضلوع حيث وكانت عريضة وبيضاء مما يسهل الكتابة عليها خاصة بالمداد ذو اللون الأسود.

اللخاف: والمقصود بها الحجارة الرقاق البيض، وكانت متوافرة بكثرة في البيئة الصحراوية التي تميز بها العرب، حيث الجبال والصخور.

أما الجلود فقد استخدم العرب منها ثلاثة أنواع وهي (الرق – الأديم – القضيم).

الرق: الجلود المرققة.

والأديم: الجلد الأحمر.

القضيم: الجلد الأبيض.

المهارق: وهي جمع مهرق، وهي كلمة فارسية الأصل، وتعني الأقمشة البيضاء التي تسقي بالصمغ ويكتب عليها.

وكانوا يدونون عليها الأمور الهامة كأمور الدين والعهود والمواثيق وكتب الأمان ... الخ. كما ذكر ذلك الأستاذ الدكتور السيد النشار. في كتابه: في المخطوطات العربية.

البردي:

وكانت مادة الكتابة فيه تؤخذ من الساق ثم تقسم إلى شرائح، منها ما يوضع بطريقة أفقية وأخري رأسية.

دخل البردي كمادة جديدة إلى العرب والمسلمين. وذلك بعد فتح مصر علي يد عمرو بن العاص، وهو عبارة عن نبات كان ينمو على ضفاف نهر النيل، يصل طوله من مترين إلى ثلاثة أمتار.

الورق:

وظهر الورق كمادة جديدة للكتابة والتدوين عند العرب والمسلمين بعد فتح سمرقند، عن طريق الأسري الصينيين، وما لبث أن بدأت مصانع الورق تنتشر بين العرب والمسلمين منذ عهد الرشيد خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). أي أن صناعة الورق بدأت من بغداد وانتقلت منها إلى بلاد المشرق والمغرب العربي والأندلس.

وقد تعددت وتنوعت أنواع الورق، وذلك مع التميز في صناعته في معظم البلدان العربية، ومن هذه الأنـواع:

الورق الطلحى: نسبة الى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بن طاهر.

الورق السليماني: نسبة الى سليمان بن راشد، عامل الخرج على خراسان

في عهد الخليفة الرشيد.

الورق الدمشقي: نسبة الى دمشق.

الورق المصري: نسبة الى مصر.

الورق البغدادي: نسبة إلى بغداد.

الورق السمرقندي: نسبة إلى سمرقند .....الخ.

ونلاحظ من خلال أسماء أنواع الورق أن كل اسم منها مرتبط باسم البلد أو المكان الذي تم فيه تصنيع الورق ذاته، أو نسبة إلى اسماء بعينها.

سادساً: الأدوات المستعملة في الكتابة العربية:

استخدم الإنسان العربي مجموعة من الأدوات للكتابة العربية إن وجود آية سورة القلم التي بدأت بقوله تعالى جل شأنه " ن، والقلم وما يسطرون" وفي سورة العلق أيضاً حينما ذكر الحق سبحانه وتعالى التعليم فقال " الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"، لأكبر دليل على معرفة العرب بالقلم وتوافره لديهم واستخدامهم له في الكتابة والتدوين، وإلا لما قال الحق ذلك.

وقد كانت الأقلام تصنع من سعف النخل أو من الغاب أو من القصب ، وعلى أية حال فقد كان الكاتب يقُط القلم ويبريه بالسكين، (حتى يكون صالح للكتابة ، كما كان يفعل طلاب مدرسة الخطوط - حتى وقت قريب) وذلك بعد وضع القلم على قطعة صلبة من الحجارة عرفت بـ " المقط " ، ثم يغمس القلم في " الدواة " المعدة لوضع المداد (المحبرة)، وكانت هذه الدواة تصنع من الخشب أو الحديد أو النحاس أو الفخار أو الزجاج ، وربما تم تحلية هذه الدواة بالذهب ، المهم أن الناسخ كان يأخذ منها ويدون ما يشاء من كلمات وجمل وعبارات ... الخ .

ولا شك أن أفضل الأقلام عند العرب قديما هو ما: يتخذ من القصب الأقل عقداً، والأكثر لحماً، والأصلب قشراً، والأعدل استواء.

ولم ينس الكاتب أو الناسخ العربي أن ينظف قلمه أولاً بأول حتى يكون صالح ولا يلتصق به المداد فيفسده وذلك باستخدام قطعة من الكتان أو الصوف. كما استعمل مقلمة مصنوعة من الخشب لوضع الأقلام بها بعد الانتهاء من الكتابة والتدوين، وربما وضع مع الأقلام أدوات أخرى للكتابة كالدواة مثلاً.

أما المداد، وسمى المداد بهذا الاسم نظراً لأنه يمد القلم بكل ما يحتاجه للكتابة والتدوين، وقد كان العرب يصنعونه إما من العفص والزاج والصمغ العربي والماء وبعض الملح والعسل، وذلك وفقاً لمقادير محددة ومعروفة لديهم، ويتم خلط هذه المكونات ووضعها على النار حتى تغلي، وتترك حتى تبرد، وبعد ذلك يوضع المداد في الدواة ليتم استخدامها في الكتابة ونسخ المخطوط.

وليس من شك في أن العرب قد ميزوا بين المداد الذي يدون به أي يستخدم للكتابة على كل نوعية من أنواع المواد المستعملة في الكتابة مثل: الرق، والبردي، والورق، والجلود .... الخ، إذ أنه كان لكل مادة طبيعتها الخاصة التي تتطلب أحباراً ومداداً يختلف بالطبع عن غيرها.

وقد كان المداد ذو ألوان مختلفة مثل اللون الأبيض واللون الأحمر واللون الأخضر ... وغيرها من الألوان، ولعل أشهرها والمفضل لديهم هو اللون الأسود، وربما يسأل القارئ لماذا اللون الأسود بالذات؟

والإجابة سهلة وبسيطة، وهي أن اللون الأسود ليس لكونه الأسهل والأقل تكلفة في الصناعة فقط، بل لأنه كان يتناسب مع لون الصحيفة (الأبيض) أيضاً، فتظهر الحروف بوضوح شديد، وكما يقولون " والضد يظهر عكسه الضد ".

والجدير بالذكر أن الكاتب والمؤلف كان يرتب مادته العلمية والموضوعية لكتابه الجديد، ويضعها في شكل مسودات ثم يقوم بتبيضها، وإخراجها للقراء لينتفعوا بما فيها من علوم معارف، وربما ظل الكتاب في مسودته ولا يخرج للناس منه شيء لينتفع ويستفيد منه الخلق والناس، فظلت كتبهم ومؤلفاتهم في مسودات ولم يخرج منها للناس شيئاً أو كتاب تام.

وهذه هي أهم عناصر ومقومات صناعة المخطوط العربي التي شاع استعمالها بين ربوع العالم العربي، والتي كان لابد من توافرها بين طلاب العلم والدارسين والمثقفين بشتى فناتهم، خاصة مع النهضة العلمية والثقافية التي شهدتها الحضارة العربية.

الانتحال والتزوير في المخطوطات:

من المؤكد أن التلاعب في المخطوطات قضية قديمة، ولا تزال منتشرة بل إنها ستبقى طول الزم وعلى مر الدهر لأنها حتماً مرتبطة ارتباطا شديداً بالنفوس الضعيفة التي تجرى وراء الكسب المادي من وراء هذه الكنوز التي من المفترض أن نحافظ عليها ليبقى تراثنا باقياً أمام الأجيال.

كما ظهرت القضايا المتعلقة بالانتحال والنحلة فكم ورد ذلك في الببليوجرافية العظيمة للببليوجرافي المعروف محمد بن اسحق النديم صاحب ببليوجرافية الفهرست، فصفحات هذه الببليوجرافية مليئة بالأمثلة على ذلك، وليس المجال هنا لذكر الأمثلة، وإنما سنذكرها في مكانها المناسب.

وقد تعددت وتنوعت أشكال التزييف والتغيير في المخطوطات ومن ذلك:

تغيير الحقيقة أثناء النسخ.

التزييف المادي للمخطوط مثل التلاعب في الورق والزخرفة والتذهيب ... الخ.

التزييف الكلى.

التزييف الجزئي.

وتتعدد وتتنوع أساليب التزييف ومع ذلك تتنوع أسبابه ومبرراته من مزيف إلى آخر، ونذكر من تلك الأسباب والمبررات ما يلي:

الحصول على الكسب المادي السهل والسريع.

الخوف من عقوبة ما.

الأمور الدينية والمذهبية.

الخطأ أو الجهل من النساخ أو الوراق.

الشهرة أو الترقية العلمية.

الحسد والبغضاء بين المؤلفين والعلماء.

مصادر ومراجع الفصل الثاني:

1- أحمد شوقي بنين . دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي. – ط1. – الرباط: كلية الآداب، 1993

2- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله . المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات: إنجليزي عربي. – الرياض: دار المريخ للنشر، 1988.

3- أحمد فؤاد الأهوانى . التربية في الإسلام. – ط2. – القاهرة: دار المعارف، [-197].

4-أيمن فؤاد سيد . دار الكتب المصرية: تاريخها وتطورها. – القاهرة مكتبة الدار العربية للكتاب، 2005.

5-السيد النشار. في المخطوطات العربية. - الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 2000.

6-السيد الصاوي. دراسات في المخطوط العربي. - طنطا: [د. ن]، 2007.

7-الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر. الحيوان / تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. - ط2 .- القاهرة : مطبعة مصطفي البابي الحلبى ، [د . ت].

8-حسام الدين عبد الحميد محمودء المنهج العلمي لعلاج وصيانة المخطوطات والأخشاب والمنسوجات الأثرية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

9- حسن محمد عبد الشافي . الإعداد الفني للكتب في المكتبات: الفهرسة والتصنيف. – القاهرة: جمعية المكتبات المدرسية، 1976.

حسن محمد عبد الشافي، جمال شعلان. مقدمة في الفهرسة والتصنيف. - القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 1994.

10-حسين أتاي، منهج البحث العلمي في القرآن الكريم. في: مجلة العلوم الإسلامية. - قسطنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 3 (كانون الثاني 1992).

11- ربحي مصطفي عليان . أسس الفهرسة والتصنيف للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات العربية. - ط 1. - عمان: دار صفاء النشر والتوزيع، 1999.

12- روزنتال ، فرانز . مناهج العلماء والمؤلفين في البحث العلمي / ترجمة أنيس أبو فرحة، وليد عرفات. – ط4. – بيروت: دار الثقافة .1983.

14- السمعانى ،عبد الكريم بن محمد . أدب الإملاء والاستملاء. - ط1. - بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

15– الشريف المرتضى، على بن الحسين الموسوي العلوي (355-436هـ). أمالى المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط1. – القاهرة: دار الفكر العربى، 1952.

16-شعبان عبد العزيز خليفة، محمد عوض العايدي. موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات. – الرياض: دار المريخ، 1990.

17-شعبان عبد العزيز خليفة . دار الكتب القومية في رحلة النشوء والارتقاء والتدهور. - القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، 1991.

18-شعبان عبد العزيز خليفة. الأمالي: في: دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، مج5 (يناير 2001).

19-شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات في العصور القديمة. – القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001.

20 -شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات في العصور الوسطى. – القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001.

21-عابد سليمان المشوخى. التزوير والانتحال في المخطوطات العربية. - ط1. – الرياض: [د. ن]، 2001.

22-عبد الستار الحلوجى. المخطوطات والتراث العربى. - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2001 .

23-عبد الستار الحلوجي. نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط. في: المورد (مجلة تراثية فصلية). - بغداد: وزارة الإعلام، م 5، ع1(1976).

24-عبد الستار الحلوجى. المخطوط العربي. - جدة : مكتبة مصباح ، 1989 .

25-عبد السلام هارون . التراث العربى. القاهرة: دار المعارف، 1987. – (سلسلة كتابك؛ ع 35).

26-عبد اللطيف صوفي. لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات. - دمشق: دار طلاس للنشر، 1987.

27-عبد المعز شاهين. الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات، والوثائق التاريخية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب 1990.

29-عبد المنعم عمر. دار الكتب في عهد الثورة. - القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.

30- العكبرى ،أبى البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله (538هـ - 616هـ) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن .- ط1 .- بيروت : دار الكتب العلمية ، 1979 .

31- فؤاد سيد . مخطوطات دار الكتب. في: مجلة معهد المخطوطات العربية، 1955.

32- فوانا ثان . الفهرسة: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية / ترجمة حشمت قاسم ومحمد فتحي عبد الهادي .- القاهرة : جمعية المكتبات المصرية ، 1970 .

33- فيصل الحفيان . فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا. – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1999.

34-محمد فتحي عبد الهادي. المدخل إلى علم الفهرسة. – ط 3، مزيدة ومنقحة ومراجعة. – القاهرة: مكتبة غريب، 1997.

34-محمد فتحي عبد الهادي . مقدمة في علم المعلومات. – القاهرة: مكتبة غريب،1994.

35-محمد التونجي . المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات. - القاهرة: عالم الكتب، 1986.

36-محمد ماهر حمادة . المكتبات في الإسلام. – ط7. – بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.

37-مصطفي أبو شعيشع . نشأة علم الوثائق عند المسلمين. في: مجلة عالم الكتب، مج 10، ع2 (مايو 1989).

38- منير الدين أحمد . تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري/ ترجمة وتلخيص وتعليق سامي الصغار .- الرياض : دار المريخ ، 1981 .

39- متز ،آدم . الحضارة العربيةفي القرن الرابع الهجري، أو ، عصر النهضة في الإسلام / نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده ،رفعت البدراوي .- بيروت : دار الكتاب العربي ،1967 .

40 - هونكة ، سيجريد . شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا. - ط5 ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي. - بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981م.

41- هيسيل ، ألفرد . تاريخ المكتبات / نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة. - القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1996.

42– يوسف العش. دور الكتب العربية العامة وشبه العامة ... / ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ. - ط1. - دمشق: دار الفكر، 1991.

الفصل الثالث

إصلاح وتصحيح الكتب في الحضارة العربية

مقدمة:

يعد إصلاح وتصحيح الكتب أحد المهام العلمية والفكرية التي كان يقوم بها العلماء والمؤلفين تجاه بعض الكتب والمؤلفات بغرض تنقيح وتصحيح ما بها من أخطاء حدثت عمداً أو سهواً ، حتى تصل إلى أيدي الناس صحيحة ودقيقة ، إذ أن الخطأ أمر ملازم لطبيعة البشر طالما لم يُكتب لها الكمال ،ومهما بذل المؤلف من جهد في ضبط كتابه فإنه قد يخرج للناس وبه أخطاء ، وقد وجد إصلاح وتصحيح الكتب اهتماماً كبيراً لدى العلماء والمؤلفين حتى عدوه ضرباً من ضروب التأليف ، وكان الحذر كل الحذر أن يتصدى لإصلاح وتصحيح الأخطاء الواردة بالكتب إلا من كان ثقة وأهلاً لذلك ولديه من الخبرة ما يكفل له النهوض بها .

إذا كان تصنيف وتأليف الكتب أمراً صعباً فإن إصلاح ما بها من أخطاء يُعد أمراً بالغ الصعوبة ، وكان الاهتمام المستمر بإصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين لأنها تكشف عن أخطاء وقع فيها من قام على تأليفها وتصنيفها ، سواء كانت هذه الأخطاء شكلية بسبب تعدد نُسخ ورواية الكتاب الواحد في أكثر من مكان وزمان ، أو أخطاء تتعلق بالمحتوى الفكري والعلمي ، بالإضافة الي أن عمليات إصلاح وتصحيح الكتب عند العلماء والمؤلفين كانت تقف جنباً إلى جنب مع الكتب المؤلفة في كل فن وعلم ، فضلاً عن دورها في عرض العلوم والمعارف بشكل صحيح ودقيق عبر العصور ، إلى جانب بناء مجتمع معرفي يقوم على ركائز وأسس علمية سليمة.

وتبدو أهمية دراسة موضوع إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات إلى عدة أسباب يمكن بيان أبرزها من خلال عنصرين أساسيين هما:

1-أن إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات لقي عناية كبيرة من جانب العلماء والمؤلفين المسلمين حتى تخرج المؤلفات لطلاب العلم والدارسين في أفضل وجه ممكن، سواء فيما يتعلق بأمور الضبط والشكل أو المضمون والمحتوى العلمي، فضلاً عن أن إصلاح وتصحيح الكتب كان له دور أساسي في الحياة العلمية والتعليمية والثقافية.

2-أن موضوع إصلاح وتصحيح الكتب لم يحظ بالاهتمام المطلوب من حيث الدراسات البحثية المستقلة والمنفردة، لذا كان الاهتمام بدراسته وتحديد طبيعته ومعالمه وأهميته ومبرراته، بالإضافة إلى تحديد الطرق المتبعة والسائدة في إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات لدى العلماء والمؤلفين.

يسعى هذا الفصل إلى التعرف على مجموعة من الجوانب المتعلقة بإصلاح الكتب في الحضارة العربية، والتعرف على جهود العلماء والمؤلفين في سبيل إصلاح وتصحيح الأخطاء التي وردت في ثنايا الكتب والمؤلفات، ويمكن بيان ذلك من خلال دراسة مجموعة من المحاور ويأتي في مقدمتها:

1-التعرف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الإصلاح والتصحيح.

2-بيان مدى مشقة إصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين.

3-بيان أن إصلاح وتصحيح الكتب كان أحد ضروب التأليف لدى العلماء والمؤلفين.

4-التعرف على مدى انتشار إصلاح وتصحيح الكتب لدى العلماء والمؤلفين.

5-تحديد مدى علاقة ارتباط الإصلاح والتصحيح بالعرض والمعارضة.

6-التعرف على أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين.

7-بيان طرق إصلاح وتصحيح المؤلفات لدى العلماء والمؤلفين.

وقد ركز الباحث في هذا الفصل على ظاهرة إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند العلماء والمؤلفين المسلمين، دون النظر إلى موضوعات العلوم والمعرفة التي خضعت لإصلاح وتصحيح الكتب فيها. فضلاً عن اهتمام الباحث ببيان ظاهرة إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند العلماء والمؤلفين المسلمين بدءاً من عصر المخطوطات وحتى عصر المطبوعات في شتى ربوع الحضارة العربية، سواء في بلاد المشرق أو المغرب أو بلاد الأندلس، وذلك بغرض الخروج بصورة شاملة تغطى كافة جوانب الموضوع الحالي.

تقديـــــم:

لقد أدرك العلماء والمؤلفين ما يعتريهم من نقص وقصور أثناء تأليف كتبهم ومؤلفاتهم ، فقد يُراجع المؤلف كتابه بعد خروجه للناس ويصحح ما يعتريه من أخطاء في حينه ، وربما لم يتمكن من إصلاحه وتركه دهراً طويلاً فيكون من الضروري إصلاح كتابه وتصحيحه لأنه أضحى " مُتقادم الميلاد دَهري الصنعة "[2] ، فبعض الكتب قد حظيت باهتمام كبير بين العلماء وطلاب العلم وعُقدت لأجلها المجالس والندوات ، ولكن كلما تعاقبت عليها السنين بدت مساوئها وعيوبها ، فكان ذلك أدعى إلى مراجعتها وإعادة النظر فيما تتضمنه من علوم ومعارف حتى يتبين مدى حاجتها إلى الإصلاح والتصحيح ، لضمان بقاء المؤلفات صحيحة وسليمة يتناولها العلماء وطلاب العلم والدارسين بكل أمان واطمئنان .

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإصلاح والتصحيح:

ذكر ابن منظور أن " الصلاح ضد الفساد، صلح يصلَح، والإصلاح نقيض الفساد وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه [3]، ولم يختلف عن المعنى السابق ما ذكره الفيروز أبادي حيث نص على أن " أصلحه ضد أفسده، واليه أحسن. [4] أما المعجم الوسيط فذكر أن " أصلح في عمله أو أمره بما هو صالح نافع، وأصلح الشيء: أزال فساده. [5]

قد يُقصد بكلمة إصلاح وتصحيح الكتب " التحرير " لأن تحرير الكتب يعني إصلاح الكتب وتجويدها، وحرر الكتاب يعنى: أصلحه وجود خطه [6]، وقد ذكر صاحب خلاصة الأثر أنه لما اطلع على كتاب سلافه العصر في شعراء أهل العصر وتاريخ الشيخ مدين المصري لم يكتف بالجمع بل أضاف " الي تلك الأخبار، المواليد والوفيات حسبما حررته من التعاليق التي هي بهذا الغرض وافيات ". [7] فعَد هذا التحرير من بين أمور التصحيح والإصلاح التي أراد لها أن تُوجد فيمن أرخ لحياتهم وترجم لهم من أعيان القرن الحادي عشر.

أما الشخص الذي يتولى مهمة إصلاح وتصحيح الكتب فإنه يُعرف بالمصحح (Reviser) وهو مصطلح يطلق علي " من يقوم بمراجعة وتصحيح عمل شخص آخر أقل منه كفاءة عادة ".[8] علي اعتبار أن ذلك يتطلب عالماً خبيراً له من الكفاءة والمهارة ما يؤهله للنهوض بها .

أما مصطلح إصلاح وتصحيح الكتب من وجهة نظر العلماء والمتخصصين في مجال المكتبات فإنه يعني " مراجعة المادة العلمية وتصحيح ما بها من أخطاء سواء في المعلومات والبيانات أو في الأسلوب وقواعد اللغة، وعادة ما يكون المُصحح أعلي مرتبة من المؤلف أو الناقل وأكثر رسوخاً في العلم، ورغم شيوع الإصلاح في الكتب العادية إلا أنه أكثر شيوعاً في الكتب المنقولة علي وجه الخصوص ".(9)

ثانياً: مشقة إصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين:

تبدو الكتب والمؤلفات في بداية ظهورها مشرقة ومضيئة ، وبعد مرور فترة من الزمن ،وبعد تدقيق النظر فيها وتحليل محتوياتها وفحصها فحصاً جيداً يتضح وجود بعض الشوائب في مواضع بعينها ، أو وجود خلل أو سهو أو خطأ حدث نتيجة إهمال أو غفلة من المؤلف ذاته أو من جانب الناسخ ، وأياً كان السبب فقد حرص العلماء والمؤلفين على تنقيح ومقابلة وتصحيح الكتب ، إذ كان من الشائع عندهم أنه " لا يُضيء كتاب حتى يُظلِم ، يريد إصلاحه "(10) ، ولم يجدوا غضاضة في أن يعترفوا بتقصيرهم في التأليف والتصنيف ، وعدم ادعاء الكمال لها ، فأحدهم يعترف بذلك قائلاً " ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولابد أن يوجد فيها الخطأ (11) لأن الله تعالي يقول " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً "(*) ، وقد اعتاد كثير من العلماء والمؤلفين على ذكر ذلك في مقدمات كتبهم ، كما كان الواحد منهم يُقر بأنه اجتهد قدر طاقته في البحث والجمع والترتيب والتنظيم ليخرج كتابه في أفضل حال ، كما يقدم الاعتذار عما قد يوجد في كتابه من نقص أو سهو أو تقصير .(12)

أقر العلماء والمؤلفين بإصلاح وتصحيح الكتب، وأضحى أمراً معتاداً ومعهوداً لديهم، لكن ذلك لم يمنع بعضهم من الغضب إذا حاول شخص أن يُغير أي شيء في كتابه حتى ولو كان ذلك بغرض تصحيحه وإصلاحه أو اختصاره .... الخ بل وصل إلى حد الدعاء على من يقترب من ذلك ،فيؤكد علي أن من " حرف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيَّره أو بدله أو اختصره ... فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره و يحار له فكره ، وجعله الله مثله للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين ... ولم يكتف بهذا التخويف في مقدمة كتابه بل جعله في ختامه ظناً منه أن ذلك سيكون " رادعاً لمن ميله هوى، أو غلبه شقاء، فليراقب أمر ربه، وليحاذر

سوء منقلبه ، فالمدة يسيرة ، والمسافة قصيرة "[13] ولم يفطن إلى أن المؤلف لا يمكن أن يضمن لكتابه الحصانة المطلقة ، فالكتب تنتشر في كل مكان وزمان ، تتلقفها أيادي العلماء والنقاد من أهل الخبرة والصنعة بالتحليل والنقد وإصلاح وتصحيح ما بها من خلل أو نقص أو أخطاء .

قد يكون كشف الخطأ سهلاً في بعض الأحيان لكن إثبات الصواب مكانه يحتاج إلى التوثيق والأدلة والشواهد وخاصة مع وجود احتمالات متعددة للخطأ؛ موزعة بين الناسخ والراوي والمؤلف [14]، فالإصلاح والتصحيح عملية شاقة ومرهقة وأكثر تبعة لما تتطلبه من قدرات ومهارات قلما تتوافر في كثير من المؤلفين والعلماء.

ويجب علي المؤلف أو الكاتب الذي يتصدى لهذا الأمر أن يكون علي دراية تامة بتبعاتها إذ أن " إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني : أيسر عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يرده الي موضعه من أمثلة الكلام ، فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب ، وأعجب من ذلك أن يأخذ أمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح صلاحاً "[15] ولكي يتحقق له ذلك كان عليه أن يضع نُصب أعينه على مواطن الخطأ والزلل ومواطن الصحة في الكتاب ويميز بينهما ، ليتمكن من أداء مهمته في الإصلاح والتصحيح على الوجه المطلوب .

ويبدو أن إصلاح وتصحيح الكتب كان أمراً صعباً وخطيراً لدرجة جعلت بعض المؤلفين والمؤرخين مضطراً الي نقل المعلومات والأخبار المدونة بمؤلفات السابقين كما هي دون أن يُصحح ما بها من أخطاء مثلما ذكر صاحب " معجم البلدان" أن بعض المعلومات التي يَشك فيها وإن كانت باطلة فلها في الحق شرك ونصيب ... ثم علل ذلك بقوله " لأنني نقلتها كما وجدتها ".[16]

حرص بعض العلماء والمؤلفين على أن لا يُلقوا بالتبعة علي أنفسهم في وجود الأخطاء أو في نقلهم معلومات وبيانات خاطئة لم يتم تصحيحها من قبل لأن المسئولية الأولي -من وجهة نظرهم -تقع علي عاتق من نقلوا عنهم، وليس لهم دور في ذلك سوى النقل، كما قال ابن جرير الطبري المتوفي سنة310هـ " إن بعض من يقرأ الكتاب قد يجد عند بعض الماضيين ما يستنكره، ويعلل ذلك بأن هذه الأخطاء لم تأتى منه، وإنما من قِبل من نقل عنهم، وأنه نقله علي النحو الذي وصل اليه دون تعديل أو تغيير.[17]

ثالثاً: الإصلاح والتصحيح كأحد دروب التأليف:

تعددت وتنوعت ضروب التأليف عند العلماء والمؤلفين، ويعد إصلاح وتصحيح الكتب ضرباً منها باعتباره أحد الركائز الأساسية في شتى فروع العلوم، كما عَده بعض العلماء نوعاً من أنواع التجديد، إذ أن الابتكار والتجديد لم يكن دوماً يعني السبق والإتيان بالجديد الذي لم يكن موجوداً قبل ذلك، وإنما كان يعني التجديد فيما كان موجوداً وشَكله أو حتى صياغته بشكل أفضل "[18] مما كان عليه لينتفع به أكبر عدد ممكن من طلاب العلم والدارسين.

حصر العلماء والمؤلفين التأليف في سبعة مقاصد ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها، وهي: الاستنباط، التفسير، إصلاح وتصحيح الخطأ، إتمام النقص، الترتيب والتنظيم، الجمع، التلخيص والاختصار [19]، ولم تختلف أقسام التأليف عند حاجى خليفة المتوفي سنة 1068هـ كثيراً عما سبقه من العلماء، حيث رأى أن أقسام التأليف سبعة، لا يؤلف عاقل إلا فيها وهي: [20]

1-شيء لم يسبق اليه فيخترعه.

2-شيء ناقص يُتممه.

3-شيء مُغلق يشرحه.

4-شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه.

5-شيء مُتفرق يجمعه.

6-شيء مُختلط يرتبه.

7-شيء أخطأ فيه مصنفه فيُصلحَه.

من خلال دراسة وتحليل أقسام التأليف عند حاجى خليفة يتضح أنها تسير على النحو التالي:

القسم الأول: السبق والاختراع.

القسم الثاني: التتمة أو التكملة.

القسم الثالث: الشرح والتفسير.

القسم الرابع: الاختصـــار.

القسم الخامس: الجمع.

القسم السادس: الترتيب والتنظيم.

القسم السابع: الإصلاح والتصحيح.

ولم يعتبر العلماء والمؤلفين وحدهم أن إصلاح وتصحيح الكتب أحد أقسام التأليف بل كان الكُتَّاب والمؤلفون في الغرب يؤكدون على أنه نوع هام من أنواع التأليف، فأحد الكتاب الفرنسيين -خلال القرن السادس عشر الميلادي -ويدعى جان بودان Jean Bodin" " رأى أن أنواع الكتابة والتأليف ثلاثة، وهي :[21]

1-اكتشاف الأشياء وجمع المواد.

2-ترتيب المعلومات وتنظيمها بلغة رفيعة.

3-تصليح الأخطاء الواردة في الكتب القديمة.

وتدور الأنواع الثلاثة السابقة في إطار السبق والاختراع والجمع وكذلك الترتيب والتنظيم بالإضافة الي إصلاح وتصحيح مؤلفات وكتب السابقين.

ويمكن القول إنه مهما تنوعت وتعددت أقسام وضروب الكتابة والتأليف فانه من الضروري أن يكون إصلاح وتصحيح الكتب من بينها، ولم يكن ذلك موجوداً خلال الحضارة العربية فحسب بل كان من الثوابت إبان الحضارات الأخرى أيضاً، على اعتبار أن إصلاح وتصحيح الكتب هو السبيل الوحيد لتجويد وضبط البيانات والمعلومات التي وردت في كتب ومؤلفات السابقين.

رابعاً: انتشار إصلاح وتصحيح الكتب لدى العلماء والمؤلفين:

انتشرت عمليات الإصلاح في الكتب والمؤلفات عند المسلمين حتى حملت بعض الكتب عناوين المصطلح ذاته وذلك للدلالة علي ما تم من عمليات تنقيح وتهذيب وتقويم للمحتوي العلمي نظراً لوجود أخطاء كثيرة بها تدعوا لوجود كتب ومؤلفات جديدة ، ومن ذلك ما ورد في ببليوجرافية " كشف الظنون " من كتب للإصلاح والتصحيح ، والتعليق على بعضها ، مثلما ذكر أن كتاب " إصلاح الوقاية في الفروع " للمولي شمس الدين أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفي سنة 940هـ " غَير متن الوقاية وشَرَّحه ، ثم شَرَحه وسماه الإيضاح ، لأنه وجد أن كتاب الوقاية المذكور كان به مواضع سهو وذلل وخبط وخلل ، فأراد تصحيحه وتنقيحه وذلك من خلال الحذف والإثبات والتبديل ".[22]

كما ذكر صاحب تراجم الأطباء " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " كتاباً بعنوان " كتاب إصلاح مقالات يوحنا بن سرابيون لأبي الحسن الحرابي المتوفي سنة 365هـ ، وهو كتيب يحوي معلومات عامة وإرشادات للأطباء .[23] فضلاً عن ما ذكره جمال الدين القفطى المتوفي سنة 624هـ في أخبار الزجاجي أبو القاسم ، عبد الرحمن بن اسحق النحوي المتوفي سنة 340هـ عن كتابه " الجُمل " حيث تعرض له البطليوسى وصنف فيه كتاباً سماه " الحُلل ، في إصلاح الخَلل ، الواقع في كتاب الجُمل ".[24]

وثمة بعض الكتب وقع أصحابها في أوهام وأغلاط أثناء تأليفها أو أثناء إملائها في مجالس الإملاء ، وذلك من غير تجنى على أصحابها ، بل من خلال سرد الشواهد والأدلة التي تثبت صحة كلامهم وتؤكد صدق ما دونوه ؛ فكُتب الأمالى أيضاً لم تسلم من الإصلاح والتصحيح لِما وقع فيها من أخطاء مثلما فعل أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفي سنة487هـ حيث ألف كتاباً في " التنبيه على أوهام أبى على القالي في أماليه ، وهو كتاب إصلاح لما أتاه أبو على القالي من الأوهام والأخطاء في أماليه ، وأكد على أن " هذا كتاب نبهت فيه على أوهام أبى على – رحمه الله – في أماليه ... تنبيه المصنف لا المتعسف ولا المعاند ، مُحتجاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل ".[25]

خامساً: ارتباط الإصلاح والتصحيح بالمعارضة (المقابلة):

اهتم العلماء والمؤلفين بعرض النسخة أو الكتاب علي نسخة أخرى صحيحة، وهو ما كان يعني عندهم بالمعارضة؛ أي معارضة المخطوطة المراد التحقق من صحتها بمخطوطة للمؤلف كتبها بخط يده أو مخطوطات أخرى تمت مراجعتها على المؤلف ذاته، وقد يدفع المؤلف كتابه إلى أحد العلماء والمؤلفين الثقات ليراجعه وينقحه ويصحح الأخطاء الواردة بها قبل أن يُخرجه للناس.

حض العلماء والمؤلفين ذوى الخبرة في التأليف علي ضرورة أن تُعرض الكتب والمؤلفات ليتم تحريرها وإصلاحها وتصحيحها ، وعدم الإهمال في ذلك لأن الكتب عرضة لحدوث الأخطاء بها ، فإذا عُرض الكتاب خرج سليماً وصحيحاً من ناحية الشكل والمحتوى ، أما إذا نُسخ الكتاب ولم يُعارض ، ثم نُسخ ولم يُعارض : خرج أعجمياً [26] ومبهماً من كثرة ما به من أخطاء وخَلل ، فيفقد الكثير من قيمته العلمية والفكرية ، ويكون عُرضة للنقد من جانب العلماء والمؤلفين ، مثلما عرض أحدهم كتابه علي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فمحا منه كلمات وعبارات حتى أصلحه تماماً ".[27]

اهتم المؤلفون المسلمون اهتماماً بالغاً بعملية المراجعة المستمرة لكتبهم ومؤلفاتهم، وثبت عنهم ما يؤكد حرصهم الشديد على مراجعة كتبهم بأنفسهم أو يطلبون من غيرهم مراجعة ما دونوه في كتبهم وتنقيحه وتحريره حتى يخرج للناس في صورة جيدة، فقد حذر ابن جماعة المتوفي سنة 733هـ من إخراج المؤلفات قبل تهذيبها وتحريرها ومراجعاتها.[28]

وجرت العادة على أن يقوم المؤلف بتحرير وإصلاح كتابه بنفسه بعد الفراغ من تدوينه وتسويده أو حتى بعد نشره وتداوله في أسواق الورقة (النشر) ، بغية الاطمئنان على مدى صحته ودقته وخلوه من الأخطاء والعيوب طالما أُتيحت له الفرصة لذلك، وقد يدفعه إلى أحد العلماء أو المؤلفين ممن وثق في علمه وخبرته ليُحرره ويصححه ، وقد تطول فترة تحريره أو تقصر وفقاً لعوامل متنوعة ؛ فكتاب " طراز الذهب في أدب الطلب " انتهى من تسويده السمعاني المتوفي سنة 562هـ ، في سنة إحدى وأربعين وخمس مائة ، وفرغ من تحريره محمد بن أبى القاسم الحفصي في سنة ست وأربعين وخمس مائة.[29] ، أي أن تحرير هذا الكتاب وتصحيحه استغرق خمس سنوات كاملة، إذ أنه يقع في عدة أجزاء - كما ذكر مؤلفه - من ناحية ، وحتى يستوفي شتى شروط الضبط والتصحيح والإتقان من ناحية أخرى .

وقد يرى المؤلف بعد الانتهاء من التأليف ضرورة تزويد كتابه ببعض الإضافات أو يُلخصه أو يُهذبه لخدمة أغراض جديدة لم تكن موجودة عند خروج الإصدارة الأولى من هذا الكتاب، وربما لا يُضيف إلى كتابه ولا يُغير فيه طالما لم تقتضي الضرورة ذلك.

سادساً: أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين:

تعددت أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين وفقاً لعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها التصحيف والتحريف في الأسماء والألفاظ والمصطلحات أثناء مجالس الإملاء التي كان تعقد خلال عصور الحضارة العربية، وكذلك السهو والغفلة أثناء تأليف الكتاب أو تدوينه ونسخه، إلى جانب تعدد نُسخ الإملاء، فضلاً عن حدوث أخطاء علمية وفكرية في معالجة موضوع بعينه، وفيما يلي بيان هذه الأخطاء بشيء من التفصيل:

1- التصحيف والتحريف في الألفاظ والأسماء:

يؤدي التصحيف والتحريف إلى الوقوع في أخطاء لا تتفق وطبيعة الغرض الذي دونت من أجله مما يترتب عليه الوصول إلى تفسيرات خاطئة ، ولأن التصحيف هو " كتابة الكلمات والألفاظ أو قراءتها على غير صحتها ، لاشتباه في الحروف[30] **وأن تحريف الكلام قد يكون بالزيادة فيه أو النقص منه ، وتغيير الحرف أو الكلمة عن معناها** [31] **، وبسبب التصحيف والتحريف اهتم العلماء والمؤلفين بالضبط والتحقيق شكلاً ولفظاً في كتبهم ومصنفاتهم لأنه غالباً ما يقع نتيجة كثرة النقل والرواية عن الآخرين دون تحرى الصحة والدقة ، وعليه فإن من يضع المَلامة في وقوع التصحيف إلى الاعتماد على الأصول المكتوبة مصيب في ملامته ".**[32]

إن المؤلف المبدع قلما يقع في مثل هذه الأخطاء لأنه يُفكر ملياً قبل أن يبدأ بالفعل في تدوين كتابه، كما أنه يضع كل كلمة أو لفظ في المكان الملائم له، فضلاً عن أنه يَحذر كل الحذر في أن يختلط الأمر على القارئ في فهم معاني غير مقصودة على الإطلاق، على اعتبار أن التصحيف في المعنى يُعد أحد أنواع التصحيف". [33]

وقد تنبه بعض المؤلفين إلى ما يمكن أن يحدث من تصحيف أو تحريف في مواضع بعينها في مؤلفاتهم فأشاروا إلى ذلك ، مثل صاحب " تاريخ جرجان " حيث تناول التصحيف في كلمة " جرجان " ذاتها ومن ينتسب اليها، ورأى أنه قد يقع التصحيف في الجرجاني ذاتها ، لأنها كلمة بهذه الهيئة والصورة من الممكن أن يُخطأ المرء إذا نظر فيها ويُصَحف القارئ إذا قرأها، ما لم يتم ضبطها شكلاً ولفظاً ، وحاول أن يُفرق بينها وبين كلمات أخرى على شاكلتها ليَسلَم القارئ من التصحيف ويأمن من الغلط ، ثم ساق الكلمة ضمن سبع كلمات قد يقع فيها التصحيف على النحو التالي: [34]

1- الجرجاني : بجيمين بينهما راء .

2- الخرخاني : بخاءين بينهما راء .

3- الخرجاني : بخاء وجيم بينهما راء .

4- الجرخاني : بجيم وخاء بينهما راء .

5- الجوخاني : بجيم وخاء بينهما واو .

6- الخوجاني: بخاء وجيم بينهما واو .

7- الخوجَّاني: بخاء وجيم مشددة بينهما واو .

وقد أبان المؤلف عن الفروق بين كل كلمة من هذه الكلمات السابقة وشرحها ليسهل على القارئ التمييز بين كل منها ويُزيل اللبس والخلط الذي من الممكن أن يحدث بينهم جميعاً.

ولا يمكن أن ننكر أن بعض المؤلفين المسلمين غفل عن وقوع تصحيف في كتبهم ولم يدركوا ذلك بأنفسهم إلا حينما عرضوا كتبهم وراجعوها على غيرهم من العلماء والمؤلفين، فقد ذكر ابن النحوي التوزرى المتوفي سنة 513هـ، أن حماد بن اسحق بن إبراهيم لما سأله أبو عبيد عن كتاب في الغريب المصنف، هل عرضت هذا الكتاب على أبيك؟ فأجاب : نعم ، وقال لي : فيه تصحيف مائتي حرف "(35) ، فمن السهل أن يكتشف الآخرون خطأ المؤلف إذ أنه حينما يدون أفكاره في كتابه أو صحيفته قلما تقع عيناه على خطأ حدث منه ولأجل ذلك قالوا " لا يكتب المؤلف كتابه ويُصدره للناس في يومه ، إلا قال في غده لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زِيد لكان يُستَحسَن "(36) فالخطأ وارد في كل مكان وزمان وهو أمر ملازم لطبيعة البشر سواء كان عالماً أو مؤلفاً أو كاتباً ، وينبغي على المؤلف أن يُراجع كتابه ويعرضه على غيره من العلماء حتى يخرج صحيحاً خالياً من التصحيف والتحريف .

2-السهو والغفلة أثناء تدوين الكتاب:

حرص كثير من المؤلفين المسلمين على الصدق والدقة في نقل الخبر وتدوينه، ولم يعتمد المؤلف على الذاكرة والحفظ فقط في سرد النصوص لأنه كان يدرك تماما " أن النصوص إذا وردت من الذاكرة لم تسلم من الخطأ (37) لذا كان العالم أو المؤلف يتثبت من الخبر ولا يرويه إلا عن الثقات من الرجال، مثلما ذكر الإمام البخاري المتوفي سنة 256هـ عن كتابه الصحيح أنه ما أثبت فيه أي حديث حتى تأكد وتيقن من صحة هذا الحديث. (38) ومن ثم حظي بعناية كبيرة من جانب العلماء والمؤلفين في شتي ربوع الحضارة العربية.

ولم يكن إصلاح وتصحيح الكتب يقتصر على ما يتعلق بالتصحيف والتحريف فحسب ، بل كان يحدث لأسباب ودواعي أخرى كأن يكون مؤلف الكتاب أو كاتبه قد غفل عن ذكر شيء أو حدث له سهو ، ولعل أفضل مثال على ذلك ما أورده صاحب كشف الظنون عن كتاب " إصلاح الوقاية " الذي سبق ذكره ، حيث جاء فيه أن " الوقاية لما كان كتاباً حاوياً لمنتخب كل فريد ، إلا أن فيه نبذاً من مواضع سهو وزلل وخلل أراد

تصحيحه وتنقيحه بنوع تغير في أصل التعبير وتكميله ببعض حذف واثبات وتبديل ".[39] ، وعلى هذا النهج سار أبو عبد الله الكرماني النحوي الوراق المتوفي سنة 329هـ ، حيث ذُكر أن له كتاب بعنوان " الجامع في اللغة " أورد فيه مجموعة من المسائل والأمور التي أغفلها الخليل بن احمد الفراهيدي في كتابه " العين ".[40]

ورغم حرص العلماء والمؤلفين على تجنب السهو والغفلة في كتبهم ومؤلفاتهم إلا أن الخطأ وارد الحدوث مع أي مؤلف مهما على شأنه واشتهر ذكره بين العلماء والمؤلفين، فمن يسلم من السهو والغفلة في تأليف الكتب والمؤلفات [41]، وكان من المستحب عند العلماء والمؤلفين أنه إذا أخطأ المؤلف في أي شيء ثم تبين له خطأه، فعليه أن يرجع ولا يصر على الخطأ، إذ أن رجوعه إلى الصواب لا يُعد ذلك خطأ " لأنه قد خرج منه برجوعه عنه، والخطأ البين الذي يصر على خطأه ولا يرجع عنه. [42]

3-كثرة الإملاء وتعدد نُسخ الكتاب:

لقد كان للإملاء دور كبير في حدوث الأخطاء في الكتب خاصة إذا كان الإملاء من الحفظ أو الذاكرة ، فضلاً عن اختلاف الأماكن التي تم فيها الإملاء للكتاب الواحد ، مما جعل هذه الكتب والمؤلفات عرضة للزيادة والنقصان ووجود الأخطاء ، فقد أملى أبو عمر محمد بن عبد الواحد المتوفي سنة 345هـ " كتابه الياقوتة في اللغة ارتجالا من غير كتاب ولا دستور "[43] كما أن كتاب الجمهرة لابن دُريد المتوفي سنة 321هـ " مختلف النُسخ كثير الزيادة والنقصان ، لأن مؤلفه أملاه بفارس ، وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ".[44]

إن تعدد النُسخ – غالباً - ما كان يؤدي إلى حدوث أخطاء وتضارب فيما بينها ، خاصة إذا تصورنا مع الجاحظ رحلة النسخة الأولى بعد انتهاء المؤلف من كتابتها وتدوينها " ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الأول ؛ ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مصَمتاً "[45] وبالفعل تَعرض أحد أهم كتب الجاحظ إلى ذلك الخطأ بسبب تعدد نُسخه وهو كتاب " البيان والتبيين " فهو نسختان أولى وثانية والثانية أصح وأجود " وهذا الحال يشبه تماماً كتاب " الزيج " لأبى عبد الله محمد بن جابر البَتّاني المتوفي سنة 317هـ و هو نسختان أولى وثانية والثانية أجود من الأولى .[46]

إن تفاوت النُسخ من ناسخ إلى آخر ومن مكان إلى آخر، أدى إلى وجود اضطرابات في بطون الكتب والمؤلفات، مما دعا الي اليقظة وسرعة إصلاحها وتصحيحها والاعتماد علي نسخة سليمة وصحيحة ودقيقة خالية من الأخطاء والعيوب، كما هو بالنسبة لـــ " المفضليات " للمفضل الضبيّ، وهي عبارة عن: أشعار مختارة جمعها للمهدي " في بعض نسخها زيادة ونقص ولكن أصحها التي رواها عنه رجل يدعى أبو عبد الله بن الأعرابي.[47]

4-الخطأ في المادة العلمية للكتاب:

تختلف الأخطاء في المادة العلمية أو المحتوى العلمي للكتب عن غيرها من الأخطاء السابق ذكرها سواء ما يتعلق بأخطاء النسخ أو التصحيف أو أخطاء السهو والغفلة أو الأخطاء التي تحدث بسبب كثرة الإملاء وخلافه ، حيث تتعلق بالموضوعات التي تشتمل عليها الكتب والمؤلفات ، وقد ورد بالمؤلفات الببليوجرافية كثير من الإشارات التي تدل على وجود هذه النوعية من الأخطاء ، كما أن أصحابها غالباً ما يسوقون الأدلة التي تدعم آرائهم ووجهة نظرهم ، ومن ذلك ما ذكره ابن النديم في ببليوجرافيته عن القلم العربي وأول من وضع الخط العربي والكتاب العربي .[48]

وقد يقوم المؤلف بإصلاح وتصحيح الأخطاء التي وردت في كتاب لمؤلف آخر ليس لسبب واحد فقط ولكن لأسباب عديدة ومتنوعة وإن كان التركيز الأول على ما حواه الكتاب من موضوعات ومسائل أخطأ في فهما وطرحها مؤلف الكتاب ، وخير مثال على ذلك أحد كتب التراجم وهو كتاب " صفة الصفوة " حيث ذكر مؤلفه أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفي سنة 579هـ في مقدمة كتابه أنه أراد به إصلاح وتصحيح الأخطاء التي وردت في أحد كتب التراجم السابقة ، وهو كتاب " حلية الأولياء " لأبى نعيم الأصبهاني المتوفي سنة430هـ ، وبدأ أبو الفرج الجوزي بذكر سمات ومميزات كتاب الحلية والأمور التي يمكن لطالب العلم أن يتلقاها بالعناية والاهتمام ، ثم ذكر أن كتاب حلية الأولياء قد تكدر بأشياء ، وفاتته أشياء ، وحاول قدر المستطاع أن يصلح ويُصحح هذه الأخطاء من خلال كتابه " صفة الصفوة ".[49]

ويجب أن نضع في الاعتبار أن إصلاح وتصحيح أي خطأ من الأخطاء المتعلقة بالمحتوى العلمي للكتب عند العلماء والمؤلفين كان يتطلب وجود دوافع ومبررات حقيقية ، فلم يُقدِم المؤلف على إصلاح وتصحيح

محتوى كتاب بعينه طالما لم تتوافر لديه من الأسباب أو المبررات القوية واللازمة لإجراء ذلك ، وكان عليه أن يُقدم الأدلة والشواهد التي تثبت صدق كلامه وتدلل على صحة وجهة نظره ؛ إذ أن إصلاح وتصحيح المحتوى العلمي للكتب لم يكن غاية في حد ذاته ، بل كان وسيلة لتصحيح أفكار أو معلومات أو أخطاء بعينها وردت في أحد الكتب والمؤلفات من شأنها أن تأثر تأثيراً سلبياً على طبيعة المادة العلمية المتاحة في الكتاب .

سابعاً: طرق إصلاح وتصحيح الكتب عند العلماء والمؤلفين:

إن إصلاح وتصحيح كتاب أحد المؤلفين لم يكن أبداً يُنقص من قدره، ولن يُضير المؤلف أن يتم إصلاح وتصحيح كتابه طالما دعت الضرورة الي ذلك، وكلما خضع كتابه للإصلاح والتصحيح كلما كان الكتاب صحيحاً ودقيقاً، كما قال الإمام الشافعي " إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة "(50) لأنه تعرض للمراجعة والتحرير وإصلاح وتصحيح ما به من أخطاء، بما يخلق نوعاً من الاطمئنان في تداوله بين الناس.

استعمل العلماء والمؤلفين طرقاً عديدة ومتنوعة في عملية إصلاح وتصحيح الأخطاء، وأشهر ما عُرف في إصلاح وتصحيح الكتاب الإسلامي طريقتين أساسيتين هما: -

الطريقة الأولى: إذا كان الخطأ في الكتاب ذاته (دون زيادة أصلاً):

وتعنى أنه إذا وقع خطأ في الكتاب بعد مراجعته والتحقق منه كتب عليه المُصحح كلمة: (كذا) صغيرة، ولا يكتب في الحاشية (صوابه كذا) إلا بعد أن يتأكد من الصواب والتحقق منه، أو يكتب (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك، أو يكتب على ما أُشكل عليه ولم يظهر له وجه (ضبه) وهي صورة رأس (صاد) مهملة مختصرة من (صح) وشكلها هكذا (صـــ)، فإن تم التأكد من صحته وتحقق من ذلك، يقوم المُصحح بوصلها بحاء مهملة فتبقى (صـــح)؛ وإلا كتب الصواب في حاشية الكتاب ذاته.

وقيل: أن البعض أشار بكتابة الصاد أولاً إلى أن الصحة لم تكتمل وإلى تنبيه الناظر فيه (أي الناسخ) على أنه متثبت في نقله غير غافل فلا يظن أنه غلط فيصلحه. (51)(52)

الطريقة الثانية: إذا وقع في الكتاب ما ليس منه أصلاً (زيادة)، وتعنى أنه إذا وقعت أي زيادة على أصل الكتاب ذاته ، فإن ذلك يعد خطأ لأنه سيُغير في صورة وشكل الكلام الوارد في الكتاب ، ومن ثم ينبغي أن يقوم المُصحح بنفي ذلك (53) وتصحيحه وإصلاحه من خلال استعمال أي طريقة من الطرق الآتية :

1-الكشط:

ويعني إزالة الخطأ باستعمال سكين ونحوه، وقد عُرف ذلك عند البعض بالحك أو البَشر، وكان البعض يكره الحك أو البشر بسكين، بل إنهم كانوا يرون أن " الحك تهمة " لأنه قد يحُك أو يبشُر ما كان صحيحاً ولا يحتاج إلى إصلاح أو تصحيح، فيضطر إلى تدوين ما محاه مرة أخرى وإلحاقه بذات النص. (54)

2-المحو:

وكان العلماء يفضلون المحو عن الكشط، ويعني إزالة الخطأ ومحو أثره باستعمال أي مادة كالقماش أو الماء أو خلافه، مثلما فعل عبد الله ابن عباس حينما جاءه رجل فقال إني كتبت كتاباً أريد أن أعرضه عليك فلما عرضه عليه أخذ منه ومحا بالماء "(55)، وقد كره بعض العلماء والمؤلفين كلاً من الكشط والمحو لأن كلاهما يُضعف المادة المستعملة للكتابة والتدوين، ويقلل من متانتها وربما أدى إلى فسادها.

3-الضرب على الخطأ:

والضرب على الشيء يعني خلطه ومزجه بشيء آخر ، وقد ذكر العلماء أن الضرب على الخطأ أجود وأفضل من الكشط والمحو، وأجود الضرب هو مالا يطمسُ المضروب عليه ، بل يخُط من فوقه خطاً دقيقاً بيّناً يدلُ على إبطاله فقط (56) ، ولا يُسود الورق ، ومنهم من رأى أنه من الأفضل أن يضع مكان الخط نُقطاً متتالية ، بحيث يتمكن القارئ من قراءة ما تحت الخط من كلام وألفاظ (57) ، وقد شاع استعمال الضرب على الخطأ لإصلاح وتصحيح الكتب بين العلماء والمؤلفين في شتى الفنون والعلوم السائدة آنذاك ، وكانت كتب الحديث وعلومه أكثر المؤلفات التي انتشر فيها استعمال هذه الطريقة .(58)

عرف العلماء والمؤلفين خمس طرق للضرب استعملوها حينما يكون الخطأ عبارة عن جُمل وعبارات طويلة لا يصلُح معها استعمال الكشط أو الحك أو المحو، لأنه سيسود الكتاب ويشوهه (59)، وحرص القائمون

على إصلاح وتصحيح الكتب على استعمال هذه الطرق التي كانت شائعة ومعروفة بينهم(60) (61)، والتي أطلق عليها الباحث الأسماء أو المسميات الآتية:

أ-طريقة الوصل.

ب-طريقة الباء المقلوبة.

جـ-طريقة الإسقاط.

د-طريقة القوسين أو نصف الدائرة.

هـ-طريقة الدائرة الصغيرة.

ويمكن بيان وتوضيح كل طريقة من الطرق السابقة على النحو التالي:

أ-طريقة الوصل:

وتعنى وصل الحروف التي ضرب عليها ثم يخلط بها خطاً ممتداً من أولها إلى آخرها، وهو ما عُرف في بلاد المغرب العربي بالـــ " شق " وصورته هكذا:

وصلوا إلى المدينة صباحاً

ب-طريقة الباء المقلوبة:

وفي هذه الطريقة يقوم المُصلح أو المُصحح بوضع خطاً يُشبه الباء المقلوبة دون أن يضع نقطة فوق الخط، يتدلى طرفه الأول عند بداية الخطأ والطرف الأخر عن نهاية الخطأ أيضاً وصورته هكذا:

وصلوا إلى المدينة صباحاً

جـ-طريقة الإسقاط:

وتتم طريقة الإسقاط باستعمال حروفي الجر (من – إلى)، وذلك بأن يكتب حرف الجر " من " فوق بداية الخطأ وحرف الجر " إلى " فوق نهاية الخطأ، وهذا يعني: أن هذا الكلام ساقط من هنا إلى هنا، وصورته هكذا:

من إلى

وصلوا إلى المدينة صباحاً

واستعمل بعض العلماء حرفي اللام والألف " لا " وحرف الجر " إلى " ومعناه أن الكلام الموجود بينهما لا يَصِحُ من هنا إلى هنا، وصورته هكذا:

لا إلى

وصلوا إلى المدينة صباحاً

د-طريقة القوسين أو نصف الدائرة:

وتقوم طريقة القوسين أو نصف الدائرة أساساً على استعمال قوسين صغيرين للدلالة على وجود الخطأ وحصر الخطأ بينهما، وتعني أن الكلام الموجود بين القوسين جميعه خطأ جملةً وتفصيلا، وصورته هكذا:

(وصلوا إلى المدينة صباحاً)

وإذا ضاق المكان لوضع الخطأ بين قوسين يقوم المُصحح بوضعهما في أعلى كل جانب منهما، وصورته هكذا:

( )

وصلوا إلى المدينة صباحاً

هـ -طريقة الدائرة الصغيرة:

تُستخدم طريقة الدائرة الصغيرة للدلالة على أن ما بينهما عارٍ وخالٍ تماماً من الصحة، حيث توضع دائرة صغيرة في أول الخطأ و أخرى في آخره، وسماه البعض بـــ " الصفر " كما يسميها أهل الحساب ، حيث استُعملت للدلالة على خلو موضعها من الصحة ، وصورته هكذا :

○ وصلوا إلى المدينة صباحاً ○

وإذا ضاق المكان لوضع الخطأ بين دائرتين صغيرتين، وضعهما في أعلى كل جانب، كما مر في الطريقة السابقة وصورته هكذا:

○ ○

وصلوا إلى المدينة صباحاً

ورغم شيوع الطرق السابقة في إصلاح وتصحيح الأخطاء إلا أن كثير من العلماء والمؤلفين المسلمين قد حذروا من الإفراط في استعمالها، لأن ذلك قد يؤدى إلى تضييع معالم الكتب في بعض الأحيان.

وإن كان هذا الإصلاح يقتصر على تصحيح ما ورد الكتب من أخطاء في النسخ والتدوين فإن ثمة أخطاء في المحتوى العلمي والموضوعات التي تشتمل عليها الكتب، فيكون من الصعب معها استعمال الطرق السابقة وإنما يتم معالجتها من خلال تأليف كتب أو مؤلفات أخرى تُنبه على الخلل والأخطاء الواردة في الكتب السابقة، وهو ما نعنى به إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب. ولا يعنى ذلك إصلاح كل المحتوى العلمي للكتاب فذلك شان آخر، ولكن وجود بعض الأخطاء التي يرى بعض العلماء عدم صحتها أو دقتها، فيعملون على سرد الأدلة والبراهين للتأكيد على صحة وجهة نظرهم من خلال تأليف مؤلفات أخرى.

ثامناً: إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب:

من الصعب أن يتم إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب في الكتب ذاتها لو كان كثيراً ، أما لو كان بسيطاً ومحدوداً فيمكن إثبات ذلك في الحواشي والهوامش ، وعليه حرص العلماء والمؤلفين إلى تأليف الكتب التي تعنى بإصلاح وتصحيح المادة العلمية والموضوعات التي أخطأ المؤلفون السابقون في تناولها ومعالجتها ، وقد تخيرت أحد كتب التراجم التي تكشف وبوضوح عن هذا النوع من الإصلاح والتصحيح ، وهو كتاب " صفة الصفوة " لأبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفي سنة 579هـ الذي حاول أن يُصحح ما جاء في كتاب " حلية الأولياء " لأبى نعيم الأصبهاني المتوفي سنة 430هـ حيث رأى ابن الجوزي أن يسرد ويُفند الأخطاء والزلل والخلل الذي وقع في كتاب الحلية – من وجهة نظره – وأكد على ذلك في مقدمة كتابه " صفة الصفوة " حين قال " اعلم أن كتاب الحلية قد حوي من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدر بأشياء وفاتته أشياء، فالأشياء التي تكدر بها عشرة : (62)

أولاً: ذكر أسماء ولم يترجم لأصحابها.

ثانياً: ذكر ما لا يليق بالكتاب.

ثالثاً: تكرار الأخبار (التراجم).

رابعاً: الإطالة فيما يروى من الأحاديث.

خامساً: ذكر أحاديث باطلة وموضوعة.

سادساً: السجع البارد في التراجم.

سابعاً: إضافة التصوف إلى غير الصحابة.

ثامناً: إطالة الكلام فيما لا طائل فيه.

تاسعاً: ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها.

عاشراً: خلطَ في ترتيب تراجم القوم (الصوفية).

أما الأشياء التي فاتت كتاب الحلية فأهمها ثلاثة أشياء هي :[63]

الأول: أنه لم يذكر سيد الزهاد إمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنه ترك ذكر خلق كثير قد نُقل عنهم التعبد والاجتهاد الكبير.

والثالث: أنه لم يذكر من عوابد النساء إلا عددا قليلا.

وبسبب الأخطاء العلمية التي وقع فيها صاحب "حلية الأولياء" ورغبة ابن الجوزي في أن يصلح ويصحح ما استطاع منها ، فصنف كتابه في التراجم "صفة الصفوة" حتى يكون مغنياً لطلاب العلم عن كتاب " حلية الأولياء " ويحصل لهم المقصود منه ، ويزيد عنه في تراجم جماعة من الأولياء لم يذكرهم أبى نعيم في كتابه ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة من الأولياء قد وُلدوا بعد وفاة أبى نعيم فترجم لهم ابن الجوزي، فضلاً عن ترك تراجم جماعة من الأولياء قد ذكرهم أبى نعيم في الحلية وحكايات كثيرة رأى أنه لا يليق أن يضعها في كتابه أثناء تراجمه للأولياء والزهاد.[64]

وبالرغم مما ذكره ابن الجوزي من أسباب عديدة طالت أو قصرت كان محقاً فيها أو غير ذلك، فان الإصلاح والتصحيح في المؤلفات كانت له مبرراته وأسبابه دائما عند المؤلفين والعلماء والمؤلفين ولم يكن غاية في حد ذاته سواء كان في الكتاب ذاته أو قام المؤلف بتصنيف كتاباً مستقلاً ومنفرداً بذاته، يُبين فيه الأخطاء وكيفية إصلاحها وتصحيحها من وجهة نظره، مدعماً ذلك بالأدلة والبراهين التي تُثبت صدق كلامه وتدعم وجهة نظره في الإصلاح والتصحيح للكتاب الذي تصدى له.

ومن الممكن أن يدرك المؤلف الخطأ الذي وقع فيه أثناء تأليف أحد كتبه فيعدل عنه ويحاول إصلاحه وتصويبه ولكن المشكلة تزداد إذا خرج الكتاب للناس وبه أخطاء دون أن يتم إصلاحه ، وهو أمر شائع

خصوصاً عندما يكون المؤلف في بداية حياته ولا خبرة له بأصول وقواعد ومهارات التأليف ، ومن ذلك ما ذكره أحد المؤلفين المسلمين عن كتاب له " إن هذا كتاب كنا عملناه في الشبيبة والحداثة وأعتذر منه".(65) ولم يقف الأمر عند حد الاعتذار عن تأليف كتاب ما سواء كان في الصِغر أو الكِبر بل وصل الأمر إلى حد الندم على تأليف بعض الكتب لِما بها من أخطاء بسبب كثرة الروايات ونقل الأخبار القديمة غير الموثوق في صحتها ودقتها .

وينبغي أن نضع في الاعتبار أن المؤلف أو العالم الذي يرجع عن خطأه كان يحظى بمزيد من الاحترام والتوقير بين جميع العلماء والمؤلفين مثلما حدث مع محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ المتوفي سنة 328هـ وكانت له كتب ومصنفات كثيرة في القراءات الشاذة فرجع عنها جميعاً فكان ذلك مما عُد في مناقبه وفضائله. (66)

وعلى أية حال فإنه من الممكن أن نقول إن دراسة موضوع اصلاح وتصحيح الكتب لدي العلماء والمؤلفين خلال العصور الوسطي الإسلامية يكشف لنا عن عدة أمور أهمها:

1-اجتهد العلماء والمؤلفين بإصلاح وتصحيح الكتب، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضنية حتى يستفيد منها طلاب العلم والدارسين.

2-أن عملية إصلاح وتصحيح الكتب عند العلماء والمؤلفين كانت أمر شاق، ولم يكن يتصدى لها إلا من كان على دراية وعلم كبير يؤهله للقيام بها.

3-اعتبر العلماء والمؤلفين إصلاح وتصحيح الكتب أحد دروب التأليف، لضبط البيانات والمعلومات التي وردت في كتب ومؤلفات السابقين وخروجها سليمة ودقيقة.

4-حرص العلماء والمؤلفين على مقابلة الكتب ومراجعتها وتنقيحها حتى تخرج مؤلفاتهم ومصنفاتهم صحيحة وسليمة خالية من الأخطاء.

5-تنوع أسباب حدوث الأخطاء في الكتب سواء بالتصحيف أو الخطأ والسهو أثناء الإملاء والتدوين، بالإضافة الي تعدد نُسخ الكتاب الواحد، فضلاً عن الأخطاء العلمية التي وقع فيها بعض العلماء والمؤلفين.

6-تعدد طرق إصلاح وتصحيح الأخطاء الواردة في الكتب عند العلماء والمؤلفين، سواء ما بالشكل، أو المحتوي والمضمون العلمي للكتب.

7-أن عملية إصلاح وتصحيح الكتب كانت من أهم دعائم بناء وإثراء الحركة العلمية والتعليمية والثقافية في شتى بلاد المشرق والمغرب وبلاد الأندلس مما كان له بالغ الأثر في مختلف جوانب الحضارة العربية.

مصادر ومراجع الفصل الثالث:

1 - أحمد شاكر . تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك.- ط2 .- القاهرة : مكتبة السنة للنشر والتوزيع ،1992 .- 111ص .

2- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (150هـ - 255هـ) الحيوان . تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون .- ط2 .- القاهرة : مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، 1965 .- ج1 ، ص79 .

3- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب. - بيروت: دار صادر ،[د . ت] .- مج 2 ، ص ص 516 -517 .

4- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى ؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد .- القاهرة : دار الحديث ،2008 .- ص .939

5 - المعجم الوسيط . القاهرة: دار المعارف، 1972. - ط2. - ج1، ص520.

6- المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية .- القاهرة : المجمع ،1996. - ص143.

7- المُحبى ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. - القاهرة: المطبعة الوطنية ،1867. - ج1، ص4.

8- أحمد محمد الشامي و سيد حسب الله . المعجم الموسوعي المصطلحات المكتبات والمعلومات. - الرياض: دار المريخ ،1988. - ص969.

9- ابن النديم ، محمد بن اسحق . الفهرست / تحقيق ونشر شعبان خليفة، وليد محمد العوزه. – القاهرة: العربي للنشر والتوزيع ،1991. - مج1 ، ص72 .

10- روزنتال ؛ فرانز . مناهج العلماء والمؤلفين في البحث العلمي / ترجمة أنيس أبو فرحة، وليد عرفات. - بيروت : دار الثقافة ، 1983.- ص35 .

11- ابن كثير ، عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر . مناقب الإمام الشافعي / حققه وخرج نصوصه وعلق عليه خليل إبراهيم ملا خاطر. - ط1 .- الرياض : مكتبة الإمام الشافعي ، 1992. - ص 177.

(*) سورة النساء؛ آية رقم (82).

12- الجرجاني ، أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي . تاريخ جرجان. - ط 4. - بيروت: دار المنهل، 1987. - المقدمة، ص44.

13- المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ. – القاهرة: [د. ن]، 1984. – ج 1، ص ص 7-8.

14 - مطاع الطرابيشى . إصلاح بعض الغلط في النسخة المطبوعة من التاريخ الكبير للبخاري. - في: عالم الكتب .- الرياض : دار ثقيف للنشر والتأليف ، 1983 .- مج 4، ع 3 .- ص369 .

15- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (150هـ- 255هـ) الحيوان .- مرجع سابق . - ج1، ص79.

16- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . معجم البلدان. – لبنان: دار الكتب العلمية، 1990. – ج 1، ص .2

17- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الرسل والملوك / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - بيروت: دار الكتب العلمية، 1980. – ج1، ص8.

18- روزنتال ، فرانز . مرجع سابق.- ص173 .

19- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (732- 808هـ) مقدمة ابن خلدون / حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش .- ط1 .- دمشق ، دار يعرب ، 2004 .- ج2 ، ص ص 342 - 343 .

20- حاجى خليفة ، مصطفي بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. – بيروت: مكتبة المثنى، [د -ت]. - ج1، المقدمة ص35.

21- روزنتال ، فرانز . - مرجع سابق. - ص174.

22- حاجى خليفة ،مصطفي بن عبد الله . مرجع سابق. - مج1، ص ص 108 –109.

23- ابن أبى أصيبعه ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة يونس السعدي الخزرجي . عيون الأنباء في طبقات الأطباء / شرح وتحقيق نزار رضا. - بيروت: دار مكتبة الحياة، [د. ت]. - ص311.

24- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف ، أنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط1 .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986.- ج 2 ، ص160 .

25- البكري ، أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ) . كتاب التنبيه على أوهام أبى على في أماليه / راجعه محمد عبد الجواد الأصمعي. - القاهرة: دار الكتب المصرية، 1926. - ص .15

26- ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (643هـ) . التقييد والإيضاح: شرح مقدمة ابن الصلاح / شرحه زين الدين عبد الرحيم بن الحسين. - ط1: حلب: المطبعة العلمية، 1931. - ص176.

27- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) . المعيد في أدب المفيد والمستفيد. - ط1. - دمشق : المطبعة العربية ، 1928 .- ص 135 .

28- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / اعتنى به محمد بن مهدي العجمي. - ط3 مزيدة ومنقحة. - القاهرة: بيروت: درا البشاير الإسلامية: 2012. - ص 132.

29- السمعانى ، عبد الكريم بن محمد . أدب الإملاء والاستملاء. - ط1. - بيروت: دار الكتب العلمية ،1981.- ص180 .

30- المعجم الوجيز .- مرجع سابق .- ص360 .

31- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . مرجع سابق. - مج 9، ص43.

32- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي / تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان. - ط2. - القاهرة: دار الفكر، 1986.- ص 92 .

33- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (392- 463هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها / شرحه وحققه محمد أحمد جاد المولى بك، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. - ط3. - القاهرة: دار التراث، [د. ت]. – ج2، ص381.

34- الجرجاني ، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم . تاريخ جرحان. - ط 4. - بيروت: دار المنار، 1987. - ص ص507 – 508.

35- ابن النديم ، محمد بن اسحق مج1 ، ص121 .

36 - نفس المرجع السابق .- مج1 ، المقدمة

37- روزنتال ، فرانز . مرجع سابق. - ص25.

38- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري. - ط1. - القاهرة : المطبعة الخيرية ، 1889. - مج1، ص1.

39- حاجى خليفة ،مصطفي بن عبد الله . مرجع سابق. - مج1، ص109

40- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . معجم الأدباء، أو، إرشاد الأريب إلى معرفة الأريب. - ط1. - لبنان : دار الغرب الإسلامي ، 1993. – مج 6، ص2548. أنظر أيضاً: خير الدين الزركلي. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. - ط15. - بيروت: دار العلم للملايين ، 2002 .- ج6 ، ص 224 .

41- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (392- 463هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها. - مرجع سابق .- مج2 ، ص353 .

42- نفس المرجع السابق . - ج2، ص320.

43- ابن النديم ، محمد بن اسحق . مرجع سابق. - مج1، ص.129

44- نفس المرجع السابق .- مج1 ، ص.102

45- الجاحظ ، أبو عثمان عمر و بن بحر . مرجع سابق. - ج1، ص.79

46- ابن النديم ،محمد بن اسحق . مرجع سابق -مج1، ص338، ص562.

47- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . مرجع سابق. - مج 5، ص173.

48- ابن النديم ، محمد بن اسحق . مرجع سابق. - مج1، ص ص11-12.

49- ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن . صفة الصفوة / حققه وعلق عليه محمود فاخوري؛ خرج أحاديثه محمد راوي قلعجي. - ط3. - لبنان: دار المعرفة، 1985. - ج1، ص ص20-21.

50- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (392- 463هـ) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / تحقيق محمد عجاج الخطيب .- ط3 .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1996 .- مج1، ص 435.

51- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) . - مرجع سابق. - ص 136.

52- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم – الشرق الأقصى. - ط2 .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2001 . – ص ص 179-180.

53- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي .- مرجع سابق .- ص .95

54- القاضي عياض بن موسى اليحصبى (479 -544هـ) . الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع / تحقيق السيد احمد صقر .- ط1 . - القاهرة: دار التراث، 1970. - ص 170.

55- حاجى خليفة ،مصطفي بن عبد الله . مرجع سابق. - مج 1، ص33.

56- الرامهرمزى ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (265- 360 هـ). المحدث الفاضل بين الراوي والواعي / تحقيق محمد عجاج الخطيب.- بيروت : دار الفكر ، 1981 .- ص .606

57- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم . مرجع سابق. - ص 133.

58- الغُزى ، أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد (ت 984هـ) . الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد / قدم له أبو إسحق الحوينى؛ حققه وضبطه وعلق عليه أبو يعقوب بن نشأت بن كمال المصري. - القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، 2009. - ص451.

59 - نفس المرجع السابق .- ص452 .

60- البلقينى ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى (ت 643هـ) . مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح / تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ). - طبعة جديدة محررة. - القاهرة: دار المعارف، 1989.- ص ص 382-384 .

61- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. - مرجع سابق ص ص 130 – 132.

62- ابن الجوزى ،أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن . مرجع سابق. - ج1، ص ص21 -.30

63-نفس المرجع السابق. - ج 1، ص ص 30-31.

64-نفس المرجع السابق. - ج 1، ص ص 31-32.

65-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. مرجع سابق. - مج2، ص372.

66-ابن النديم، محمد ابن اسحق. مرجع سابق. - مج 1، ص ص49 – 50.

الفصل الرابع

الإعارة الشخصية للكتب في الحضارة العربية

تمهيـــد:

تعد الإعارة الشخصية للكتب والمؤلفات أحد مصادر تحصيل العلوم والفنون بين طلاب العلم والعلماء والمؤلفين ، فهي تُيسر سبل الاطلاع على المؤلفات والكتب التي تحول الظروف دون الوصول اليها أو الحصول عليها بأي طريقة أخرى كالشراء، وقد حظيت إعارة الكتب وتداولها بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم باهتمام وافر بينهم ، وحض بعضهم على ذلك ، وكانت ثمة دوافع ومبررات عديدة للإعارة ، كما سلكوا طرقاً واتجاهات في إعارة الكتب، فكان لكل جماعة منهم طريقة واتجاهاً مختلفاً عن الآخر ، كما كانت هناك ضوابط وآداب عامة حث العلماء على إتباعها في طلب الإعارة ورد الكتب المعارة لأصحابها ، وعلى أية حال تبقى الإعارة الشخصية ملمحاً من ملامح الاتصال العلمي بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم والدارسين إبان العصور الوسطي الإسلامية .

لم يكن الحصول على الكتب عند المسلمين واقتنائها أمر سهل نظراً لطبيعة الظروف السائدة آنذاك، وعليه كان الجود بإعارتها أمر تحكمه عوامل وضوابط عديدة، ولم يكن العلماء والمؤلفين وطلاب العلم يهتمون باقتناء الكتب والمؤلفات التي تنتشر في أسواق الوراقة والنشر فحسب، بل كانوا يحفلون باقتنائها والحفاظ عليها في مكتباتهم أو خزائنهم الخاصة أيضاً.

إن من يتصدى لدراسة الإعارة الشخصية للكتب عند العلماء والمؤلفين وطلاب العلم والدارسين سيجد نفسه مضطراً إلى لملمة الشتات من المصادر والمراجع المختلفة سواء أكانت كتب التراجم أو الببليوجرافيات نوعية أو حتى دواوين الشعر وربما أبيات الشعر المتناثرة في أوراق وصفحات الكتب والمؤلفات الأخرى من مصادر التراث العربي الإسلامي ، بالإضافة إلى تواريخ الوفاة التي افتقرت اليها كثير من المصادر بالرغم من أهميتها في تحديد سمات وملامح الإعارة الشخصية خلال حقبة زمنية بعينها ، مما حدا بالباحث أن يجتهد في البحث عنها وتدوينها ، والحرص على تكوين صورة عامة للجوانب المختلفة للإعارة الشخصية عند العلماء والمؤلفين .

يعاني موضوع الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم من قلة الدراسات والأبحاث الذي تناولته، سواء تلك التي تغطى عصر معين من عصور الحضارة العربية أو حتى تلك التي تعرض لها بشكل

عام، بالرغم من أهميتها في بيان حركة تداول الكتب في الحضارة العربية، لذا نعرض الجوانب المختلفة بما يغطي الموضوع ذاته من كافة جوانبه، ويأتي في مقدمة هذه الجوانب ما يلي:

1-الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإعارة الشخصية.

2-تحديد مدى الاهتمام بالإعارة الشخصية لدى العلماء والمؤلفين.

3-معرفة أغراض ودواعي طلب الإعارة الشخصية للكتب.

4-بيان اتجاهات العلماء والمؤلفين في الإعارة الشخصية للكتب.

5-التعرف على عدد الكتب التي يمكن إعارتها لمن طلب الإعارة.

6-بيان مدى اهتمام المستعيرين بإرجاع أو رد الكتب المعارة لديهم.

7-توضيح مدى إساءة استعمال الكتب المعارة من جانب بعض المستعيرين.

8-التعرف على ضوابط وشروط الإعارة الشخصية عند العلماء والمؤلفين وطلاب العلم.

ومن المؤكد أن موضوع تداول الكتب في الحضارة العربية يُعد من الجوانب المضيئة في تاريخ الحضارة العربية خصوصاً فيما يتعلق بمسألة الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم، وتبدو أهمية دراسة هذا الموضوع إلى عدة أسباب ويأتي على رأسها:

1-أهمية الإعارة الشخصية – في حد ذاتها -بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم والدارسين، وحرص العلماء والمؤلفين المسلمين على تداول مؤلفاتهم أو الكتب التي يمتلكونها، بهدف نشر العلم والمعرفة في ربوع الحضارة العربية.

2-أن الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم والدارسين تعد أحد وسائل التواصل الفكري والعلمي بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم عبر العصور الوسطي الإسلامية.

3-إن موضوع الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم لم يحظ باهتمام كاف من جانب الباحثين في مجال المكتبات، وأضحى الاهتمام بدراستها وتحديد طبيعتها ومعالمها وضوابطها من الأهمية بمكان.

مقدمـــــة:

حث العلماء والمؤلفين طلاب العلم على تحصيل العلوم والفنون وذلك من خلال الكتب ، سواء عن طريق الشراء والاستعارة ، وعدم الانشغال بنسخ الكتب طالما كانت متاحة من خلال أي طريقة منهما ، وذلك لأن الغاية الأساسية هي الاشتغال بالعلم والانتفاع بما تشتمل عليه الكتب من علم وفكر[1] فكانت الإعارة بُغية كل عالم أو طالب علم لم يجد كتاباً بعينه سواء في أسواق الوراقة أو لندرته أو كانت النسخة المطلوبة موجودة بمكتبة من مكتبات الوقف التي يتعذر بيع الكتب الموجودة فيها أو نقلها "[2] ، أو عدم القدرة على استعارتها من أي مكتبة من المكتبات الأخرى من أجل القراءة والاطلاع أو حتى نسخها وتدوينها .

ويؤكد الباحث على أنه لن يتطرق إلى دراسة مسالة الإعارة في المكتبات من قريب أو من بعيد باعتبارها أحد خدمات المكتبات، لأن ذلك ليس مطروحاً من الأساس، كما أنه من المستبعد أن يتخذ البحث من الآراء الفقهية والدينية منحى له في معالجة ظاهرة الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين، لأن الأساس في هذه الدراسة هو بيان حركة تداول الكتب بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم في مختلف أنحاء الحضارة العربية.

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإعارة:

ذكر صاحب لسان العرب أن أصل كلمة الإعارة هو " العارية والعارة : ما تداوله بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه و عاوره إياه ، واستعاره الشيء ، واستعار منه : طلب منه أن يُعيره إياه هذا عن اللحياني [*] وتعاوروه : تداولوه فيما بينهم ، و العارة هي : اسم من الإعارة ، وتقول : أعرته الشيء أعيره إعارة وعاره ، ويقال استعرت منه عاره فأعارنيها ، واستعار ثوباً فأعاره إياه ... ويُقال استعرنا الشيء واعتورناه وتعاورناه بمعنى واحد ،و مستعار بمعنى مُتعاور أي متداول "[3] بينما يرى الجوهري صاحب تاج اللغة وصحاح العربية أن كلمة " المعار من العارية وهو خطأ "[4] على اعتبار أن هناك فرق واختلاف بين كلا اللفظين .

ولم يختلف معنى الإعارة كثيراً عند صاحب القاموس المحيط حيث ذهب إلى أن مصطلح الإعارة من العارة " وهو ما تداولوه بينهم ، ج : عوارى ، مُشددة ومُخففة ، أعاره الشيء ، وأعاره منه وعاره إياه ، وتعور ، واستعار : طلبها ، واستعار منه : طلب إعارته ، واعتوروا الشيء ، وتعوروه وتعاوروه : تداولوه

"[5] بينما ركز المُعجم الوسيط على الفعل ذاته حيث ورد فيه أن "(أعاره) الشيء إعارة ، وعاره : أعطاه إياه عارية ،و (اعتوروا) الشيء : تداولوه فيما بينهم ،(استعار) الشيء منه : طلب أن يُعطيه إياهُ عَارية ،ويُقال استعاره إياه ،(عَاوره) الشيء : أعطاه إياه عَارية . تَعور فلان العارية: طلبها ممن استعارها. [6]

وقد ركزت المراجع والقواميس المتخصصة في مجال المكتبات والمعلومات على أن الإعارة تعنى: الشيء المُعار، أو إعارة كتاب أو عدد من الكتب إلى شخص أو مجموعة من الأشخاص أو مؤسسة أو مكتبة [7]، وبعضها أشار إلى أنها تعنى: تداول الكتب أو " أنها مهمة يقوم بها موظفو المكتبة للتأكد من حصول المستعير على المواد التي يرديها والعدد الإجمالي للكتب المعارة خلال فترة محددة ". [8] [9]

لكن هذه التعريفات – بالطبع -لا تدخل ضمن نطاق البحث الحالي لأن الدراسة الحالية تركز على الإعارة الشخصية بين الأفراد -سواء العلماء والمؤلفين أو طلاب العلم والدارسين وغيرهم -وليس له علاقة بالإعارة كخدمة تحرص المكتبات ومراكز المعلومات على تقديمها للمترددين عليها.

ومن خلال التعريفات السابقة لمصطلح الإعارة يتضح أن للإعارة ثلاثة أركان أساسية هي:

1-المُعير: هو من يملك، أو، من بيده الكتاب.

2-المستعير: هو الشخص الذي يطلب كتاباً من شخص آخر يملك هذا الكتاب.

المُستعار: المقصود به الكتاب المعار أو المُتداول بين المُعير والمُستعير، وقد تكون رسالة صغيرة أو مخطوط ... الخ.

ويمكن الخروج بتعريف إجرائي للإعارة الشخصية وهو أنها تعنى: إتاحة العالم والمؤلف ما تحت يديه من كتب إلى من طلبها من العلماء والمؤلفين وطلاب العلم وغيرهم، وقد يكون الكتاب المطلوب من تأليفه أو من تأليف غيره، وذلك لفترة زمنية معينة ووفق ضوابط محددة يتم الاتفاق عليها بين كل من المُعير والمُستعير.

ثانياً: الاهتمام بالإعارة الشخصية عند العلماء والمؤلفين:

عُرف عن المسلمين عموماً مدى حبهم وشغفهم بالكتب والمؤلفات ، وكانت الكتب من دواعي فخرهم وسرورهم ، فكان الحفاظ عليها والاعتناء بها من الأهمية بمكان ، وإذا كان من طبيعة المرء الحفاظ على

مقتنياته من الكتب والمؤلفات التي هي في الأصل من تأليف غيره ، فما بالنا بتلك التي قام على تأليفها وبذل فيها جهوداً مضنية ، دامت أشهر عديدة ، بل وأحياناً سنوات طويلة حتى خروجها إلى النور ، مع الوضع في الاعتبار أن الكتب لم تكن رخيصة الثمن[10] ، فمن المؤكد أنه أعطاها جُل عنايته وحَرص على الحفاظ عليها ورعايتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكانت ثمة بواعث تدعوا هؤلاء المؤلفين إلى ضرورة النفع بعلومهم وأفكارهم لغيرهم سواء لأقرانهم من المؤلفين والعلماء أو طلاب العلم والدارسين أو حتى غيرهم ، سواء كانت بواعث دينية أو أخلاقية ،إذ كان من الطبيعي أن يُعيروا ما تحت أيديهم من كتب طالما توافرت الضمانات الكافية للحفاظ عليها .

ويخطئ من يظن أن العلماء والمؤلفين اهتموا بإعارة الكتب والمؤلفات التي بين أيديهم فحسب، بل إنهم أبدوا حرصهم واهتمامهم بالتشجيع عليها، وليس أدل على ذلك من قول حسين بن أبى السُري الذي سمع وكيع بن الجراح المتوفي سنة 197هـ يقول أن " أول بركة الحديث إعارة الكتب "[11] لأنها من أبواب البر واكتساب المثوبة والأجر، فضلاً عن نشر العلم والمعرفة فيما بينهم .

يبدو أنه ومع اهتمام العلماء والمؤلفين وطلاب العلم على نشر الإعارة الشخصية وحرصهم على استمرارها لم يفرقوا في الاستعارة بينهم وبين غيرهم من فئات المجتمع آنذاك ، فلم يجد العالم منهم غضاضة في أن يستعير كتاباً ممن أهو أصغر منه في العمر ، فقد استعار أبو عمرو إسحاق الشيباني المتوفي سنة 213هـ من يعقوب بن السكيت المتوفي سنة ت 244هـ كتاباً وكان يعقوب بن السكيت صبياً [12] ، ويبدو أنهم اعتادوا على ذلك منذ القرون الأولى حتى القرون المتعاقبة ، فقد كان عبد الله بن محمود أبو محمد المكفوف النحوي القيرواني المتوفي سنة 308هـ يستعير من بعض الصبيان كتاباً فيه شعر أو شيء من أخبار العرب أو غير ذلك .[13]

وبلغ الاهتمام لدى العلماء والمؤلفين بالإعارة الشخصية للكتب مداه، فظهر ذلك في أدبهم ونثرهم وأشعارهم ومنه ما ذكره الشيخ أبو الكرم خميس بن على الحوزى " أن الشيخ العالم الإمام الفقيه هبة الله بن يحيى بن الحسن بن البوقى المتوفي سنة 590هـ أنشدني في الحث على إعارة الكتب شعراً:[14]

كُتبي لأهل العلم مبذولة أيديهم مثل يدي فيها

متى أرادوها بلا منة عارية فليستعيروها

حشايا أن أمنعها عنهم كلا كما غيري يخفيها

أعارنا أشياخنا كتبهم وسنة الأشياخ نمضيها

ثالثاً: أغراض ودوافع طلب إعارة الكتب:

تعددت وتنوعت أغراض ودواعي طلب الإعارة الشخصية من جانب العلماء والمؤلفين المسلمين وطلاب العلم وغيرهم وفقاً لاختلاف دوافع واحتياجات كل شخص من الكتب المراد استعارتها، وإن كان من الممكن تحديدها فيما يلي:

1- طلب الإعارة الشخصية من أجل القراءة والاطلاع على الكتب وما تحويه من علوم وأخبار ومعارف وأشعار... الخ ، والاستفادة منها قدر الإمكان ، مثلما طلب إبراهيم ابن عبد الله بن حسن المتوفي سنة 145هـ من المفضل بن محمد بن يعلى الضبي النحوي المتوفي سنة 178هـ أن يجعل كتبه عنده للنظر فيها والاطلاع عليها ، وذلك لأن المفضل الضبي النحوي كان قد خرج إلى ضيعته أياماً ، فلبى له طلبه وجعل عنده قنطارين من الكتب في الأشعار والأخبار ، فلما رجع المفضل الضبي المتوفي سنة 178هـ وجد الكتب وبها علامات وضعها إبراهيم ابن عبد الله بن حسن المتوفي سنة 145هـ خصوصاً على أشعار بعينها ، فما كان من المفضل إلا أن يحفظ منها وينشدها للناس .[15]

2-طلب الإعارة الشخصية لنسخة بعينها من الكتاب من اجل مقابلتها بنسخة أخرى تكون بيد من طلب الإعارة لمراجعتها وإصلاح وتصحيح ما بها من أخطاء، فقد استعار أبو الحسن على بن عبد الله السمسمي " كتاب التنبيه في النحو " من أبى العباس بن الثلاج فقابلها وراجعها وصححها على الأصل. [16]

3-طلب إعارة الكتاب من صاحبه من أجل نقل كل أو بعض التعليقات الموجودة بالهوامش والحواشي ... الخ لأجل تحصيل منفعة بعينها من هذا الكتاب، فقد ذكر ابن خلكان في " وفيات الأعيان: أن شرف الدين بن منعة المتوفي سنة 622هـ كان مبدأ شروعه في شرح " التنبيه " بإربل ، واستعار نسخة " التنبيه " وكانت هذه النسخة ذات حواشي مفيدة بخط بعض الأفاضل والعلماء ، فعمد إلى نقل الحواشي كلها في شرحه ". [17]

4- وقد يكون الدافع الأساسي من الإعارة الشخصية لكتاب ما هو نسخ الكتاب كاملاً أو أجزاء بعينها منه ، وتزداد الأهمية كلما كان الكتاب المطلوب للإعارة نادراً أو من الصعب الحصول عليه بطريق الشراء أو أي طريقة أخرى ، مثلما استعار أحدهم كتاب التنبيه في النحو فنسخه كله وأعطاه لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفي سنة 568هـ فنسخه كاملاً [18] ، وإن كان قد كُتب للقفطى وغيره أن ينسخ الكتاب المُعار كاملاً فإن أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس استعار كتاب " الإنباء في شرح الصفات والأسماء " من أبو الحامد العربي بن يوسف الفاسي المتوفي سنة 1052هـ ، لكن أبو العباس الغرديسى مرض مرضه الذي مات فيه ، فلما زاره أبو حامد العربي وجد الكتاب المُعار تحت رأسه ومعه كراريس منسوخة منه وأخرى مُعدةُ للنسخ ، وكلما تمكن من النسخ فعل وإذا غلبه المرض أمسك عن النسخ ، وظل على هذا الحال حتى مات ولم يُتم نسخه كاملاً .[19]

ولم يترك العلماء والمؤلفين باب الإعارة الشخصية مفتوحاً دون أن يضعوا لذلك شروطاً كان من الضروري توافرها فيمن طلب إعارة الكتاب، مهما تفاوتت ظروفه أو تنوعت احتياجاته، بل اهتم العلماء والمؤلفين بوضع الشروط اللازمة لضبط هذا الأمر، وبالرغم من وجود استثناء أو تفاوت في تطبيق هذه الشروط من عالم إلى آخر ومن شيخ إلى آخر ومن بلد إلى أخرى، إلا أنه يمكن بيانها بشكل عام على النحو التالي:

1-جرت العادة ألا يُعير العلماء والمؤلفين إعارة الكتب إلا لمن عرفوه، كأن يكون من أهل البلد أو القرية، بما يكفل سهولة الوصول اليه متى طلب الكتاب منه، وإن كان بعضهم قد أعار كتبه لجميع الناس سواء عرفهم أو لم يعرفهم.

2-منع الإعارة الشخصية إلا بعد معرفة طريقة تعامله مع الكتب والمؤلفات التي يملكها، كأن يذهب معه إلى داره ليرى كيف يجد كتبه، ويكون الفصل في إعارته للكتب من عدمه مرتبط بمدى اهتمامه بكتبه والعناية بها أو إهماله لها.

3-أن تكون الإعارة الشخصية لمن يستحق الإعارة من أهل العلم كأن يكون عالماً أو مُتعلماً أو شيخاً أو مؤلفاً .... الخ، وإن كان بعضهم لم يمنع كتبه عن أي شخص جاء اليه طالباً الإعارة.

4-اشترط بعضهم وجود ضمانات مادية؛ كقطعة من المعدن مثل الفضة وغيرها أو ثوباً من القماش .... الخ، بما يضمن له إعادة كتبه اليه فضلاً عن الحفاظ عليها. [20]

وبالرغم من الحرص الشديد من جانب العلماء والمؤلفين المسلمين في إعارة كتبهم إلا أن البعض لم يكن يلتزم بأي شروط فيستعير الكتب ولا يردها وربما أرجعها إلى صاحبها في حالة يُرثى لها، وسيأتي ذكرها بالتفصيل عند تناول إعادة وإرجاع الكتب والمؤلفات المُعارة وإساءة استعمال الكتب والمواد المُعارة.

رابعاً: اتجاهات العلماء والمؤلفين وطلاب العلم نحو إعارة الكتب:

تباينت اتجاهات العلماء والمؤلفين وطلاب العلم تجاه مسألة الإعارة الشخصية للكتب وفقاً لطبيعة كل منهم وحسب نوعية المؤلفات والكتب التي تحت أيديهم، بالإضافة إلى التجارب السابقة الشخصية التي مر بها كل منهم في هذا الشأن، ويمكن بيان اتجاهاتهم في الإعارة الشخصية على النحو التالي:

الاتجاه الأول: السماح بإعارة الكتب والتشجيع عليها:

يبدو أن الاتجاه السائد لدى العلماء والمؤلفين هو الحث على الإعارة والتشجيع عليها، فكانوا يرون أن الإعارة أمر محمود بوجه عام، وأن الأمر يقتضى عدم حبس الكتب عمن طلبها، إن لم يترتب عليه ضرر من ذلك ، فضلاً عن أن الإعارة الشخصية كانت تعد معاونة لأهل العلم وطلابه . [21]

وقد حذر العلماء والمؤلفين أصحاب الكتب من منع إعارة الكتب والمؤلفات التي بين أيديهم، وأن الأصل أن يُعيروها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وأن يظل هذا نهجم باستمرار ولا ينقطعوا عن ذلك لأي سبب، لأن جزاء منعها سيكون كهؤلاء الذين يمنعون الماعون، ومن ذلك ما أنشده أبو حفص عمر بن عثمان الشُعبي : [22]

لا تمنعنَّ الأهلَ كُتبك واغتنم في كُلِ وقت أن تُعيرَ كتابا

فمُعِيرها كَمُعِيرِ ماعونٍ فمن يَمنَعهُ لاقى الويل والأنصابا

وكان بعض العلماء والمؤلفين يسمح بإعارة كتبه لكل من جاءه طالباً إعارة أي كتاب في مكتبته وأعتاد أن لا يرد أحداً أبداً، مثلما كان محمد بن محمود بن أبى بكر الوطرى التبكتى المتوفي سنة 1002هـ الذي أعار

نفائس الكتب في مكتبته بالرغم من محبته للكتب وما بذله في الحصول عليها بطريق الشراء أو النسخ، والغريب أنه لم يكن يسأل عنها حتى وإن طالت مدة إعارتها، ولأجل هذا ضاع عليه جملة من كتبه النفيسة والنادرة. (23)

ومن اللافت للنظر أن هؤلاء العلماء بالرغم من تشجيعهم على الإعارة الشخصية إلا أنهم كانوا يحاولون الحفاظ على مؤلفاتهم والكتب التي تحت أيديهم من التلف والضياع حتى إن بعضهم كان يدون على أغلفة كتبه -التي من الممكن أن يعيرها لمن طلبها -مجموعة من التنبيهات والتحذيرات توضح مدى اهتمامه البالغ بكتبه، بالإضافة إلى رغبته في الحفاظ عليها، ومن ذلك ما كتبه أحدهم على غلاف كتابه :(24)

يا رب من حفظ كتابي فأحفظه ومن أضاعه فلا تحفظه

حرص كثير من العلماء والمؤلفين المسلمين على عدم إعارة أصول كتبه ، حتى وان توافرت لديهم نسخ من أصول هذه الكتب أو لم تتوافر ، وذلك على اعتبار أن الأصول تعد ذخائر يصعب تعويضها ، وكان أبو عمر بن أبى بكر بن عبد الوهاب المقري المتوفي سنة 380هـ لا يُعير أصول الكتب التي بين يديه لأي شخص جاء يطلب إعارتها ، لأنه كان يمتثل للقول المأثور لبعض العلماء السابقين الذي يعتبر " عارية الرجل أصل كتابه هجنه "(25) **أي أنهم كانوا يعدون إعارة أصول الكتب من العيب والقبح ، لأنه إذا فقده لن يتمكن من الحصول عليه مرة أخرى مهما بذل من جهد ومال في سبيل ذلك ، وعليه كان عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطيس المكنى بأبي المُطرف المتوفي سنة 402هـ لا يُعير كتاباً من أصوله البتة ، وكان إذا سأله أحد ذلك وألحَ عليه ، ولم يجد من ذلك بُد كان يُعطيه للناسخ فينسخه ثم يقابل الأصل بالنسخة ثم يدفعه للمستعير .**(26)

وليس من عجب في أن العلماء والمؤلفين الذين سمحوا بإعارة مؤلفاتهم والكتب التي تحت أيديهم وشجعوا طلاب العلم على ذلك لم يُعيروا أصول كتبهم فحسب ، بل إنه من الطبيعي أن يحرص العالم على عدم إعارة مسودة الكتاب الذي يصنفه حتى يتم مراجعته وتصحيحه وتنقيحه وتبييضه ليخرج إلى طلاب العلم والدارسين وغيرهم في الشكل الذي يرتضيه له مؤلفه ، فحرصوا على ذلك أشد الحرص ، ومن أبرز هؤلاء العلماء وأشهرهم ياقوت الحموي المتوفي سنة 626هـ حين أقسم في مقدمة كتابه " معجم الأدباء " أن لا

يسمح بإعارته " ما دام في مسودته لئلا يلح طالب بالتماسه ، ولا يسرني إبرازه من كناسه .... فلا غرو أن أمنعه من ملتمسيه، وأحجبه عن الراغبين فيه " [27].

الاتجاه الثاني: رفض إعارة الكتب والضن بها عمن طلبها:

رفض أصحاب هذا الاتجاه إعارة مؤلفاتهم ومقتنياتهم من الكتب ولم يسمحوا لأحد أن يستعير منهم أي كتاب ، ولم يتمكن طلاب العلم والعلماء وغيرهم من اختراق الجدار الحصين الذي وضعوه أمام إعارة كتبهم ، ومن ذلك ما صرح به أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري المتوفي سنة 161هـ قائلاً " لا تُعر أحداً كتاباً " [28] فلم يستثنى أحداً أو فئة بعينها ، ولم يفرق في ذلك بين العلماء أو طلاب العلم أو عامة الناس ، ولا يختلف كثيراً عمن جاء بعده في القرون التالية ، حيث كتب الربيع بن سليمان البويطي المتوفي سنة 270هـ لمن لديه كتاب ناصحاً إياه : أحفظ كتابك ، فان ذهب لك كتاب لم تجد بدله ".[29]

اتجه بعض العلماء والمؤلفين وأصحاب الكتب والمصنفات على عدم إعارة بعض مؤلفاتهم بسبب ندرة النسخة التي بين أيديهم ، وهذا أمر طبيعي - حتى فيما يتعلق بقوانين الإعارة في المكتبات التي تقدم هذه الخدمة - فكتاب " غريب المُصنف " لأبى بكر القاري الرازي النحوي اللغوي المتوفي قبل سنة 300هـ بقيت منه نسخة بخطه الجميل الصحيح ، وكانت هذه النسخة حُجة يُرجع اليها ، ويُعتمد عليها في التصحيح ، وكانت هذه النسخة ملك لأبى على المعلم الأرطى ، وكان يضن بها كل من ملك هذه النسخة غاية الضن على من يطلبها للنسخ أو للإعارة .[30]

تشدد البعض في الإعارة الشخصية فرفض إعارة الكتب نهائياً ولم يفرقوا في ذلك بين عالم أو طالب علم، كبيراً كان أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حتى وان جاء طالب الإعارة برهن يضمن له حقه في إعادة الكتاب اليه دون إتلافه أو فقده أو ضياعه أو حتى تأخيره عن الموعد المحدد والمتفق عليه بينهم، وقد بلغ الأمر في التشدد مداه حين أشار أحدهم أنه لن يُعير كتابه لأحد حتى ولو كان الذي جاءه طالباً الإعارة هو والده، حياً كان أو ميتاً، وأنشد في ذلك شعراً :[31]

اليك أبدى عاره عودتها مشتهرة

أن لا أعير أحداً لا رجل ولا امرأة

ولو أتاني والدي من بيته في المقبرة

يروم سطراً لم يجد ما رامه وسطره

وثمة مجموعة من العلماء والمؤلفين الذين سلكوا هذا الاتجاه، لم يلتزموا برفض الإعارة الشخصية بصورة دائمة طيلة عمرهم، فكانت لديهم بعض الاستثناءات، فمثلا أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني المعروف بـ " أبو العتاهية " المتوفي سنة 213 هـ جاءه رجلاً يطلب كتاباً فقال: أعرني كتابك، قال إني أكره ذلك، فقال أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره؟ فما كان منه إلا أن أعاره الكتاب "[32] وربما يرجع ذلك إلى فطنة من طلب الإعارة في إقناعه بالإضافة إلى أن أبو العتاهية نفسه لم يكن متشدداً وصارماً فيما يخص الإعارة الشخصية لكتبه.

من المؤكد أن تشدد العلماء والمؤلفين في عدم إعارة كتبهم ومؤلفاتهم الشخصية وما يملكونه من كتب ومخطوطات نادرة كان بسبب حرصهم على جمع الكتب والمؤلفات وشغفهم بها، فقد كان الواحد منهم يستغنى عن أي شيء مهما كان ثميناً ولا يستغنى عن الكتب " فكتب العالم خلاياه التي يعيش بها والعالم يبيع ثيابه، ولا يبيع كتابه، وكما أن مجد التاجر في كيسه فإن مجد العالم في كراريسه، وإذا مسهم الضر صبروا على الفقر والجوع ولم يصبروا على فراق الكتب. [33]

الاتجاه الثالث: أَخذْ الرهن مقابل الإعارة الشخصية للكتب:

عمد أصحاب هذا الاتجاه إلى اتخاذ موقفاً وسطاً بين الاتجاهين السابقين؛ السماح بالإعارة الشخصية للكتب والتشجيع عليها، وبين البخل والضن بالإعارة الشخصية للكتب، حيث كانت وجهة نظرهم تتجه نحو الإعارة الشخصية للكتب لكن مع ضرورة وجود ضمانة تكفل لهم رد الكتب المعارة لدى الغير، فكان سبيلهم في ذلك اخذ الرهن مقابل إعارة الكتب لمن طلبها [34] **واعتاد مجموعة من العلماء على ذلك وأضحى شيئاً معروفاً لديهم حتى أقسم أحدهم على أن يسير على هذا النهج ولا يحيد عنه، وأنشد في ذلك شعراً:** [35]

حلفت بالله الذي أطلب منه المغفرة

أن لا أعير أحداً إلا بأخذ التذكرة

واستحسن كثير من العلماء والمؤلفين المسلمين أخذ الرهن وذلك لضمان إعادة الكتب إلى أصحابها بالإضافة إلى عدم إساءة استعمالها كإعادتها متكسرة ومتغيرة في أشكالها، فضلاً عن عدم إتلافها، حيث بدت مخاوف الكثير منهم من العبث بالكتب والمؤلفات المُعارة حتى قال حمزة بن حبيب بن عمارة بن الزيات المتوفي سنة156هـ " لا تأمنن قارئاً على صحيفة ولا حمالاً على حبل، وأنشدنا بعض أصحابنا: [36]

أعر الدفتر من جاءك بالرهن الوثيق

إنه ليس يضر أخذك من صديق "

ولم يجد العلماء والمؤلفين غضاضة في أخذ الرهن على الكتب المعارة بينهم، بغض النظر عن نوعية هذا الرهن سواء كان كتاباً أو مصحفاً أو معدناً أو قماشاً ... الخ، وليس للمستعير أن يلقى باللوم أو العتاب على المُعير لأن ذلك يضمن له حقه في إعادة كتبه اليه [37] وكلما كان الرهن ذا قيمة كبيرة كلما كان ذلك أدعى للمستعير أن يرد ما استعاره من كتب لأصحابها، فكان أخذ الرهن سبيلهم في الإعارة حتى ولو كان أقرب الناس إليهم كالصديق والجار وغيرهم، ومنه ما أنشده محمد بن خلف بن المرزيان المتوفي سنة 309هـ :[38]

أعر الدفتر للصاحب بالرهن الوثيق

إنه ليس قبيحاً أخذ رهن من صديق

ومن بين العلماء والمؤلفين من رفض أخذ الرهن على الإعارة الشخصية لكتبه، وذلك لعدم رغبته في إعارة كتبه أساساً مهما بلغت قيمة هذا الرهن، وأنهم سلكوا بذلك مسالك شيوخهم السابقين وأكدوا على أنهم لن يفرطوا في شيء كان مذهباً لشيوخهم، وقد بدا ذلك في أشعارهم ومنه: [39]

لا أقبل الرهن ولا تذكر عندي تذكره

ولو حوت كَفي بها فضل الرضا والمغفرة

كان لشيخي مذهب من مذهبي أن أهجره

خالفت فيه رسمه معفياً ما أثره

وبالرغم من أخذ العلماء والمؤلفين رهناً مقابل الإعارة الشخصية لكتبهم إلا أن ذلك لم يمنع البعض من إتباع سلوكيات غريبة في استعمال ما تحت يديه من كتب معارة ، حتى أن بعضهم طلب إعارة كتاب معين من مالكه فأعاره إياه ، وحينما طالبه برد الكتاب المُعار وجده قد رهن الكتاب المعار له ، لصالح شخص آخر قد طلب منه رهناً مقابل إعارته أحد كتبه ".[40]

وإن كانت هذه هي الاتجاهات السائدة في إعارة الكتب لدى العلماء والمؤلفين ، فإن الباحث يرى أن الاتجاه الأكثر شيوعاً وانتشاراً بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم هو الاتجاه الأول والذي تمثل في السماح بإعارة كتبهم ومؤلفاتهم وما تحت أيديهم من مصنفات لغيرهم بغرض نشر العلم والتماس البركة والثواب ، وأن اتجاه البعض نحو عدم الإعارة كان بُغية الحفاظ عليها من الفقد والعبث بها ، لكنه كان أقل شيوعاً من سابقه ، بينما كان الاتجاه الأخير بأخذ رهن مقابل الإعارة ضماناً لحقوقهم، هو أقل شيوعاً وانتشاراً من الاتجاهين السابقين ، لأن الأساس عندهم هو نشر العلم لما له من فضل وثواب كبير، في حين أن حبس الأشياء ومنعها عمن جاء طالباً لها لم يكن أمراً مستحباً أو محموداً لدى العلماء والمؤلفين .

خامساً: عدد الكتب المُعارة لطالب الإعارة:

لم يكن هناك عدد محدد يتم الاتفاق عليه بين العلماء والمؤلفين وطلاب الإعارة، وقد يأتي المرء لاستعارة كتاباً فيعيره إياه ولا يزيد عليه حتى يرد ما استعاره، وكلما استعار الشخص كتاباً والتزم برده وإرجاعه إلى صاحبه كان ذلك أدعى إلى إعارته كتاباً آخر، وسار كثير من العلماء والمؤلفين على هذا النهج ومن أبرزهم محمد بن خلف المرزيان المتوفي سنة 309هـ، وكان قد أنشد في ذلك أبياتاً من الشعر يحضُ فيها المستعير أن يرد اليه كتابه الذي استعاره حتى يأخذ غيره: [41]

أيها المستعير منى كتاباً إن رددت الكتاب كان صوابا

أنت والله إن رددت كتاباً كنت أعطيته أخذت كتابا

وإن كان بعض العلماء لا يعير لغيره سوى كتاباً واحداً ، فكان من العلماء من يعير كتابين وثلاثة أو أكثر من ذلك ، فعلى سبيل المثال ما ذكره محمد بن فضل الله المُحبى المتوفي سنة 1111هـ أنه لما ذهب إلى محمد بن محمود بن أبى بكر الوطرى التبكتى المتوفي سنة 1002هـ ،المعروف بـ " يغبغ " طلب منه شيئاً من كتب النحو ففتش في خزانته فأعطاه كل ما ظفرَ به منها "[42] ، وقد اعتاد التبكتى على ذلك بُغية إفادة طلاب العلم ، كما عُرف ذلك عن كثير من العلماء والمؤلفين في شتى ربوع الحضارة العربية حيث يُذكر أن أبو محمد عبد الملك الشذونى عندما كان شاباً كان يتردد على رجل بمدينة أشبيلية اسمه يوسف يُكنى أبا الحجاج يمتلك خزانة كتب فكان يُعيره منها كتب ويحملها في غرائر– وعاءٌ من الخيش يُحمل فيه القمحُ ونحوه – فكان يحمل غراره ويذهب بها إلى بيته ويجيء بأخرى وذلك من كثرتها .[43]

سادساً: مواعيد إرجاع ورد الكتب المعارة:

حث العلماء والمؤلفين طلاب الإعارة الشخصية على ضرورة الالتزام برد وإرجاع ما حصلوا عليه من كتب ومؤلفات بطريق الإعارة الشخصية ، وإن كان منع الإعارة عند العلماء وطلاب العلم وأهله يعد أمراً مذموماً ،فإن حبس الكتب بعد إعارتها إياه يُعد من الغُلول، ويدل على ذلك قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفي سنة192هـ حين حذر يونس بن يزيد فقال : إياك وغلول الكتب ،قال وما غلول الكتب ؟ قال حبسها عن أصحابها .[44][45]، وأياً كان الغرض من طلب الإعارة فينبغي إرجاع و رد الكتاب الي صاحبه ولا يُعذبه لأن صاحب الكتاب سيمنع عنه كتبه بعد ذلك لا محالة "[46] بل إن هناك من كان يُماطل في إعادة الكتب إلى أصحابها ، ولا يردها إلا بعد الإلحاح عليه باستمرار مثلما فعل الصدر تاج الدين أحمد بن الأمير الكاتب حين استعار كتاب المجموع لمجاهد الدين بن شقير ، فأطال مُطله به ، ولم يرد الكتاب حتى اجتمعا يوماً في ديوان المكاتبات ، فعاتبه على تأخره في رد كتابه.[47]

وليس من شك في أن عدم رد الكتب المُعارة لأصحابها في المواعيد المتفق عليها كان له نتائجه السلبية التي ذكرها العلماء والمؤلفين وتناولوها في مؤلفاتهم وكتبهم، حيث انه: [48]

1-سيفوت الفرصة على صاحب الكتاب في الانتفاع به طالما حبسه عنه من استعاره.

2-سيؤدى إلى الكسل عن تحصيل الفائدة منه بسبب كثرة الطلب والمماطلة في إعادته لصاحبه.

3-امتناع صاحب الكتاب عن إعارة غيره من الكتب لأي شخص بعد ذلك.

ويبدو أن البعض قد اعتاد على عدم رد الكتب التي استعارها من أصحابها ، لدرجة أصبحت معها ظاهرة حبس الكتب عن أصحابها أمراً معتاداً ، حتى أن رد الكتب المعارة أضحى أمراً غير طبيعي عندهم ، ومنها ما ذكره محمد بن يحيى بن منده المتوفي سنة 395 هـ أن " من استعار منك كتاباً فرده اليك ، فاعلم أنه لا يُحسن شيئاً "[49] على اعتبار أن حب الكتب وجمعها أعيا البعض فكان إذا حصل على كتاب صعُب عليه أن يتركه من يده ويرده الي صاحبه مرة أخرى ، وأبرز من عُرف عنه ذلك عبد الله بن أحمد أبو محمد الخشاب المتوفي سنة 567هـ لأنه إذا استعار كتاباً ، وطالبه به صاحبه ، قال له : دخل بين الكتب فلا أقدر عليه [50].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: متى ينبغي على المستعير أن يرد الكتاب المُعار إلى صاحبه؟

من المؤكد أنه كان على المستعير أن يرد الكتاب المُعار إلى صاحبه في الأحوال الآتية:

الأولى: إذا انتهت المدة أو الفترة المُعينة والمحددة للإعارة، وذلك إذا تم الاتفاق على مدة معينة مُسبقاً.

الثانية: إذا طلب الشخص المُعير كتابه لحاجته اليه.

الثالثة: إذا قضى المستعير حاجته من الكتاب وتم له الغرض الذي استعاره من أجله، ولم يَعُد بحاجة اليه بعد.

ولم تكن هناك مدة معلومة ومحددة لإعادة وإرجاع المواد المُعارة بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم ، ولكن الثابت عندهم أنها ترجع إلى ما اتفق عليه الطرفان (المُعير والمستعير)، فقد يُحدد بوقت ما ؛ كأن يكون أيام أو أسابيع أو أشهر أو موسم كذا ، وربما بأي شيء آخر يتم الاتفاق عليه ، وعلى سبيل المثال ما ذكره سفيان بن العاص الأُسدي أنه " سمع أن شيخه القاضي أبى الوليد الكناني فيما يغلب على ظني أنه كان إذا أعار كتاباً لأحد ، إنما يتركه عنده بعدد ورقاته أياماً ثم لا يسامحه بعد ذلك ، ويقول هذه الغاية إن كنت أخذته للدرس والقراءة ، فلن يغلب عن أحد حفظ ورقة في كل يوم وإن أردته للنسخ فكذلك، وان لم يكن هذا ولا هذا فانا أحوط بكتابي وأولى برفعه منك "[51] على اعتبار أن صاحب الكتاب أولى بحفظه وقربه ممن استعاره طالما قضى حاجته منه ، فهو من يُقدر قيمة كتابه ويدرك أهميته بالنسبة له.

ويرى الباحث أن التفاوت الحاصل في تحديد مدة الإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم كان يخضع لعدة أمور وأن هذه الأمور كانت تُوضع في الاعتبار ومنها:

1-القيمة العلمية والفكرية للكتاب المُعار.

2-القيمة المادية للكتاب في أسواق الوراقة والنشر.

3-مدى ندرة الكتاب وعدم وجود نُسخ عديدة منه.

4-مدى قُرب أو بُعد البلدة التي جاء منها الشخص طالباً إعارة الكتاب.

5-مدى التزام طالب الإعارة بإعادة الكُتب المعارة له -من قبل -في المواعيد المحددة، فالتجربة في هذا الأمر لها دلائل هامة.

وليس من شك في أن تحديد فترة الإعارة الشخصية بين العلماء وطلاب العلم وغيرهم تختلف تماماً عن الإعارة في المكتبات بأنواعها، لأن الأولى لا تُحكم بفترات محددة وإنما ترتبط بأمور شخصية، فضلاً عن العادات السائدة في هذا الشأن داخل المجتمع الكائن آنذاك، بينما ترتبط الثانية باللوائح والتشريعات التي تحكم سير العمل بها، بما يكفل لها الحفاظ على مجموعاتها ومقتنياتها.

سابعاً: إساءة استعمال الكتب المعارة من جانب المستعيرين:

بالرغم من العلامات المضيئة والمشرقة في التعامل مع الكتب والشغف بها من جانب طلاب العلم وأهله في الحضارة العربية، فضلاً عن حرصهم على المؤلفات والعناية الشديدة بها، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض المظاهر السلبية في التعامل مع المؤلفات والكتب المعارة بين العلماء وطلاب العلم ومن تلك المظاهر ما يلي:

1-أن بعضهم استعار الكتاب ثم قام برهن هذا الكتاب لدى عالم أخر ليعيره أحد كتبه مما جعل بعض العلماء يترددون في إعارة كتبهم للغير، حتى وان قدموا أي شيء على سبيل الرهن. [52]

2-فقدان وضياع الكتب المعارة نتيجة الإهمال، مما أصاب أصحاب هذه الكتب والمؤلفات بالصدمة جراء ما تعرضت له مؤلفاتهم، حتى أنهم لم يكتفوا بعدم إعارتها فحسب، بل إنهم أوصوا غيرهم بعدم إعارة ما يمتلكون من كتب، بسبب تجاربهم السابقة. (53)

3-أن بعضهم كان يستعير الكتب ثم يسئ استخدامها، وذلك بوضع بعض أدوات المأكل والمشرب عليها، مما يؤثر تأثيرا بالغا على المجلدات ذاتها فيزيل جمالها وبريقها في الوقت الذي حظيت به المؤلفات والمخطوطات العربية بكافة أشكال الإبداع الفني والشكلي؛ من تجليد وزخرفة وتزيين بالذهب والفضة .... الخ.

4-إجحاد البعض في إعادة المؤلفات لأصحابها، فضلاً عن ردها مشوهه ومتكسرة، مما حدا بكثير من العلماء والمؤلفين أن يرفضوا إعارة كتبهم مهما كانت الأسباب والمبررات، مثلما رأى محمد بن محمد بن الشهاب غازي المعروف بابن الشحنة المتوفي سنة 750 هـ، أن ذلك كان سبباً رئيسياً في منع ابن شيخه البرهان أن يُعير كتب أبيه أصلاً إلا نادراً بسبب خوفه من تشويه الكتب. (54)

ثامناً: ضوابط الإعارة الشخصية عند العلماء والمؤلفين:

تزايدت إساءة استعمال الكتب المعارة من جانب البعض، وكان من الضروري أن تكون ثمة ضوابط وآداب للحد من هذه الظاهرة التي انتشرت بين الأشخاص والأفراد في كثير من البلدان والأقطار الإسلامية الكائنة آنذاك، ويمكن بيان أهم هذه الضوابط والآداب التي نصح العلماء والمؤلفين بضرورة إتباعها والالتزام بها في التعامل مع الكتب تداولاً وإعارة واستعمالاً من جانب القراء وطلاب العلم والدارسين وغيرهم، وقد تناثرت هذه الضوابط بين الكتب والمراجع المختلفة، لذا حاول الباحث أن يجمعها ويرتبها على النحو التالي:

1-يجب على المستعير إذا استعار كتاباً أن يتفقده جيداً ليرى ما به من عيوب سواء في غلافه أو ترتيب صفحاته أو نقص في أوراقه ....الخ، وكذلك الأمر عند رده وإعادته إلى صاحبه. (55)

2-ينبغي على من استعار كتاباً ألا يُطيل مدة بقاء الكتاب أو الكتب المعارة لديه عن المدة أو الفترة المحددة طالما قضى بُغيته منها.

3-عدم قيام المستعير بحبس أي كتاب عن صاحبه وخصوصاً إذا طلبه، أو استغنى عنه المستعير ذاته.

4-أن يلتزم المستعير بأن لا ينسخ أي جُزء أو نص من الكتاب المعار له، إلا إذا أخذ إذناً شفوياً أو تحريرياً من صاحب الكتاب الذي أعاره إياه. (56)

5-ألا يقوم المستعير نفسه بإعارة ما تحت يديه من كتب مُعارة له إلى شخص آخر دون إذن أو علم صاحبها الأصلي، كما لا يحق له أن يُصحح أو يُصلح أي خطأ ورد في الكتاب المُعار إلا إذا علم رضا صاحبه بذلك. (57)

6-أن لا يُقبل على إصلاح وتصحيح الأخطاء التي يجدها في الكتاب المُعار إلا إذا كان أهلاً لذلك كأن يكون من كبار العلماء أو من وثق فيه العلماء، واشتهر بعلمه وفكره، وبإذن المعير نفسه.

7-إذا أراد أن ينسخ أي كتاب آخر فلا ينبغي له أن ينسخه فوق الكتاب المُعار لديه، أو يقوم بالنسخ داخل الكتاب المُعار ذاته، وليفصل بين الكتاب والقرطاس الذي ينسخ منه حتى لا يؤدى إلى تشويه أو طمس الكلام المدون في الكتاب المُعار له. (58)

8-أن يُقدم المستعير الشكر لمن أعاره الكتاب، لأن ذلك كان يعد باباً من أبواب الإحسان، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله لأن في الشكر باعث كبير وتشجيع لمن يقدم الإعارة، فضلا عن تحفيزه على تكرار الإعارة الشخصية لغيره بعد ذلك.

9-أن يُحافظ المُستعير على الكتاب المعار لديه ولا يضعه إلا في مكان نظيف وصالح لذلك وأن يُبعده عن مواضع التلف وأن يأخذ حذره في ذلك، قال العلماء: لا تجعل كتابك بوقاً ولا صندوقاً، أي لا تلوه على بعضه فيكون كهيئة البوق ولا تُكثر من وضع الأشياء فيه فيكون بمثابة الصندوق مما يُعجل بتلف الكتاب، كما: لا يُفرش لكيلا يتقطع بسرعة، ولا يوضع على الأرض مباشرة وإنما فوق خشبة لئلا يبتل، وإذا وضعه على خشبة وضع تحته جلداً، وإذا وضعه بجانب الحائط فليجعل بينه وبين الحائط جلداً. (59)

وعلى أية حال فإنه يمكن القول أن دراسة موضوع تداول الكتب في الحضارة العربية وتحديداً فيما يتعلق بالإعارة الشخصية بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم يكشف لنا عن بعض الأمور التي ينبغي أن نضعها في الاعتبار، ويمكن بيانها في النقاط التالية:

1-أن الإعارة الشخصية حظيت باهتمام كبير بين العلماء والمؤلفين، كما اهتموا بتشجيع الأفراد على الإعارة الشخصية.

2-تنوع أغراض طلب الإعارة الشخصية للكتب وفقاً لاختلاف دوافع كل شخص سواء من أجل القراءة والاطلاع، أو لطلب نسخة بعينها من أجل مقابلتها بنسخة أخرى، أو نسخ الكتاب ذاته أو نقل التعليقات الموجودة بالهوامش والحواشي ... الخ.

3-أن العلماء والمؤلفين وضعوا شروطاً لإعارة الكتب بغرض ضبط عملية الإعارة الشخصية، وتفاوتت هذه الضوابط من عالم الي آخر ومن بلد الي أخري.

4-وجود تباين في اتجاهات العلماء والمؤلفين وطلاب العلم نحو إعارة الكتب؛ فمنهم من سمح بإعارة الكتب والتشجيع عليها وعدم حبس الكتب عمن طلبها، ومنهم من رفض إعارة الكتب وضَنَّ بها عمن طلبها، بينما اتخذ البعض موقفاً وسطاً بأخذ رهن مقابل الإعارة الشخصية للكتب.

5-عدم وجود ضوابط لتحديد عدد الكتب المُعارة لطالب الإعارة، واختلاف هذا الأمر من عالم الي آخر ومن مكان لآخر.

6-تفاوت مواعيد إرجاع ورد الكتب المُعارة بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم، وأن المعول الأساسي في ذلك اعتمد على ما اتفق عليه الطرفان (المُعير والمستعير).

7-وجود بعض المظاهر السلبية في التعامل مع المؤلفات والكتب المعارة بين العلماء وطلاب العلم مما أدي الي إساءة استعمال الكتب المعارة، بل وصل الأمر الي فَقْد وضَياع الكتب المعارة نتيجة إهمال المستعيرين.

8-أن العلماء والمؤلفين وضعوا مجموعة من الضوابط التي تحكم الإعارة الشخصية، وحرصوا على إتباعها والالتزام بها من جانب طالبي الإعارة.

مصادر ومراجع الفصل الرابع:

1- النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ) . آداب العالم والمتعلم والمفتى والمستفتى وفضل طالب العلم / تحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد. - ط1. - طنطا: مكتبة الصحابة، 1987. - ص .53

2- أيمن فؤاد سيد . مناهج العلماء والمؤلفين في البحث من خلال المخطوطات.- في : مجلة معهد المخطوطات العربية .- مج 43 ، ج2، نوفمبر 1999 .- ص100.

(*) اللحيانى : على بن المبارك اللحيانى وقيل على بن حازم ، ويُكنى أبا الحسن ، وله كتاب النوادر ، توفي سنة 220هـ .

3 - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .- بيروت : دار صادر ، [د . ت].- مج 4 ، ص ص 618- .619

4- الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .- بيروت : دار العلم للملايين ، 1990 . - مج 4، ص626.

5- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد. - القاهرة : دار الحديث ،2008 .- ص .1160

6- المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية . - القاهرة: دار المعارف، 1972. - ط2. - ص 636.

7-Prytherch ،Raymond John. Harrods librarian's glossary and reference book. – 10th ed . – Great Britain : MPG Book Ltd ،2005 .- P137 ،P433

8- شعبان عبد العزيز خليفة . قاموس البنهاوي الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات. – ط تذكارية .- القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ،1991. - ص.91

9- أحمد محمد الشامي و سيد حسب الله . المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. - القاهرة : دار المريخ للنشر ،1988 .- ص245 .

10- هونكه ، زيغريد . شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوربة / نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي ؛ راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى.- ط 8 .- بيروت : دار الجيل ، دار الأفاق الجديدة ، 1993 .- ص 387 .

11- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / تحقيق محمد عجاج الخطيب.- ط3 .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1996 .- مج 1، ص 369 .

12- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط1 .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986 .- ج1 ، ص 263 .

13- نفس المرجع السابق . - ج 2، ص .142

14- عماد الدين الأصفهاني ،محمد بن صفي الدين . خريدة القصر وجريدة أهل العصر / تحقيق محمد بهجة الأثري .- العراق : المجمع العراقي ، [د . ت] .- ص 171 .

15- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . مرجع سابق.- ج 3 ، ص304 .

16- نفس المرجع السابق . – مج4، ص 157.

17- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر (608 – 681هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / حققه إحسان عباس .- بيروت : دار صادر ، 1978.- ج 1 ، ص 109 .

18- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . مرجع سابق.- مج 4 ص 157.

19- الكتاني ،عبد الحي (1382هـ / 1962م) . تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب / ضبط وتحقيق أحمد شوقي بنين ، عبد القادر سعود .- طبعة ثانية منقحة .- مراكش : المطبعة والوراقة الوطنية ، 2005 .- ص149 .

20- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم / صدره وحققه وعلق عليه يوسف العش.- ط2 .- القاهرة : دار إحياء السنة ، 1974.- ج 1 ، ص.147

21- النووي ،محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ) . - مرجع سابق.- ص54 .

22- السمعانى ، عبد الكريم بن محمد . أدب الإملاء و الاستملاء .- ط1 .- بيروت : دار الكتب العلمية ، 1981.- ص 117 .

23- المُحبى ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .- القاهرة : المطبعة الوهيبة ، 1863 .- ج 4 ، ص 211 .

24- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم.- مرجع سابق .- ص 148 .

25- فؤاد سيد . نصان قديمان في إعارة الكتب . مرجع سابق .- ج 1 ، مج 4 ، ص132 .

26- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي (494 – 578هـ) . الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدباءهم / حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف.- بيروت : دار المغرب الإسلامي ، 2010 . – مج 1، ص 403.

27- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . معجم الأدباء، أو، إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب. - ط1. - لبنان : دار الكتب العلمية ، 1991 .- مج 1 ، ص 14 .

28- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392-463هـ) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . مرجع سابق .- مج 1 ، ص 376 .

29- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

30- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . مرجع سابق.- ج 4 ، ص101 .

31- الراغب الأصبهاني . الحسين بن محمد بن المفضل. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء / هذبه واختصره إبراهيم زيدان .- القاهرة : مكتبة الهلال ، 1902 .- ص.52

32- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .- مرجع سابق .- مج1 ، ص 371 .

33- عبد الفتاح أبو غدة . صفحات من تاريخ العلماء. - ط2 مزيده ومنقحة.- سوريا : مكتبة المطبوعات الإسلامية ، 1974 .- ص ص 113- .114

34- السمعانى ، عبد الكريم بن محمد .- ص 117 .

35- الراغب الأصبهانى . الحسين بن محمد بن المفضل . - مرجع سابق.- ص 52 .

36- فؤاد سيد . نصان قديمان في إعارة الكتب .- مرجع سابق .- ج 1 ، مج 4 ، ص132 .

37- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) . المعيد في أدب المفيد والمستفيد.- ط1 .- دمشق : المطبعة العربية ، 1928 .- ص .119

38- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) .- تقييد العلم . - مرجع سابق .- ص148.

39- الراغب الأصبهانى . الحسين بن محمد بن المفضل .- مرجع سابق .- ص.153

40- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم.- مرجع سابق .- ص .149

41- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) .- مرجع سابق .- ص117 .

42- المُحبي ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين . مرجع سابق .- ج 4 ، ص211 .

43- الكتاني ،عبد الحي (ت1382هـ / 1962م) . مرجع سابق .- ص77 .

44- النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ) . - مرجع سابق .- ص ص 53 – 54 .

45- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) .- مرجع سابق .- ص.131

46- القاضي عياض بن موسى اليحصبى (479 -544هـ) . الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع / تحقيق السيد احمد صقر .- ط1 .– القاهرة : دار التراث ، 1970 . – ص223 .

47- المُحبي ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين . مرجع سابق .- ج 1 ، ص .321

48- الراغب الأصبهانى . الحسين بن محمد بن المفضل . - مرجع سابق .- ص .52

49- فؤاد سيد . نصان قديمان في إعارة الكتب .- مرجع سابق .- ج 1 ، مج 4 ، ص132.

50- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله .- مرجع سابق .- مج 4 ، ص 1495 .

51- القاضي عياض بن موسى اليحصبى (479 -544هـ) . - مرجع سابق .- ص ص224- 225 .

52 - الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392-463هـ) . تقييد العلم .- مرجع سابق .- ص .149

53- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . مرجع سابق .- ج 4، ص85 .

54- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- بيروت : دار الجيل ، 1992 .- ج9 ، ص301 .

55- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) .- مرجع سابق .- ص.132

56- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / اعتنى به محمد بن مهدي العجمي .- ط3 مزيدة ومنقحة .- القاهرة : بيروت : درا البشاير الإسلامية : 2012 .- ص 127.

57- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت981هـ) . مرجع سابق .- ص 131 .

58- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) .- مرجع سابق .- ص128 .

59- محمد صلاح المنجد . كيف تقرأ كتاباً؟ .-الرياض : دار الوطن للنشر ، 1998.- ص 60 .

الفصل الخامس

بيع وتجارة الكتب في الحضارة العربية

تمهيـــد:

حرص العلماء والمؤلفين وطلاب العلم وغيرهم من الفئات الأخرى على اقتناء الكتب والمؤلفات بُغية القراءة والاطلاع على محتوياتها من ناحية وجمع الكتب لتكوين مكتبات أو خزائن شخصية له من ناحية أخرى، كانت أسواق الوراقة والوراقين هم مقصدهم وقبلتهم الأولى، وكان لدلَّال الكتب الدور البارز في توجيهم إلى أهم الكتب والمؤلفات، فضلاً عن بيان الكتب القيمة والمُميزة منها والكتب النادرة التي يصعب توافرها في مكان أو في بلد أخر.

دلَّال الكتب هو أحد المشتغلين بتجارة الكتب والمُؤلفات والترويج لها عبر العصور، وقد تنقل دلَّال الكتب في شتى أرجاء الحضارة العربية، فتواجد في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، فأينما وُجدت الكتب وأسواقها ظهر دلَّال الكتب ليقوم بدوره ومهامه. وكان دلَّال الكتب كغيره من المشتغلين بالوراقة وتجارة الكتب يرحبون بوفرة المؤلفات في شتى فنون المعرفة، وقد تميزت الحضارة العربية بفيض هائل في العلوم والمعارف التي ظهرت في شكل كتب ومؤلفات، مما حدا ببعض العلماء والمؤلفين لإعداد ببليوجرافيات نوعية ترصد وتُسجل هذه الكتب والمؤلفات وتؤرخ لهذا الفكر، وفي مقدمتها الفهرست لابن النديم ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كُبرى زادة وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجى خليفة .... الخ.

وليس من شك في قلة وندرة الدراسات التي تدور حول هذا الموضوع سواء من قريب أو من بعيد، فلم يقف الباحث على أية أبحاث أكاديمية عالجت دلَّال الكتب ودوره في جمع الكتب وشرائها وبيعها، فهو موضوع جدٌ صعب، لأن الدلَّالة على الكتب كانت مهنة مغمورة، ولم تظهر في تاريخ الحضارة العربية كظهور المهن الأخرى مثل مهنة الوراقة والوراقين وغيرها، مما يتحتم ضرورة البحث المضنى للكشف عنها وبيان دورها وأهميتها في حركة تداول الكتب عند المسلمين.

وتُعد مهنة دلَّال الكتب من الموضوعات التي لم تتناوله المصادر والمراجع المختلفة بشيء من التوضيح والتفسير، فعادة ما يتناوله المؤلفون والباحثون كموضوع جانبي أو تكميلي للموضوع الرئيسي أو

الأصلي، ولا يعدو عن كونه فقرة أو فقرات في الكتب ولا يختلف الأمر عنه في مقالات الدوريات ، مما دعا الباحث إلى السعي بجد في دراسته وكشف النقاب عنه .

وحينما نعرض لموضوع بيع وشراء الكتب في الحضارة العربية مع التركيز علي دور دلال الكتب في تجارة الكتب فإن دراسته لهذا الموضوع تسعي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن بيانها كالتالي:

1-الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة دلَّال الكتب.

2-بيان مدى الاهتمام بشراء وجمع الكتب عند المسلمين.

3- تحديد دوافع ودواعي التردد على حلقات بيع الكتب.

4-معرفة ماهية مهنة دلَّال الكتب.

5-تحديد خصائص وسمات دلَّال الكتب.

6-بيان الأماكن التي تواجد بها دلَّال الكتب لأداء مهمته.

7-بيان مواعيد عمل دلَّال الكتب.

8-تحديد أدوات دلَّال الكتب ووسائله للترويج لبيع الكتب.

9-بيان دور دلَّال الكتب في العملية العلمية والفكرية.

أولاً: أهمية موضوع بيع وشراء الكتب في الحضارة العربية ودور دلال الكتب:

ترجع أهمية دراسة هذا الموضوع إلى عدة أمور ويمكن بيان أهمها فيما يلي:

1-أهمية الدور الذي لعبه دلَّال الكتب في الترويج للكتب والمؤلفات، بالإضافة إلى حرص العلماء والمؤلفين على شراء وجمع الكتب والمؤلفات للقراءة والاطلاع من ناحية، وتكوين مكتباتهم الخاصة مهما كانت تبِعات ذلك من ناحية أخرى.

2-أن توفير الكتب والمؤلفات يعد أحد الدعائم الأساسية في التواصل الفكري والعلمي بين العلماء والمؤلفين وطلاب العلم عبر العصور.

3-ضرورة الاهتمام بدراسة موضوع دلَّال الكتب من جوانب شتى، وبيان دوره في حركة تداول الكتب، بيعاً وشراءً، لندرة الدراسات التي تناولته.

وتركز دراسة موضوع دلَّال الكتب ودوره في حركة بيع وشراء الكتب لدى جميع الفئات في المجتمع، سواء العلماء أو المؤلفين والكُتاب وطلاب العلم أو عامة الناس، بغض النظر عن دواعي ومبررات شراء الكتب سواء لأجل القراءة أو الاطلاع أو النسخ .... الخ، كما تتسع دراسة دلَّال الكتب ودوره في شراء وبيع الكتب، وبناء و تكوين المكتبات الشخصية خلال عصور الحضارة العربية، بدايةً من القرن الثاني الهجري على اعتبار أنها تمثل البدايات الأولى للتأليف وانتشار أسواق الوراقة والوراقين وظهور دلَّالين الكتب، وذلك حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، أي لمدة عشرة قرون من عمر الحضارة العربية باعتبارها فترة زمنية كافية لتحديد كافة جوانب الظاهرة.

لا تقتصر دراسة دلَّال الكتب ودوره في بيع الكتب وشرائها على مكان محدد أو بقعة بعينها في الحضارة العربية، بل دراسة كل ما يتعلق بدلَّال الكتب في شتى ربوع الحضارة العربية سواء في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي وبلاد الأندلس.

ومن الجدير بالذكر أننا لم نقف على دراسة واحدة عن دلَّال الكتب ودوره في حركة بيع الكتب وشرائها عند المسلمين خلال عصور الحضارة العربية ، وان كانت ثمة دراسات دارت حول موضوع الوراقة والوارقون وفيها تتعرض لدلَّال الكتب على استحياء شديد أو تكملة للصورة التي كانت عليها أسواق الوراقة والوراقين الموجودة آنذاك ، وإن كان ثمة دراسة فريدة لأحد الشخصيات البارزة في مهنة دلَّال الكتب وهى عبارة عن مقالة نُشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية (يناير 1989م) تحت عنوان " سعد بن على الحظيرى الملقب بـــ " دلَّال الكتب " للدكتور ناظم رشيد [1]

وعرض فيها شخصية أبى المعالي الحظيرى المتوفي سنة 567هـ وسيرته منذ ولادته ونشأته ورحلاته المختلفة ومؤلفاته وذكر شيئاً من أشعاره ونثره وكان معظم ما نقله الدكتور ناظم رشيد من أشعار ونثر لأبى المعالي الحظيرى " دلَّال الكتب " مما ورد في كتاب " خريدة القصر وجريدة العصر " لعماد الدين الأصبهاني وقد صرح بذلك ، ولم يتعرض كاتب المقال لأي شيء من الجوانب المتعددة لمهنة دلَّال الكتب ودورها في حركة بيع وتداول الكتب والمؤلفات عند المسلمين ، والتي ستعرض لها الدراسة ، حيث سعى الباحث بجد لأن تكون هذه الدراسة لبنةً أساسية تسد فراغاً في مجال التخصص .

ثانياً: المصطلحات والمفاهيم:

ثمة مجموعة متنوعة من المصطلحات التي تتطلب طبيعة الدراسة تحديد مفهومها وتفسيرها، وقد رأى الباحث ضرورة بيانها وتوضيحها على النحو التالي:

1- جمع الكتب: Book collecting

هي عملية جمع وشراء الكتب في الموضوعات المختلفة سواء كانت هذه الموضوعات تاريخية أو وقائع أو أحداث أو موضوعات علمية أو المؤلفات الشخصية أو المخطوطات النادرة .... الخ، وهى عملية دائمة ومستمرة للاهتمام بجمع الكتب. (2)

2- جامع الكتب: Book collector

يمكن تعريف جامع الكتب من خلال التعريف السابق لجمع الكتب، على أنه : الشخص الذي يهتم بجمع الكتب والمؤلفات ، فيشترى الكتب سواء في مجال تخصصه أو غيره طالما أن الكتاب دخل دائرة اهتمامه .

3- محب الكتب : bibliophile

هو الشخص الذي يحب الكتب، ولديه القدرة على المعرفة والتمييز بين الكتب سواء كانت جيدة أو رديئة، وقد يُطلق عليه أيضا " جامع الكتب ". (3)

4- جنون الكتب:Bibliomania

هي حالة من الولع الشديد الذي يصل بصاحبه إلى حد الهوس والجنون بالكتب وحب تملكها مهما كلفه ذلك الهوس في سبيل الحصول عليها واقتنائها. (4)

5- مجنون الكتب :(Bibliomaniac (Bibliomane

هو الشخص الذي يعاني من عدم القدرة على التمييز بين الكتب سواء المفيد منها وغير المفيد فلا يتقيد بشراء كتب بعينها، إنما يدفعه الهوس والجنون إلى جمع وشراء الكتب بغض النظر عن تبعات ذلك كأن يبيع داره أو شيئاً من أثاث بيته. (5)

6- مكتبة (خزانة) شخصية: Private library

وتعنى " مكتبة خاصة " يمتلكها الفرد، وتطلق كذلك على المكتبة التي تملكها جمعية أو نادي والتي لا يستخدمها إلا الأعضاء، ولا تموّل بأموال خاصة ". [6]

وثمة تعريف آخر لا يختلف كثيراً عن التعريف السابق، حيث يشير إلى أن المكتبة الشخصية هي :" واحدة من الممتلكات الشخصية لفرد ما في المجتمع ، ويُقصد بها أيضا أي مكتبة ملك لجمعية ما أو لنادي معين أو مؤسسة ، تلك التي تتيح لأعضائها فقط حرية الوصول إلى مقتنياتها والاستفادة منها ، ولا تتيح خدماتها لعامة الشعب ".[7]

ولأن كلا التعريفين السابقين لا يُغطيان موضوع الدراسة بشكل دقيق، وجد الباحث أن التعريف المناسب والأقرب لطبيعة البحث هو ما ذكره الدكتور شعبان خليفة حيث ينص على أن " المكتبات الشخصية هي تلك المكتبات التي ينشئها الأفراد من ذوي الحيثيات في مكاتبهم أو منازلهم طبقاً لميولهم واتجاهاتهم الشخصية .... وأن انتشار هذه المكتبات يكشف عن مدى الوعي بأهمية الكتب في حياة الأفراد" [8]**، ومن المؤكد أن هذه المكتبات الشخصية كانت مساراً للفخر والتباهي بين المسلمين عموماً ولم يكن تكوينها مقصوراً على فئة دون غيرها سواء من ذوي الحيثيات أو حتى عامة الناس.**

7-الوراقة والوارقون:

الوراقة: هي حرفة تتعلق بمختلف أمور الكتب سواء " الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية، والدواوين "[9] **أما مصطلح الوراق بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق - وهو الكاغد - ببغداد : الوراق أيضا ".**[10]

ويمكن القول بأن مهنة الوراقة تتضمن المهام الآتية:

أ-نسخ وتدوين الكتب.

ب-تجليد الكتب.

جـ-تجارة الكتب.

د-بيع مستلزمات النسخ والتدوين من أوراق وأقلام وأحبار ... الخ.

حظيت الوراقة والوراقين باهتمام كبير من جانب الباحثين وتم دراستها من جوانب عدة سواء ما يتعلق بمهنة الوراقة أو الوراقين أو المواد المستعملة فيها من أوراق وأقلام وأحبار وغيرها إلا أن ثمة مهنة مهمة كان لها دور بارز في أسواق الوراقة بشكل عام وبيع وشراء الكتب والمؤلفات بشكل خاص ، وهى الدلَّالة علي الكتب والتي لم تحظ بقدر كاف من الاهتمام بالرغم من دوره البارز في الحصول على المؤلفات سواء العادية أو القيمة والنادرة ، فقد كان دلَال الكتب حلقة الوصل بين تُجار الكتب والعلماء والمؤلفين وكافة الفئات الموجودة في المجتمع الكائن آنذاك .

إن الكتاب هو آلة العلم والأداة الرئيسية لتحصيله، ولذلك أقبل العرب والمسلمون أيما إقبال على جمع الكتب سواء بطريقة الشراء أو غيرها، وتكوين المكتبات الشخصية يدفعهم في ذلك حب خالص للكتب وتقدير لمكانتها [11] ودورها في تكوينهم العلمي والثقافي والفكري، فضلاً عن أنها كانت من دواعي فخرهم واعتزازهم أمام الآخرين، ولأجل ذلك أقبل بعض الأفراد من غير القراء على جمع الكتب والمؤلفات وشرائها من أسواق الوراقة ودكاكين وحوانيت الوراقين.

حرص كثير من الأفراد بغض النظر عن مستوياتهم العلمية والثقافية والاجتماعية على تكوين المكتبات الشخصية حتي يستفيدوا منها ويُفيدوا الآخرين ، ويمكن القول أنها كانت واسعة الانتشار في أرجاء الحضارة العربية ، وفي الواقع أنه كان من العسير أن نجد عالماً أو أديباً أو مُفكراً أو رجلاً يشتغل بالتأليف والإبداع والتحقيق دون أن يكون له مكتبة خاصة به - وربما ضحى بالغالي والنفيس من أجلها- يرجع اليها في دراساته وكتاباته [12] وليس من شك في أن تكوين المكتبات الشخصية جاء عن طريق شراء الكتب أو بنسخ أصول الكتب أو مُنحت لهم من خلال الهبة أو عن طريق الوراثة .

ثالثاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي لـ" دلَّال الكتب":

خلت القواميس والمعاجم اللغوية العامة والمتخصصة من التعريف الكامل لـــ " دلَّال الكتب "، حيث ركزت كلها على كلمة " دلَّال " وتناولتها تحت الفعل " دلَّلَ " وفي مقدمتهم " لسان العرب " لابن منظور حيث

ذكر أن " الدلَّال: الذي يجمع بين البيعين، والاسم الدلَّالة والدلَّالة، والدلَّالة: ما جعلته للدليل أو الدلَّال. وقال ابن دريد: الدلَّالة ، بالفتح ، حرفة الدلَّال . ودليل بين الدلَّالة، بالكسر لا غير. [13] بينما ركز الجوهري في تاج اللغة وصحاح العربية على أن كلمة " الدليل : ما يُستدل به . والدليل : الدال ، وقد دله على الطريق ، يدله دلَّالة ودِلَّالة ودُلُالة ، والفتح أعلى [14] ، أما القاموس المحيط فلم يطل في تعريف اللفظ فحسب بل إنه قَصرَ في تناوله فأورد أن " دله عليه دلَّالة ، ويُثلث (يعنى دلَلَ) ودُلولة ، فاندل : سدده اليه "[15] وبالرغم من ذلك الاقتصار في التعريف فإن المُعجم الوسيط قد توسع شيئاَ ما في تعريف اللفظ ، وذلك لحداثته وتناوله لبعض الألفاظ والمصطلحات بطريقة أكثر توسعاً ، فيذكر أن " دل عليه ، واليه دلَّالة : أرشد ، ويُقال : دله على الطريق ونحوه : سدده اليه ؛ فهو دال ،والمفعول : مدلول عليه واليه ... ودللَهُ على السلعة : أعلن عن بيعها بالمساومة . الدلَّالة: الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، والدلَّالة: الدلَّالة، والدلَّالة اسم لعمل الدلَّال، والدلَّال: من يجمع بين البيعين. والدلَّال من يُنادى على السلعة لتُباع بالممارسة ". [16]

ومن خلال التعريفات السابقة يتبن لنا أن الدلَّال هو الشخص الذي يمارس عمله في الجمع بين البائع والمشترى، كما كان هناك فئات ونوعيات أخري من الدلَّالين مثل: دلَّال الرقيق ودلَّال الأملاك ... الخ وكان هناك ما يُسمى دلَّال الكتب [17] تخصص هذا الدلَّال - كما هو واضح - في مجال الكتب بحيث يُدلل على الكتب لبيعها .

ويمكن الخروج بتعريف مُحدد لدلَّال الكتب، وهو الشخص الذي يعمل كوسيط بين بائعي الكتب ومن يريد شرائها، سواء كان البائع تاجراً للكتب أو شخصاً عادياً، والمُشترى كذلك، وفي سبيل هذا يقوم بدور الإرشاد إلى الكتب المراد بيعها ويُنادى عليها في الأسواق أو في أي مكان آخر حتى يتم بيعها.

رابعاً: شراء وجمع الكتب عند المسلمين:

اهتم العلماء والمؤلفين بالكتاب، وكتبوا فيه من النثر ونظَموا فيه أبيات الشعر ما يدل على حبهم وشغفهم به، فقد نعته الجاحظ قائلاً " الكتاب نعم الذخر والعُقدة هو ، ونعم الجليس والعُدة ... والكتاب وعاء

مليء علماً ، وظرف حشي ظرفا ، وإناء شُحن مزاحا وجدا ، ولا أعلم جاراً أبر ولا رفيقاً أطوع ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ...." [18] ،وكان الكتاب رفيقاً لهم في أوطانهم وفي أسفارهم، في البر والبحر ، يقرأون الكتب ليلاً ونهاراً ، وكان لهم شغف عجيب بالكتب قد يصل أحياناً من جانب البعض إلى جنون أو هوس بالكتب في شتى العلوم والفنون .

حض العلماء والمؤلفين طلاب العلم على شراء الكتب ما أمكنهم ذلك ، وجعلوا شراء الكتب في المقام الأول لتحصيل العلوم والمعارف ، فلا يشتغلوا بنسخها أو إعارتها أو إجارتها لئلا يضيعوا أوقاتهم فيفوتهم منافع العلم [19] ولم يقتصر الأمر على طلاب العلم بل حرص الجميع على شراء الكتب ولم يكن ثمة فرق بين الأغنياء والفقراء ، سواء الحكام أو الوزراء أو عامة الناس ، فكان المأمون ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها وقبل أن ينام ومتى انتبه من نومه ،ودأب المرء في المجتمع آنذاك على شراء كتب ليس بحاجة اليها في وقته ، لكنه حينما يُسأل عن ذلك يكون جوابه : إن لم أحتاجها اليوم احتجت اليها بعد اليوم ، أو ربما احتجت الي ما لا احتاج اليه أو اشتريت ما ليس بعلمي ليصير من علمي .[20]

وليس ثمة فرق في حب شراء الكتب وجمعها بين الأفراد في بلاد المشرق الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس حتى أن الفرد منهم والذي لا تكون عنده معرفة ولا علم يحتفل بأن يشترى الكتب ويجمعها ، لا لكي ينتفع بما فيها من علوم ومعارف ولكن ليُقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفُلاني ليس هو عند أحد غيره ، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به [21] وقد بلغ حبهم لشراء الكتب وجمعها أن ابن الخشاب عبد الله بن أحمد المتوفي سنة 567هـ اشترى يوما كتبا بخمسمائة دينار ، ولم يكن عنده شيء منها ، فاستمهلهم ثلاثة أيام ، ثم مضى ونادي على داره ، فباعها بخمسمائة ديناراً وأعطي صاحب الكتب ثمنها نقداً [22] ، وهذا شأن من كان لديه شئ يملكه فيبيعه ويشتري الكتب ،أما من لم يتيسر له ذلك ،فلم يكن أمامه سوى أن يستدين أو يقترض ثم يسدد ما عليه من دين بعد ذلك ، حتي أن أحد القضاة كان يشترى الكتب بالدَّيْن والقرض ، فقيل له في ذلك ، فقال أفلا أشترى شيئاً بلغ بي هذا المبلغ ؟ قيل له : فانك تكثر ؛ فقال : على قدر الصناعة تكون الآلة .[23]

إن جمع الكتب أمر صعب لما يتطلبه ذلك من بذل المال والجهد ،والأصعب منه فقد الكتب أو بيعها أو حتى بيع بعضها لأي سبب كان ، فقد يفقد المرء منهم كتبه فيئن لذلك ويحزن أشد من حزنه على فقد أهله وولده كما كانت لمالك بن أنس صناديق من الكتب فذهبت وفُقدت ، فقال الإمام مالك " لو بقيت لكانت أحب إلى من أهلي ومالي "[24] ،وكانت الكتب تمثل لهم روح الحياة ؛ إذا جمعها اطمأن وإذا فقدها عز عليه وأسف عليها كثيرا ، وعبر بعضهم عن ذلك قائلاً " علةُ أحَزنت وفلتة ساءت ، هي بيع بعض الكتب التي تَعبتُ في جمعها وتحصيلها وجعلت تصحيحها نتيجة العُمر ".[25]

من المؤكد أن نمو وزيادة أعداد الكتب والمصنفات بسبب ازدهار الحركة الفكرية والعلمية وكثُر العلماء والمؤلفين واهتمام عامة الناس بجمع الكتب ، وان كان للمسلمين شغف كبير بشراء وجمع الكتب ، سواء من كان يملك نفقاتها أو لم تسعفه إمكاناته المادية لتلبيه حاجاته ، فإنهم أقبلوا على شرائها وجمعها باعتبارها مصدراً من مصادر فخرهم ، وكان مقياس الثراء عندهم هو شراء وجمع الكتب واقتنائها ، خصوصاً النادر منها [26] ولم يكن ذلك بمعزل عن عمل دلَّال الكتب الذي إن لم يتمكن من توفير احتياجاتهم من الكتب والمخطوطات وجعلها متاحة بين أيديهم فإنه كان يسعى على الأقل لإرشادهم إلى أماكن توافرها .

خامساً: مهنة دلَّال الكتب:

من الطبيعي أن يكون لدلَّال الكتب دوره في حركة تداول الكتب من بيع وشراء ، سواء كان هذا الدلَّال مشهوراً بالدلَّالة على الكتب ومعروفاً أو كان يُدلل على الكتب من خلال عمله بمهنة الوراقة ، فقد كان من بين مهام عمل الوراقين هو بيع الكتب ، وهذا يتطلب الدعاية والإعلان الكافي عن الكتب ذاتها ،ومنهم من اهتم ببيع الكتب والدعاية والإعلان عنها والدلَّالة عليها ، ومنهم من كان يستعمل من اشتهر من دلَّالين الكتب فعهد اليه بتلك المهمة لترويج وبيع ما لديه من كتب ومخطوطات خصوصاً النادر منها ، ويعد الحظيري أبو المعالي سعد بن علي بن قاسم الأنصاري الوراق الشاعر المعروف بدلَّال الكتب المتوفي سنة 586هـ ، أشهر دلَّال للكتب عرفته الحضارة العربية ، وكانت لديه معارف كثيرة ، وله نَظم جيد وصنف كثير

من الكتب ،ومن أشهرها :[27] كتاب : لمح الملح [*] بالإضافة إلى كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر ، حيث ذكر فيه ألطافاً من الشعر ، وذكر فيه جماعة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم ، مما يدل على كثرة اطلاعه واستفادته من مهنته في تأليف الكتب .

وينبغي أن ندرك أن ثمة عدة مسميات أخرى أُطلقت على دلَّال الكتب منها : المُنادى ، إذ أن المناداة على الكتب من صميم عمل دلَّال الكتب ، كما كان دلَّال الكتب يجمع بين الوراقة والدلَّالة على الكُتب ، سواء بطريق النسخ أو البيع أو التجارة والدلَّالة عليها ، ومع مرور الزمن أطلق على من يقوم بهذه المهنة مصطلح " سمسار الكتب " ، ومن أشهرهم أبو الفتوح ناصر بن أبى الحسن بن على بن خلف المعروف بابن صورة " سمسار الكتب " المتوفي 607هـ [28] ، فضلاً عن مصطلح الكُتبى الذي أطلق على الوراق ومن يتعامل في تجارة الكتب في العصور المتأخرة ومن أشهرهم هؤلاء الكُتبيين " جمال الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط الكُتبى الوراق المتوفي سنة 718هـ [29] ، وكان بعضهم يعمل في الدلَّالة على الكتب لبيعها لنفسه أو لأشخاص آخرين لتحقيق أكبر ثمن أو عائد ممكن من ورائها ،فالكُتبى كما ورد في خريدة القصر للعماد الأصبهانى " يعرف الكتب وما فيها ، والمصنفات ومصنفيها ، والمؤلفات ومؤلفيها ".[30]

وخلاصة القول أن تجارة الكتب قد مارسها جملة من الناس منهم: العالم والوراق والناسخ والمُجلد وغير هؤلاء وقد أطلق على بعضهم العديد من المصطلحات، مثل : التاجر ، المتسبب ، المتكسب ، السمسار ، المنادي ، الدلَّال ، الوراق ، الكتبي ، إلى غير ذلك من المصطلحات الدالة على تجارة الكتب ".[31]

سادساً: خصائص وسمات دلَّال الكتب:

لم يعثر الباحث على وثيقة أو مصدر يحدد الخصائص والسمات العامة لدلَّال الكتب، ومن ثم آثر الباحث أن يتخير أحد الشخصيات المشهورة في مهنة الدلَّالة، وهو سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن الأنصاري الخزرجى أبو المعالي الحظيري المتوفي سنة 586هـ لمكانته في سوق الكتب، فهو أشهر من

عُرف ولُقب بـــ " دلَّال الكتب ".[32]، باعتباره نموذجاً لبيان الخصائص والسمات التي كان عليها دلَّال الكتب بوجه عام، حيث يمكن رسم صورة عن خصائص وسمات دلَّال الكتب على النحو التالي :[33][34]

1-الثقافة الواسعة حيث أن من عمل كدلَّال للكتب كان له اشتغال بالعلوم وفنون الثقافة المختلفة من شعر وأدب كما كانت لهم مؤلفات وكتب، ساعده في ذلك علاقته المستمرة والدائمة بأسواق الوراقة وحوانيت ودكاكين الوراقين وحلقات بيع الكتب .... الخ.

2-الرحلة من بلد لآخر ، والتنقل من مكان إلى آخر داخل البلدة الواحدة في سبيل الدلَّالة على الكتب والمؤلفات.

3-حُسن المُعاملة سواء مع من جاء يبيع كتاباً أو من يشتريه باعتبار أن مهنة دلَّال الكتب أحد المهن المرتبطة بالتجارة أساساً.

4-مخالطة العلماء والمؤلفين والأدباء والشعراء وطلاب العلم والحكام والوزراء وأصحاب الفئات الأخرى المهتمين بجمع الكتب وتكوين مكتبات شخصية لهم خصوصاً البارزين في عصره بحكم مهنته من ناحية، فضلاً عن اهتماماته بالعلوم والمعارف من ناحية أخرى.

5-القدرة على تقدير أثمان الكتب والمؤلفات، وفقاً للاعتبارات المختلفة، خصوصاً الكتب القيمة والنادرة.

سابعاً: أماكن تواجد دلَّال الكتب:

كان هناك اهتمام كبير بالتوسع في أسواق الوراقة ليكون في كل ربض سوق جامعة تجمع التجار من كل الطوائف ، وكان من أشهر مناطق تواجد الوراقين هو " طاق الحرانى " في أحد ضواحي بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية خلال القرن الثالث الهجري [35] وسرعان ما كانت الكتب تأخذ طريقها إلى شتى ربوع الحضارة العربية ،فكانت الكتب تُحمل من بغداد إلى أقصى البلاد ونشطت حركة تجارة الكتب في كل المدن الإسلامية ، وكان الوراقون عادة ما يفتحون دكاكينهم أمام الجوامع والمدارس ، وكانت هذه الدكاكين كثيراً

ما تتمركز في شوارع بعينها حيث تكون حركة المارة على أشدها ، وقد كان الدور المهم لهذه الدكاكين ، بالإضافة إلى بيع الكتب ، يكمن في نشر المعلومات حول المؤلفات الجديدة بغرض الترويج لها .[36]

ويبدو أن العمل بهذه الأسواق لم يقتصر على الوراقين وبائعي الكتب وإنما كانت هناك فئة أخرى أسهمت في توصيل الكتب إلى المستفيدين وكان المنتمين لهذه الفئة يُعرفون بـ " دلَّال الكتب " وكانت مهمتهم هي الجمع بين بائعي الكتب والمشترين وذلك عن طريق النداء. [37] **وكان يقوم على بيع الكتب عن طريق الإذاعة والإظهار والنداء عليها في محل الرغبات ومظان الطلبات.** [38]

وكان لدلَّالين الكتب مكانهم بين حوانيت ودكاكين الوراقين ، فهي الأماكن الأساسية لتواجدهم حيث تكثر الكتب والمخطوطات العادية وذات القيمة العالية والنوادر منها ، وكان أبو المعالي الحظيرى الوراق المعروف بـ دلَّال الكتب لديه " دكان للوراقة ونسخ الكتب والمؤلفات إلى جانب قيامه بالدلَّالة على الكتب والدفاتر ، كما كان دكانه ملتقى للعلماء والأدباء ، فقد ذكر العماد الأصفهاني أنه لقي الأديب أبو الفرج محمد بن الحسين بن خليل الهيثى بباب دكان أبى المعالي الكتبي في سنة خمسين وخمس مائة "[39] **، ويُذكر أنه خرج من بغداد ثم رجع اليها وعاد إلى ما كان عليه من بيع وتجارة الكتب والدلَّالة عليها في دكانه بالإضافة إلى التصنيف والتأليف إلى أن أدركته منيته فمات على هيئته ".**[40]

لم يقتصر أمر الدلَّالة على الكتب وعرضها والترويج لها على الحوانيت والدكاكين في أسواق الوراقة والوراقين، فمنهم من كان يمارس مهنة الدلَّالة على الكتب وبيعها من بيته أو داره مثل: ناصر بن على بن خلف المعروف بابن صورة الكتبي المتوفي سنة 607 هـ، حيث عُرف عنه انه كان يعمل سمساراً للكتب بمصر وله في ذلك خبرة كبيرة، وكان يجلس في دهليز داره لذلك، ويجتمع الناس عنده، فيعرض عليهم الكتب المراد بيعها. [41]

ولأن مهمة دلَّال الكتب بيع النادر من الكتب وشراءها ، فكان يجوب المدن ويتردد على كل تاجر للبحث عن النادر منها وللاطلاع على آخر ما أنتجه العلماء والمؤلفين العرب والمسلمين من مؤلفات في شتى

العلوم والفنون ، وقد تُكلل جهوده ورحلاته بين البلاد بالنجاح مرة ، مثلما نجح أحد الدلَّالين في رحلته لشراء كتب أبى حاتم سهل بن محمد من ورثته ، حيث وقف أهل البصرة على المزايدة فيها ، حتى بلغت أربعة عشر ألف دينار ، فتمكن من شرائها ليعقوب بن الليث بن الصفار المتوفي 265هـ ، كما طلب منه وأرسله لهذه المهمة ، ونُقلت اليه كلها [42] وقد لا يُوفق في رحلته من أجل الحصول على الكتب والمؤلفات ، مثلما سافر أحد هؤلاء الدلَّالين من بغداد إلى القاهرة ليشترى ما يقع تحت يديه من الكتب القيمة والنادرة ، وكان قد سمع بأخبار أحد الأطباء المشهورين آنذاك وهو إبراهيم بن الصوفان والذي كانت لديه مكتبة زاخرة بالكتب والمؤلفات النادرة ،فتمكن دلَّال الكتب من توطيد العلاقة معه ،كما تمكن من إقناع الطبيب بشراء عشرة آلاف مجلد من كتبه ، فوافق الطبيب ، ولكن الوزير الأفضل أقنعه بعدم بيع كتبه .[43] فعاد دلَّال الكتب خالي الوفاض .

وقد يذهب دلَّال الكتب إلى بيوت العلماء وديارهم بناءاً على طلبهم ، ليقدر قيمة الكتب مادياً ، سواء كانت أعداد الكتب كبيرة أو قليلة ، وقد يتفاوت تقدير ثمنها من دلَّال إلى آخر ، فقد دُفعت كتب أحمد بن يحي ثعلب المتوفي سنة 291هـ إلى أبى بكر ابن اسحق فقال إبراهيم الزجاج للقاسم بن عبد الله " هذه كتب جليلة ، فتقدم القاسم إلى على بن عبيد الله بن رأس البغل حتى يقدر ثمنها ويأخذها لكنه قومها بثمن باهظ ، فما كان من إبراهيم الزجاج إلا أن أحضر خيران الوراق فقوم ما كان يساوى عشرة دنانير بثلاثة دنانير فقط ، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار فأخذها القاسم بها ".[44]

ولم يقتصر عمل دلَّال الكتب على حوانيت ودكاكين الوراقين ، أو بيوت العلماء وديارهم ،بل كانت هناك حلقات الكتب يأتي اليها من يريد بيع كتبه أو من يبغى الشراء ، وينادى دلَّال الكتب على كتب بعينها للإعلان عنها والترويج لها ، حتى يصل إلى أعلى ثمن لبيعها ، ومن الطبيعي في حلقات الكتب أن بعض العلماء والأفراد العاديين إذا أراد شراء كتاب بعينه للإفادة منه فإنه يستمر في المبالغة في ثمنه لدلَّال الكتب حتى يشتريه ، مثلما غالى الجاحظ في شراء كتاب سيبويه حينما قدم إلى بغداد ،ونودي عليه ، فبالغت في ثمنه فتم له شراء الكتاب .[45]

وكان دلَّال الكتب يعرف الجيد والرديء من الكتب؛ كما يبيعونها ويقوّمونها. لهذا كان جامعو الكتب يراجعونهم في اقتناء الكتب، وهم يجلبون لهم ما أرادوا، ولو كان من بلاد بعيدة، وكان دلَّال الكتب أحياناً يتبع طرقاً مختلفة ليحصل على الكتب بأثمان قليلة، فقد شهدت حلقات بيع الكتب وأسواق الوراقة أشكالاً متعددة للتدليس من جانب بعض الوراقين بغرض بيع الكتب بأسعار أعلى من سعرها الحقيقي، وكانوا ينسبون بعض الكتب إلى العلماء البارزين آنذاك، ومن ذلك كتاب " الأغاني الكبير " المنسوب إلى اسحق بن إبراهيم الموصلي " الذي لم يصنفه أصلاً ولم يدرى انه نُسب اليه.[46]

وينبغي أن ندرك أن مسالة التدليس في الكتب لم تكن من جانب الوراقين فقط ،بل كانت من جانب النُساخ أيضاً ، إذ أن بعضهم كان يزيد في حجم الكتاب ليروج له ولِكي يُزيد من قيمته المادية كما كان أحمد السري أبا الحسن الكندي المعروف بالسُرى الرفاء المتوفي 362هـ قد نسخ " ديوان شعر كشاجم " وكان مُغرى ومُولع به ، لكنه كان يدس فيه من أشعار الخالدين ليزيد من حجم ما ينسخه وينفق سوقه فيبيعه بأكثر من ثمنه [47] **كان بعض المترددين على حلقات بيع الكتب وأسواق الوراقة عموماً يعبثون في الكتب ليشتروها بأقل من ثمنها ، فقد كان بعضهم إذا أراد شراء كتاب بعينه غافل الناس وقطع منه ورقة أو أكثر ، أو أحدث فيه ما يُقلل من قيمته ليأخذه بثمن بخس ومن أبرز من عُرف عنه ذلك عبد الله بن أحمد بن الخشاب المتوفي 567هـ "**[48] **، وربما حمله على ذلك حبه للكتب مع ضيق ذات اليد ، وقد مر بنا انه باع داره من أجل شراء الكتب ، حتى ذُكر أنه " كان لا يخلو كمه من كتب العلم ".**[49]

ثامناً: دوافع ودواعي التردد على حلقات بيع الكتب:

كان بعض المترددين على أسواق الوراقة يأتون إلى حلقات بيع الكتب ، فيجلسون في شكل حلقة ، ويُعلن عن الكتاب بالنداء عليه ، فيزايد الناس عليه واحداً بعد الآخر ، كما هو الحال في المزاد العلني ، وكان هناك دلَّالون للكتب لديهم الخبرة في مجال بيع الكتب وعرضها والإعلان عنها ، مع بيان خصائصها ومميزاتها مما يساعد في إقبال الناس عليها بالشراء [50] **،وقد انتشرت حلقات الكتب في مختلف بلدان**

الحضارة العربية ، وشهدت حركة بيع الكتب رواجاً كبيراً ، وكان لتردد الأفراد على حلقات بيع الكتب دوافع عديدة ومتنوعة ، لعب دلَّال الكتب دوراً كبيراً في تلبيتها وفقاً لغاية كل منهم ، ويمكن بيان هذه الدوافع والأغراض على النحو التالي :

1-الاقتناء الشخصي للكتب:

جرت العادة أن يذهب العلماء والمؤلفين وعامة الناس إلى حلقات الكتب في أسواق الوراقين بغرض شراء الكتب والمؤلفات ولتكوين خزائن ومكتبات شخصية لهم ، وقد يجد المرء في مزادات الكتب ما يلبى اهتمامه فيشترى ما يريد منها ، مثلما كان أبو الفرج الأصبهاني يدخل سوق الوراقين وهى عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته "[51] فيطالعها ويستفيد منها كبقية مؤلفاته التي جمعها ، شأنه في ذلك شأن غالبية العلماء والمؤلفين والأفراد العاديين الذين كونوا مكتبات شخصية زخرت بكثير من المؤلفات والمخطوطات بطريق الشراء .

وليس من الضروري أن كل من يأتي إلى أسواق الوراقة أو مزادات الكتب جاء ليشتري أفضل الكتب وأجودها، فهناك من كانت إمكاناته المادية تسمح له بشراء ما يريده -كما مر بنا -بل إن من الأفراد لم تمكنه إمكاناته المادية من شراء الكتب إلا الرديء منها، مثل: عبد الله بن احمد بن الخشاب المتوفي سنة 567هـ الذي كان من محبي وجامعي الكتب وكان كثير التردد على أسواق الوراقين لكنه " لا يقتنى من الكتب إلا أرداها صورة وأرخصها ثمناً ". [52]

2-إهداء الكتب للأصدقاء:

ليس من الضروري أن يأتي العالم أو حتى الشخص العادي إلى حلقات بيع الكتب في أسواق الوراقة ليشتري كتاباً لنفسه فقط ، فمن الممكن أن يذهب لمزاد الكتب لشراء كتاب يهديه لأحد أصدقائه أو أي شخص يذهب اليه ، فقد كان من عادتهم - في ظل الحضارة العربية - أن يتهادوا بالكتب والمؤلفات لإظهار الاهتمام والتقدير سواء لشيوخهم أو لأصدقائهم ... الخ ، مثلما فعل أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي سنة

255هـ حين قدم على بغداد ولم يكن معه شيء يُهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات المتوفي سنة 233هـ فلما خرج من السفينة سمع منادياً ينادى : من أراد أن يحضر بيع كتب الفراء فليحضر ، فقال لأذهبن لعلى أن أشترى كتاباً فأهديه اليه ، فحضر فلم يجد كتاباً يستحسنه سوى " كتاب سيبويه " فاشتراه وأهداه اليه فسُر به محمد بن عبد الملك الزيات .[53]

3-الفخر بالكتب والتباهي بها:

كان العرب والمسلمون في بلاد المشرق وبلاد المغرب الإسلامي والأندلس يفتخرون بحصولهم على الكتب والمؤلفات ،كما كان وجود الكتب في البيت من بواعث الفخر بين جيرانه وأقرانه ، ومن اللافت للنظر أن البعض كان يأتي إلى حلقات بيع الكتب ليشتري المؤلفات سواء انتفع بها أم لم ينتفع ، ومن ذلك أن على بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المصري المتوفي سنة 430هـ ،والذي صنف كتاب " إعراب القرآن " في عشر مجلدات أبدع فيه وتنافس العلماء على تحصيله ، فاشتراها رجل من عامة الناس ، ثم رحل بها إلى الشام وهو غير عالم بقدرها ولا عارف بمُصَنِفِها ، ولما تنبه على جلالتها اهتم بها واشتد حفظه لها وضنه بها .[54][55]

وقد يأتي أحد الأفراد إلى حلقات بيع الكتب فتقع عينه على كتاب لمجرد مظهره الخارجي فقط دون أي اعتبارات أخرى فيُغالى في شرائه ويُضَيعُ الفرصة على من هو أعلم منه وأكثر حاجة له ، فعبيد الله بن عمر الحضرمي أقام بسوق قرطبة يترقب كتبها حتى عُرض أمامه كتاب طال اهتمامه وطلبه له ، وكان بخط جيد ففرح به أشد الفرح وجعل يزيد في ثمنه وهناك من يُزيد في ثمنه أمام المنادي إلى أن بلغ فوق حده ، فطلب من المنادى أن يريه من يزيد في ثمن الكتاب ، فقال له إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت بالكتاب زيادة فوق حده ، فكان رده : لست بفقيه ولا أدري ما فيه ، ولكني أقمت خزانة كتب لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب . فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد، استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. [56]

4-الاطلاع على الكتب:

كان البعض يذهب إلى حلقات بيع الكتب بغرض القراءة و الاطلاع فقط والتعرف على محتويات الكتب إما للانتفاع بالمعلومات التي تشتمل عليها أو لنسخ وتدوين أجزاء منها، مثل محمد بن بهادر بدر الدين محمد الزركشى المتوفي سنة 794هـ الذي لم يكن يتردد على الأشخاص أو الأماكن إلا إلى سوق الكتب، وإذا حضره لا يشترى شيئاً من الكتب إذ أن شغله الشاغل فيها هو مطالعة الكتب والمؤلفات، لينتقى ما ينفعه من المعارف والمعلومات، ثم يدونها في صحفه و أوراقه تمهيداً لنقلها إلى مُؤلفاته. (57)

تاسعاً: مواعيد عمل دلَّال الكتب:

ارتبطت مواعيد عمل دلَّال الكتب إلى حد كبير بمواعيد أسواق الوراقة ودكاكين وحوانيت الوراقين بالرغم من انه لم يربط نفسه بها في كل الأحوال، فكان يعمل في أي وقت سواء نهاراً أو ليلاً طالما دعت الضرورة لذلك، وإن كانت هذه الأسواق دائمة العمل باستمرار في جميع الأيام لا يمنعها سوى حدوث النوازل كالكوارث والحروب وغيرها.

وكان دلَّال الكتب يتحين فرصة تجمع الناس في المناسبات المختلفة ليؤدي مهامه ، ويبدو أن مواسم الحج كانت مناسبة جيدة لتداول الكتب والبحث عنها أو الإرشاد والدلَّالة عليها ، فقد ذُكر أن أبو حيان التوحيدي قال : حدثنا على بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول كتاب " الحيوان " أسماء كتبه ليكون كالفهرست ومر بى في جملتها " الفرق بين النبي والمتنبئ " و " كتاب دلائل النبوة "... فأحببت أن أرى الكتابين ، ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب " دلائل النبوة " فهمّني ذلك وساءني في سوء ظفري به ، فلما انتقلت من مصر ودخلت مكة حاجّاً ، أقمت منادياً بعرفات ينادي ، والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وأوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من الشرق إلى الغرب رحم الله مَنْ دلّنا على كتاب " الفرق بين النبي والمتنبئ " لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان . قال: فطاف المنادي في ترابيع عرفات ينادى على الكتاب لكنه عاد بالخيبة . (58)

وكان بعض دلَّالي الكتب يحرصون على التركيز في أيام بعينها لبيع الكتب وعرضها على العلماء وطلاب العلم، باعتبارها فرصة أكثر مناسبة لقيامه بمهامه ، بالرغم من النهوض بعمله في جميع الأيام الأخرى ، ومن ذلك ناصر بن على بن خلف المعروف بابن صورة الكُتبى المتوفي سنة 607هـ الذي عَرف عنه أنه كان يعمل سمساراً للكتب بمصر وله في ذلك خبرة كبيرة ، وكان يجلس في دهليز داره لذلك ، ويجتمع الناس عنده يومي الأحد والأربعاء من أعيان الرئاسة والفضلاء ، فيعرض عليهم الكتب المراد بيعها .[59]

وبوجه عام يمكن القول أن دلَّال الكتب كان يستغل تواجد أكبر عدد ممكن من الناس للدلَّالة على الكتب، وأن الدلَّالة على الكتب لم تكن لتتوقف على أماكن بعينها كأسواق الوراقة وحلقات بيع الكتب فحسب، ولا في أوقات محددة مثل مواعيد عمل أسواق الوراقين أو حتى الشوارع التي يتجمع بها الناس لقضاء حوائجهم بل في الأماكن المقدسة أيضاً، وذلك من باب " لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ".[*]

عاشراً: أدوات دلَّال الكتب ووسائله للترويج لبيع الكتب:

تعددت أدوات دلَّال الكتب ووسائله التي كان يستعين بها في الترويج لبيع وتجارة الكتب والدلَّالة عليها وبيان خصائصها ومميزاتها حتى يتمكن من جذب القراء اليها والحصول على أكبر قيمة مادية من بيعها، ومن أهم هذه الأدوات:

1-مكانة مؤلف الكتاب وخبرته:

إن خبرة المؤلف ومكانته بين المؤلفين والعلماء كان لها عامل كبير في الترويج للكتب في شتى البلاد الإسلامية ، فإن كان المؤلف من كبار العلماء أو المؤلفين البارزين سهل عمل دلَّال الكتب في بيع الكتاب والترويج له وربما سعى اليه تجار الكتب بأنفسهم ، كما كان الحكم المستنصر يُرسل التجار إلى البلاد بحثاً عن الكتب والمؤلفات ، فقد كان محباً للكتب ، وبمجرد علمه أن أبى الفرج الأصفهاني ألف كتاباً بعنوان " الأغاني " أرسل في شرائه ألف دينار من الذهب العين " ، كما فعل مع القاضي أبى بكر البهلى المالكي في شراء الكتب منه .[60]

2-موضوع الكتاب وأهميته:

من المؤكد أن المصاحف القرآنية أتت في المرتبة الأولى والتي لا تدانيها مرتبة ، فكان ثمة إقبال كبير على شراءها بغرض القراءة والتعبد والتماس البركة ، كما أن هناك من الكتب ما أعلنت عن نفسها بسبب الموضوعات التي تُعالجها ، فقد كانت هناك من الموضوعات التي يُقبل عليها طلاب العلم والدارسين وكافة فئات المجتمع القارئ خصوصاً فيما يتعلق بعلوم التفسير وعلوم الحديث ؛ مثل كتاب " فتح البارئ بشرح صحيح البخاري " الذي بلغت شهرته شتى بلاد الحضارة العربية حتى " استدعى طلبه ملوك الأطراف بسؤال علمائهم لهم في طلبه وانتشر في الآفاق حتى بيع بنحو ثلاثمائة دينار "[61] بالرغم من وجود شروح سابقة لكتاب " صحيح البخاري " فهذه المؤلفات كانت تعلن عن نفسها في أسواق الوراقة ومن يعملون بها وفي مقدمتهم دلَّال الكتب فكانت مادة سهلة في بيعها وتحقيق العائد المادي الوفير من ورائها .

وكان من الضروري أن يتحرى ويتعرف دلَّال الكتب علي الموضوع الذي يعالجه الكتاب المراد بيعه ، فقد كان من حقه ألا يبيع كتب ذات موضوعات بعينها ولفئات محددة ، وذلك لاعتبارات تؤثر على المجتمع الكائن آنذاك ، فقد كان من حقه ألا يبيع الكتب الدينية لمن علم أنه يضيعها ، أو من يريد أن يشتريها ليفحصها ويحلل موضوعاتها بغرض انتقادها والطعن عليها ، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل الأهواء والبدع ، وكذلك كتب المنجمين ، والكتب المكذوبة ، وكان يَحرُم على دلَّال الكتب أن يبيع المصحف الشريف لشخص كافر ، ولا يبيع له شيئاً من كتب الفقه والحديث .[62]

3-جودة الخط وصحته:

كانت جودة الخط فضلاً عن صحته وسلامته من التصحيف والتحريف من أهم أدوات دلَّال الكتاب عندما ينادى على كتاب بعينه ويعرضه على الناس، فخط يوسف خُر زاد النجيرمى اللغوي المتوفي سنة 423هـ كان يتنافس عليه المصريين إذا وقع، وكان القفطى يحضر حِلق بيع الكتب، فإذا نادي المُنادى : كتاب كذا بخط النجيرمى ، رُفعت نحوه الأعناق . كما رأى بخطه نسخة من كتاب " ديوان جرير " وقد بيعت بعشرة دنانير، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجُمحي وقد بيعت بمبلغ قريب من ذلك.[63]

ويُذكر أن موهوب بن أحمد بن الحسن الجواليقى المتوفي سنة 539هـ كان " مليحُ الخط ، يتنافس الناس في تحصيله والمُغالاة به "[64] ، وله كثير من الكتب أشهرها كتاب " شرح أدب الكاتب " وكتاب " الروضتين " كما أنه عاش في بغداد إبان القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري [65][66] ،حيث كثرت بها حوانيت وداكين الوراقين ودلَّالين الكتب ولعل أشهرهم سعد بن على الحظيرى المشهور بدلَّال الكتب وكان " خطه كنقش المزج الحلو كالممزوج المصرف صفو ، ومن كل عيب خلو "[67] بمعنى أنه " شبيه بالممزج " وهو عبارة عن نسيج بديع من الحرير المطرز بالذهب كان يُصنع في بغداد ويبدو أنه كان شائعاً خلال القرن السادس الهجري .[68]

وكذلك عبد الله بن أحمد بن الخشاب المتوفي سنة 567 هـ صاحب المؤلفات الغزيرة والكتب المفيدة، كان إذا كتب كتاباً بخطه يُشترى بالمئين، وتنافس عليه بواعث المستفيدين [69] لجودة خطه وضبطه وصحته التي كانت تُعد من أهم الدواعي لشراء كتبه فضلاً عن علمه الوافر.

4-الشكل المادي (مثل التجليد التزيين والتذهيب ... الخ):

نشأ فن التغليف والتجليد أساساً لحفظ الكتب، وكان تجليد الكتب وترميمها حرفة وفناً ازدهرا في شتى بلاد الحضارة العربية؛ وكان الاهتمام بذلك نظراً لقيمة الكتاب وأهميته وفائدته للعلماء وطلاب العلم والدارسين وغيرهم، وكانت الكتب والمخطوطات المجلّدة يدويّاً من النفائس التي يحرص المترددين على حلقات بيع الكتب وأسواق الوراقة على شرائها واقتنائها وجعلها في مكتباتهم الشخصية.

وإن كان دلَّال الكتب يعتمد في ترويج بضاعته من الكتب والمؤلفات على مكانة المؤلف وموضوعات الكتب فضلاً عن جودة الخط وصحته ومدى ضبطه فإنه ثمة اهتمام بالشكل والمظهر الخارجي للكتب سواء تجليدها أو تذهيبها من جانب الراغبين في شراء الكتب ، فقد يُغالى المرء في شراء كتاب ما لمظهره فقط ولا يدرى ما يحتويه الكتاب من موضوعات ليُزين به ركناً في خزانته أو مكتبته الشخصية مثلما حدث في سوق

قرطبة أن اشترى رجل من عامة الناس كتاباً لمظهره فقط ، وظل يرفع في ثمنه لدلَّال الكتب حتى اشتراه بالرغم من أن أحد العلماء كان يريده لما يحويه من موضوعات قيمة وذات فائدة .[70]

5-الكتب أو النُسخ النادرة:

ليس من شك في أن النوادر من الكتب سواء كانت أصلية أو حتى نُسخ من الأصول ذاتها كانت من بين أهم الأدوات والوسائل التي تساعد دلَّال الكتب في بيع الكتب ، وتزيد من قيمته ،فضلاً عن ندرته ،ولاسيما إن كان مصحفاً قرآنياً ، فقد ذكر أن مصحف عثمان بن عفان قد وجده رجل ودخل به سوق تلمسان وهو غير عالم بمقداره ، وعرضه للبيع ، وكان السمسار ينادى عليه بسوق بيع الكتب بسبع عشر درهماً ، فزاد بعضُ من يعرف قيمة هذا المصحف ، فأسرع أحدهم وأبلغ يغمر أسن بن زيان زعيم بني زيان مؤسس سلطنة بني عبد الواد في المغرب الأوسط المتوفي سنة 681هـ ، فبادر بالأمر فأخذه وأمر بصونه والعناية به [71] وهذه النسخة هي إحدى النُسخ الست التي أمر عثمان بن عفان بنسخها وتوزيعها ، أربعة منها على الأمصار الإسلامية ، وأبقى نسخة لأهل المدينة ونسخة احتبسها لنفسه وهى ما عُرفت بين الناس بالمصحف الإمام.

حادي عشر: دور دلَّال الكتب في العملية العلمية والفكرية والثقافية:

لعب دلَّال الكتب دوراً كبيراً سواء في أسواق الوراقة والوراقين أو بين العلماء وطلاب العلم، ويمكن بيان دوره بشكل عام حيث أنه:

1-كان حلقة الوصل بين أصحاب الكتب ومن يرغب في شرائها والحصول عليها، فضلاً عن تجار الكتب في شتى أنحاء وربوع الحضارة العربية.

2-تعد مهنة دلَّال الكتب أحد أبرز وسائل الاتصال بين العلماء وبعضهم بغض النظر عن تخصصاتهم واهتماماتهم وبلادهم التي يقطنون بها أو التي يرحلون منها أو اليها.

3-أن دلال الكتب ساعد العلماء وغيرهم من الفئات الأخرى التي كانت ترغب في بناء وتكوين مكتبات أو خزائن خاصة تضم صنوف الكتب التي بحثوا عنها أو رغبوا في اقتنائها.

4-انه كان يحيط العلماء والمؤلفين علماً بآخر ما أنتجته القريحة العربية سواء الكتب العربية أو المنقولة والمترجمة من لغات أخرى.

وبعد الانتهاء من دراسة مختلف جوانب موضوع بيع وشراء الكتب ابان الحضارة العربية، وتحديداً دور دلال الكتب في حركة البيع والشراء وتسهيل إجراءاتها يمكن بيان أهم المؤشرات التي توصلنا اليها على النحو التالي:

1-تميز المسلمون الأوائل بشغفهم -غير المسبوق -بالكتب والإقبال على شراءها، وأنهم كانوا يترددون باستمرار على أسواق الوراقة والوراقين وحلقات بيع الكتب المنعقدة بهذه الأسواق.

2-أن مهنة دلال الكتب كانت من المهن التي حظيت باهتمام كبير، حتى أن بعض العلماء والمؤلفين اشتغلوا بها، وأنها -كأي مهنة -كانت تتطلب مجموعة من الخصائص والسمات للنهوض بأعبائها بحرفية وموضوعية.

3-تعددت وتنوعت دواعي التردد على حلقات بيع الكتب من فرد الي آخر، ما بين الاقتناء الشخصي للكتب، أو بغرض تقديمها كهدايا للآخرين، وربما لاقتنائها بغية التباهي والتفاخر بها بين الأقران والأهل والجيران.

4-أن دلال الكتب كان يتردد على العديد من الأماكن التي يتجمع بها الناس وكان يتحين الفرصة لأداء مهمته، سواء في أسواق الوراقة وحلقات بيع الكتب أو أماكن تجمع الناس في المناسبات المختلفة كالحج وغيرها.

5-اعتمد دلال الكتب علي مجموعة متنوعة من الأدوات والوسائل للترويج وبيع الكتب والمؤلفات ، ومن أبرزها اسم المؤلف وشهرته بين الناس وموضوع الكتاب ومدي إقبال الناس عليه ،و جودة الخط المدون به الكتاب وصحته ،الي جانب الشكل المادي ،مثل : التجليد والتزيين والتذهيب ... الخ ،فضلاً عن مدي ندرة الكتاب وتوافره في أسواق الوراقة وتداوله بين الناس .

6-أن دلال الكتب لعب دوراً مهماً -سواء بشكل مباشر أو غير مباشر – في إثراء الحياة العلمية والتعليمية والثقافية، من خلال اتصاله بالعلماء والمؤلفين وطلاب العلم والدارسين، فضلاً عن رحلاته وانتقاله بغرض بيع وشراء الكتب والترويج لها في شتي ربوع الحضارة العربية.

وعلى أية حال يمكن القول إن أسواق الوراقين كانت بمثابة المنتديات الثقافية، كما كان الدلَّالون ذوى فكر وثقافة كبيرة، وكان لهم من الكتب والمؤلفات القَيمة، منها ما وصل الينا ومنها ما لم يصل الينا لأسباب أو لأخرى، وليس من شك في أنها أثرت جوانب شتى في الحياة العلمية والتعليمة والثقافية عند المسلمين إبان عصور الحضارة العربية.

مصادر ومراجع الفصل الخامس:

1- ناظم رشيد . سعد بن على الحظيرى الملقب " بدلًال الكتب ".- في : مجلة معهد المخطوطات العربية .- مج33 ،ج1.- (جمادى 1409هـ / يناير 1989) .- ص ص169– 195.

2- Prytherch،Raymond John. Harrods's librarian's glossary and reference book. – 10th ed. – Great Britain: MPG Book Ltd ،2005. - P 81.

3 - Prytherch،Raymond John: Op،Cit. - P 68.

4 - Prytherch ،Raymond John: Op،Cit. - P 67.

5 - Locum Citatum .

6-محمد الشامي و سيد حسب الله. الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات.

7 - Prytherch ،Raymond John: Op،Cit. - P. 561.

8-شعبان عبد العزيز خليفة. المحاورات في مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات. - ط1.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1997 .- ص35 .

9-ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (732- 808 هـ) . مقدمة ابن خلدون / حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش. - ط1.- دمشق : دار يعرب ، 2004 .- ج 2، ص.128

10 -السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم محمد بن منصور التيمي (ت 562هـ) . الأنساب / حققه وراجعه أكرم البوشى .- ط1 .- القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، 1984 .- مج 12 ، ص.236

11- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم – الشرق الأقصى. - ط2 .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2001 .- ص261 .

12-يسرى عبد الغنى عبد الله. من تاريخ المكتبات في الحضارة العربية" المكتبات الخاصة " .- الكويت : دار ناشري للنشر الإلكتروني ، يونيه 2012 .- س5 ، ع 16.- ص52 .

13- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .- بيروت : دار صادر ، [د . ت].- مج 11 ، ص249 .

14-الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .- بيروت : دار العلم للملايين ، 1990 . - مج 4 ، ص 1698.

15- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى ؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد .- القاهرة : دار الحديث ،2008 .- ص.559

16 - المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية .- القاهرة : دار المعارف ، 1972. - ط2.- ص 294 .

17- السبكى ، تاج الدين عبد الوهاب (ت771 هـ) . معيد النعم ومبيد النقم / حققه وضبطه وعلق عليه محمد على النجار ، أبو زيد شلبي ، محمد أبو العيون .- ط1 .- القاهرة : جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، دار الكتاب العربي ، 1948.- ص.144

18- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (150- 255هـ) الحيوان . تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون .- ط2 .- القاهرة : مطبعة مصطفي البابي الحلبي ، 1965 .- ج1 ، ص ص 38 -42 .

19- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (639- 733هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / اعتنى به محمد بن مهدي العجمي.- ط3 مزيدة ومنقحة .- القاهرة : بيروت : درا البشاير الإسلامية : 2012 .- ص126 .

20- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم / صدره وحققه وعلق عليه يوسف العش. - ط2.- القاهرة : دار إحياء السنة ، 1974.- ج 1 ، ص 137 .

21- المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد المقري (986- 1041هـ) . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / حققه إحسان عباس .- بيروت : دار صادر ، 1968 .- ج 1 ، ص ص 462- 463 .

22- ابن رجب الحنبلي ، زين الدين أبى فرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد (736 – 795 هـ) . كتاب الذيل على طبقات الحنابلة / وقف على طبعه وصححه حامد الفقى .- القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، 1952. ج 1، ص 319 .

23- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تقييد العلم.- مرجع سابق .- ص 137 .

24- الكَتَّاني ، عبد الحي (ت1382هـ / 1962م) . تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب / ضبط وتحقيق أحمد شوقي بنين، عبد القادر سعود .- طبعة ثانية منقحة .- مراكش : المطبعة والوراقة الوطنية ، 2005 .- ص ص 30-31 :

نقلاً عن : القاضي أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى . تدريب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك / ضبطه وصححه محمد سالم هاشم .- ط1 .- بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 .- ج1 ، ص 124 .

25- نفس المصدر السابق .- ص .95

26- هونكة ، زيغريد . شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوربة / نقله عن الألمانية فاروق بيضون ، كمال دسوقي ؛ راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى .- ط8 .- بيرون : دار الجيل ، دار الأفاق الجديدة ، 1993 .- ص 385 .

27- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر (608 – 681هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / حققه إحسان عباس .- بيروت : دار صادر ، 1978.- ج 2 ، ص ص 366-367 .

(*) سعد بن على بن القاسم الحظيرى الوراق . كتاب لمح الملح / دراسة وتحقيق عبد العظيم يحيى ؛ مراجعة حسين نصار .- القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية ، 2007 .- 1110 ص .

28- الكتبى ، محمد بن شاكر (ت 764هـ) . فوات الوفيات والذيل عليها / تحقيق إحسان عباس.- بيروت .- دار صادر ، 1974 .- مج4 ، ص184 .

29- أيمن فؤاد سيد . الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات.- ط1 . القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997. - ص 165.

30- العماد الأصبهانى . خريدة القصر وجريدة العصر / تحقيق محمد بهجة الأثري.- العراق : المجمع العراقي ، [د . ت]. - ص .248

31- عابد سليمان المشوخي . أخلاقيات مهنة الوراقة في الحضارة العربية. - في: مجلة جامعة الملك سعود، م15، الآداب 2، (1423هـ/2003م)، ص 7217 .

32 - ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . معجم الأدباء، أو، إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب. - ط1. - لبنان: دار الكتب العلمية، 1991. - ج 3 ، ص ص1349 – 1352 .

33- ابن خلكان ، أبى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر (608 – 681 هـ) .- مرجع سابق .- ج2 ، ص ص366- 368 .

34- العماد الأصبهانى . – مرجع سابق.- ص ص247- 270 .

35 - شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى.- مرجع سابق .- ص151 .

36- الكسندر ستيبتشفيتش . تاريخ الكتاب / ترجمة محمد الأرناؤوط .- الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1993 .- سلسلة عالم المعرفة، القسم الأول . - ص 221 .

37 - ناصر محمد عبد الرحمن رمضان . الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي / تقديم حشمت قاسم .- القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995 .- ص 140 .

38- الكَتَّاني ، عبد الحي (ت1382هـ / 1962م) . مرجع سابق .- ص.95

39- العماد الأصبهانى . – مرجع سابق .- ص 317 .

40- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . – مرجع سابق .- ج 3 ، ص1350 .

41- الكتبى ، محمد بن شاكر (ت 764هـ) .- مرجع سابق مج 4 ، ص184 .

42- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت 624هـ) . انباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط1 .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت :مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986 .- ج2 ، ص .64

43 -هونكه ، زيغريد .- ص 389 ، ص391 .

44- الزبيدى ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ) . طبقات النحويين واللغويين / تحيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة : دار المعارف ، 1973.- ص ص 149 – 150.

45- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت624هـ) .- مرجع سابق .- ج 4 ، ص.14

46 - أيمن فؤاد سيد .- مرجع سابق .- ص .165

47- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله .– مرجع سابق .- ج 3 ، ص1343 .

48- نفس المرجع السابق .- مج 4 ص .1495

49- ابن رجب الحنبلي ، زين الدين أبى فرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد (736 – 795 هـ) .- مرجع سابق .- ج1 ، ص 320 .

50- حامد الشافعي دياب . الكتب والمكتبات في الأندلس . – ط1 .- القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998 .- ص 68 .

51- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر (392- 463هـ) . تاريخ مدينة السلام : وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها / حققه وضبط نصه ، وعلق عليه بشار عواد معروف .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2001 .- مج 13 ، ص 339 .

52- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت 624هـ) .- مرجع سابق .- ج2 ، ص 101 .

53- نفس المرجع السابق .- ج4 ، ص14 .

54 - ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . – مرجع سابق .- مج 3 ، ص ص 300-301 .

55- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت 624هـ) .- مرجع سابق .- ج2 ، ص 220 .

56- المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد المقري (986- 1041هـ) .- مرجع سابق .- ص 463 .

57 - العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد بن حجر شهاب الدين (ت 852 هـ) . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .- حيدر أباد : دائرة المعارف العثمانية ، [د . ت] .- ج 3 ص 398 .

58- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . – مرجع سابق .- ج1 ، ص 2115 .

59- الكتبى ، محمد بن شاكر (ت 764هـ) .- مرجع سابق مج 4 ، ص184 .

(*) سورة الحج ، آية 28 .

60- المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد المقري (986- 1041هـ) .- مرجع سابق .- ج1 ، ص 386.

61- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ) . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .- بيروت : دار الجيل ، 1992 .- ج2 ، ص 38 .

62- السبكى ، تاج الدين عبد الوهاب (ت771 هـ) . مرجع سابق .- ص 143.

63- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت 624هـ) .- مرجع سابق .- ج 4 .- ص ص 72 -73 .

64- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . – مرجع سابق .- ج6، ص ص 2736- 2737

65- ناظم رشيد . مرجع سابق . - مج 33 ، ج 1 . ص 172 .

66- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله . – مرجع سابق .- ج6 ، ص ص2736- 2737 .

67- العماد الأصبهانى . – مرجع سابق .- ص 248 .

68- ناظم رشيد . – مرجع سابق .- ص174 .

69- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف (ت 624هـ) .- مرجع سابق .- ج2 ، ص .102

70- هونكة ، زيغريد .- مرجع سابق .- ص ص388- 389 .

71- الكَتَّاني ، عبد الحي (ت1382هـ / 1962م) . - مرجع سابق .- ص75 .

الفصل السادس

انتحال الكتب في الحضارة العربية

مقدمة:

انتحال الكتب والمؤلفات أمر قديم ، لا ينحصر في حِقبة زمنية بعينها ولا ينتشر بين علماء حضارة بذاتها ، وقلما تخلو الحضارات من بعض الأمور الهامشية والجوانب السلبية التي تعتريها خلال المراحل التي تمر بها ،وبالرغم من أنها لا يمكن أن تُعكر صفو هذه الحضارات أو تُقلل من شأنها ، إلا أنها تبقى راكدة وموجودة ولا يمكن أن تُنحى جانباً ، كما أنها ستظل أحد الجوانب السلبية التي ظهرت فيها ولا يمكن غض الطرف عنها طالما توافرت الأدلة والشواهد التي تؤكد وقوعها سواء في مراحل الازدهار أو مراحل الاضمحلال التي مرت بها الحضارات عبر العصور .

ومهما كانت الدوافع والمبررات لانتحال الكتب والمؤلفات في الحضارة العربية فإنه من المؤكد أن انتحال الكتب كان أمراً منكراً ومستهجناً بين العلماء والمؤلفين المسلمين خلال عصور الحضارة العربية، وظل انتحال الكتب من القضايا المهمة التي شُغِل بها كثير من العلماء والمؤلفين القائمين على تحقيق التراث الفكري الإسلامي وبيان مدى نسبة المؤلفات إلى أصحابها بغض النظر عن طبيعة هذه المؤلفات سواء دواوين الشعر أو الببليوجرافيات أو الموسوعات أو غيرها .

إن من يتطرق إلى أحد الجوانب المظلمة في تاريخ الحضارة العربية قلما يسلم من النقد وربما يؤدى الأمر إلى سوء الظن به ، ومن ثم أودُ التأكيد على أنني ما قصدتُ الطعن فيمن تقدم من العلماء والمؤلفين أو إظهار العيب لهم " وأَنَّى يَكُونُ لمثلى ذلك ؟ وبهم ذُكرنا، وبشُعاع ضيائهم تَبصرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميزنا ، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا ، وما مثلهم ومثلنا إلا كبقل في أصول نخل طوال "(1) ،إذ أن القصد هو النظر والبحث في مؤلفاتهم وبيان ما تعرضت له من جوانب شتى ، من بينها انتحال الكتب بغرض رد حقوق الملكية الفكرية لأربابها حتى لا تضيع جهودهم العلمية هباءً منثورا .

لم يسلم تاريخ الكتب والمؤلفات في الحضارات القديمة والحديثة من ظاهرة انتحال الكتب ، والحضارة العربية شأنها شأن بقية الحضارات التي زخرت بجوانب مضيئة ومشرقة ،وأخرى مظلمة لم تظهر في عصور اضمحلالها فحسب بل في عهود ازدهارها أيضاً ، وان كان انتحال الكتب هو الاستثناء فإن القاعدة العريضة من المؤلفين والعلماء والمؤلفين عُرف عنهم الأمانة والدقة في النقل عن السابقين وإسناد الآراء

إلى أصحابها ، ومن المؤكد أن هذا الجانب المُظلم والمُعتم في هذه الصورة المشرقة الزاهية لا يمكن أن يُعكر صفو الحضارة العربية ولن يؤثر بأي حال من الأحوال على قيمتها ومكانتها بين الحضارات ، فهي بلا شك حضارة عظيمة لها جذورها التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ .

المفهوم اللغوي الاصطلاحي للانتحال والنحلة والعزو:

تزخر المعاجم والقواميس اللغوية ببيان المفهوم اللغوي لكلمات الانتحال والنحلة والعزو ، ويمكن البدء ببيان كلمتي الانتحال والنحلة ، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور أن " نَحله القول نحلاً : نسَبه اليه ، ونَحَلته القول نحلاً ، بالفتح : إذا أضفت اليه قولاً قاله غيره وأدعيته عليه "[11] ، وذكر صاحب القاموس المحيط أن " انتَحله وتنَحَله : ادعاه لنفسه وهو لغيره ، ونَحَله القول : نسَبهُ اليه "[12] ولا يختلف هذا المفهوم عما ورد في المعجم الوجيز [13] ، بينما تطرق صاحب تاج اللغة في تعريفه إلى انتحال الشعر أو القول فذكر أن " نحَلته من العَطِية ، والنُحْلَي العَطِية ، وانتَحل فلان شعر غيره أو قول غيره إذا ادعاهُ لنفسِه ، قال الأعشى :[14]

فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفي ذاك عاراً

ويبدو أن المعنى الاصطلاحي للانتحال والنحلة سيكون أكثر وضوحاً عن المفهوم اللغوي ، إذ أن أهل اللغة لمَّا تناولوا معنى الانتحال والنحلة لم يذكروا أن مِنه انتحال الكتب والمؤلفات ، وانصَب التعريف على انتحال ونحلة القول والرأي فقط ، ويمكن أن يتضح المعنى الاصطلاحي من خلال ما ورد بالمعاجم والقواميس المتخصصة في المجال ، حيث أكد المتخصصون في علم المكتبات أن الانتحال **Plagiarism** يعنى "نسخ كتابات شخص آخر ،ثم نشرها على أنها عمل أصلى ، ومن يقوم بانتحال أعمال الآخرين يُعرف بـ المنتحل **Plagiarist** ، أو **Plagiarizer** "[15] ، بينما ألحق بعض علماء المكتبات لفظ المؤلفات والسطو عليها تحديداً إلى تعريف الانتحال فجاء تعريف الانتحال **Plagiarism** مصرحاً بـ " السطو على مؤلفات الآخرين ونشرها كما لو كانت أعمالاً أصلية "[16] ، وقد حدد بعض العلماء مصطلح الانتحال وربطه بالتطورات التكنولوجية وتبعاتها على هذه الظاهرة ، فذكر أن " الفعل **Plagiarize** يُقصد به أن ينتحل آراء مؤلف آخر وكلماته ، والاسم هو الانتحال **Plagiarism** ويعنى " استعمال عمل أو إنتاج فكرى يتصرف فيه شخص ما

وفقاً لهواه دون أن يدفع مقابل ذلك أو الاعتراف بحق صاحبه ، وبالرغم من صعوبة نشر الأعمال المُنتَحَلَة ، فإن المشكلة الكبرى تكمن في استعمال مواد غير مصرح بنشرها وإتاحتها على شبكة الإنترنت ".[17]

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن هناك ثلاثة أركان تشكل المكون الرئيسي لعملية الانتحال وهى:

(1) المُنتحِل (الشخص الذي قام بانتحال الكتاب).

(2) الكتاب المنحُول (المادة العلمية التي تم انتحالها).

(3) المَنحُول منه (الشخص الذي تم انتحال كتابه).

أما النُحلَة فهي الهبة أو العطية ، وتعنى بالنسبة للمؤلفات : أن يؤلف الشخص كتاباً ثم يهبه أو يعطيه لشخص آخر من تلقاء نفسه ، وقد يكون ذلك طمعاً في الحصول على المال ، أو بغرض التقرب إلى الحاكم أو السلطان ، أو بداعي الشهرة فقط ؛ كأن يأتي شخص مغمور يريد أن يحظى بمكانة كبيرة فيؤلف كتاباً أو قصيدة من الشعر ثم ينحلها أو ينسبها إلى عالم أو مؤلف أو شاعر مشهور ، ولا يشعر بتحقيق غايته إلا بعد تداول هذا العمل وانتشاره وشهرته بين الناس وبنفس اسم المؤلف المشهور وليس اسمه هو[18] ، ومنهم من يحاول أن يؤكد على نسبة هذا الكتاب - بعد شهرته - لنفسه ، ومنهم من يكتفي بشهرة كتابه فقط على اعتبار أنه حقق ما أراد .

وأما مصطلح العَزو فمن الملاحظ أن القواميس اللغوية ركزت في بيانه وتعريفه على نسبة الرجل إلى أبيه ، والقول إلى صاحبه ، والخبر إلى من نقله ، وأصل كلمة العَزو " من عزا الرجل إلى أبيه عزواً : نسبه اليه ، وعزا فلان نفسه إلى بني فلان : انتسب صدقاً كان أو كذباً ، والاسم منه : العزوة ، ويقال عَزوت الشيء وعَزوته وأعزِيه وأعزُوه : إذا أسندته إلى أحد "[19] ، وقد يقال " عَزَوتُه وعَزَيتُه ، عَزوته إلى أبيه : نَسبتُه اليه ، اعْتَزي هو وتَعزى : انتمى وانتسب "[20] ، وربما قيل " عَزا الخبر إلى صاحبه إذا أسنَده اليه ،وعَزا فُلان إلى فلان : نَسَبه اليه ".[21]

وذهب العلماء والمؤلفين إلى أن " من بركة العلم عزوُه إلى قائله " ، ويُذكر أن عبد الغنى بن سعيد لما وصل كتابه إلى أبى عبد الله الحاكم شَكَره ، فلما أملاه على الناس ضمَنَه ما يدل على أن الفضل في موضوعاته يرجع إلى صاحبه [22] وعندما صنف القرطبي (ت671هـ) تفسيره " الجامع لأحكام القرآن "

اشترط على نفسه " إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مُصنفيها ، لأنه يُقال : من بركة العلم أن يُضاف القول إلى قائله "[23] ، ولم يكن علماء الحديث ببعيد عن علماء التفسير ، حيث أكد جمال الدين القاسمي أن " من المدارك المهمة في باب التصنيف عزو الفوائد والمسائل والنكت إلى أربابها تبرؤاً من انتحال ما ليس له ، وترفُّعاً عن أن يكون كلابس ثوبي زُورٍ ، لهذا ترى جميع مسائل هذا الكتاب مَعزُوه إلى أصحابها بحروفها ،وهذه قاعدتنا فيما جمعناه ونجمعه ".[24]

ولم يقتصر موضوع العزو علي علماء التفسير والحديث بل حرص عليه العلماء في شتى فروع العلوم السائدة آنذاك ،كما لم يقف العزو عند الأقوال والآراء فحسب بل امتد ليشمل الكتب والمؤلفات وعَزوِها إلى أصحابها ، ومن ذلك ما ذكره " أبو الطيب بن على اللغوي (ت351هـ) أن محمد بن عبد الغفار عمل كتاب " الخيل " فعزاه الناس إلى ابنه أبى عبيده ، وهو اليوم في أيديهم ؛ قلت " ياقوت الحموي الرومي " : والصواب أن مؤلف كتاب " الخيل " هو عبد الغفار أبوه "[25] ، ولم يقف الأمر عند كتاب الخيل فحسب بل إن ثمة مؤلفات وكتب كثيرة عَزاها الناس إلى مؤلفين بقصد أو بغير قصد ،وقد ثبت أنها ليست لهم وإنما لمؤلفين آخرين ،وبقيت كثير من الكتب تبحث عن مؤلفيها الحقيقيين ،ومن ذلك :[26]

(أ) كتاب " الإمام والسياسة " عزاه الناس لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ).

(ب) كتاب " درة التنزيل وغرة التأويل " عُزَيَ إلى محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت 421هـ)، ولكن الثابت أنه ليس له.

(جـ) كتاب " الكبائر " عزاه الناس واشتهر بينهم أنه لشمس الدين الذهبي (ت748هـ)، وهذا الكتاب على التحقيق لإسماعيل ابن حقي صاحب كتاب روح البيان.

أشكال وأساليب انتحال الكتب في الحضارة العربية:

توهم بعض الأشخاص أن انتحال الكتب سيرقى بهم إلى مكانة العلماء والمؤلفين ،ولم يدركوا أن انتحال الكتب ليس ضرباً من ضروب التأليف ،إذ أن مقاصد التأليف لدى العلماء والمؤلفين كانت ثابتة ومعروفة ، وأكدوا على ضرورة مراعاتها ، وأن ما سوي ذلك " ففعلٌ غير مُحتاج اليه ، وخطأ عن الطرق التي يسلكها العلماء والمؤلفين ، كانتحال كتب المؤلفين السابقين ونسبتها إلى أنفسهم ببعض تلبيس من تبديل الألفاظ

والجمل والعبارات ، وتقديم المتأخر وعكسه ، فضلاً عن الحذف والإضافة ، أو تلخيص أو اختصار كتب ومؤلفات السابقين سواء كان ذلك بعلم أصحابها أو بغير علمهم "[27] ، وكان مقصد العلماء من ذلك حفظ الحقوق الفكرية والعلمية سواء للمؤلفين السابقين عليهم أو المعاصرين لهم .

تتفاوت درجات انتحال الكتب ما بين الانتحال الكُلى الذي يتمثل في السطو على المتن كله وبين الانتحال الجُزئي كالسطو على أجزاء من المتن أو بعض الأفكار ووضعها في صياغة لغوية مختلفة بغرض التلبيس على الناس ،ولم يصمت العلماء والمؤلفين إزاء هذه التصرفات ،فشددوا على رفضهم لانتحال الكتب وأكدوا على ضرورة الدقة في النقل من كتب الآخرين وإسناد الآراء والأقوال إلى أصحابها ، وكان السبق في ذلك لعلماء الحديث ، إذ لم يكن يُعرف صحة الحديث من سقيمه إلا بالإسناد ،ولم تُعرف صحة الإسناد إلا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل "[28] ،كما اعتبروا أن الإسناد من الدين ، إذ لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ".[29]

ويمكن بيان أشكال وأنواع انتحال الكتب في الحضارة العربية على النحو التالي:

1-الانتحال الجزئي:

حرص العلماء والمؤلفين على أن يحتفظ المؤلف بكامل حقوقه الفكرية لكتابه ،فهو نتاجه الفكري والعقلي، وله أن يمنح حق الاستفادة منه لمن يشاء أو يمنعه عمن يشاء، أما من حاول أن يعتدي على حقوقه الفكرية ولو بأخذ معنىً بلفظه فإنه يُعد سارقاً، وإن غير بعض اللفظ كان سالخاً، فإن غَيَّر بعض المعنى ليخفيه ويُغيره عن وجهه كان ذلك دليلاً على نقصان عقله.[30]

وبالرغم من اهتمام العلماء ببيان حقوق المؤلفين إلا أن الانتحال الجزئي الذي تمثل في انتحال الألفاظ والجمل والعبارات بنصوصها قد تجاوز حدوده لدرجة جعلت المسعودي يتخوف من هذه النوعية من الانتحال ، فدعا بالويل على كل من يحاول أن يعبث بكتابه أو يُحرِف " شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيَّره أو بَدَّله أو اختصَرَه أو نَسَبَه الي غيرِنا أو أضَافه الي سِوانا ، فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه ... " ولم يكتف المسعودي بذلك بل جعل هذا

التخويف في أول كتابه وفي آخره ، وكذلك في سائر ما تقدم من مصنفاته ومؤلفاته لعل ذلك يكون "رادعاً لمن ميوله هوى أو غلبه شقاء ، فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة "[31] ، وقد تنبه المسعودي أيضاً في كتابه " التنبيه والإشراف " إلى ما يمكن أن يحدث لكتابه ، وحتى لا يُغِير أحد على أي نسخة من كتابه فيَدَّعِيها أو ينسِبها لنفسه سواء كانت نسخة سابقة أو النسخة التي بين يديه وهي التي يُعول عليها دون السابقة [32] ، ويؤكد الباحث على أن المسعودي كان ذو وجهة نظر ثاقبة وسبق بذلك كثير من علماء عصره ، لأن اختلاف وتعدد النُسخ المخطوطة يُعد أحد الأسباب التي أدت إلى كثير من الخلط في نسبة المخطوطات إلى مؤلفيها .

أثني المؤلفون في الحضارة العربية على الذين يهتمون بإسناد الآراء والأفكار إلى أصحابها ، مثلما مدح ابن أبى أُصيبعه كتاب الرازي (ت313هـ) " الحاوي في الطب " واعتبره " من أجل وأعظم الكتب لأن مؤلفه نسب كل شيء نقله فيه إلى قائله "[33] ، وعلى الجانب الآخر عاب ابن حجر العسقلاني على ما فعله محمد بن موسى بن فارس (ت831هـ) لمجرد تلخيصه شرح شيخه ابن الملقن دون أن يُفصح عن ذلك ، حتى وإن أضاف اليه بعض الزيادات اليسيرة [34] ليدلس بها على من يقرأ كتابه ، ظناً منه أن أحداً لن يُمكِنه معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه ، وهذا هو حال من اعتاد على اختصار وتلخيص الكتب مثل عبد الله بن أسعد أبو الفرج الموصلي المعروف بابن الدهان المتوفي سنة 585هـ الذي ما كتب تصنيفاً إلا اختصره برأيه ، ولا يُبالي فيه أنه اختصره .[35]

ومن المؤكد أن هؤلاء الأشخاص غاب عنهم أن اختصار الكتب وتلخيصها من أسوأ أشكال الانتحال الجزئي للكتب ، لأن خطورته تبدو في تشويه الكتاب وقد يؤدي إلى خلو الكتاب من فوائده ،فضلاً عن وقوع خلل في المقصد الأساسي من تأليف الكتاب ، ويُذكر أن الجاحظ صنف كتاباً فأخذه شخص وحذف منه أشياء ، فما كان من الجاحظ إلا أن عنفه قائلاً " يا هذا إن المُصَنِف كالمصوِر ، وإني قد صورته في تصنيفي صورة كانت لها عينان فعورتهما ، أعمى الله عينيك ، وكان لها أذنان فصلمتهما ، صلم الله أذنيك ، وكان لها يدان فقطعتهما ، قطع الله يديك ، حتى عَدَّ أعضاء الصورة كلها ، فاعتذر اليه الرجل ، وتاب عن المُعَاوَدَة إلى مثله "[36] ويبدو أن الجاحظ كان على دراية تامة بمسائل انتحال الكتب وحِيل بعض المؤلفين في السطو على الكتب والمصنفات ، إذ أن الجاحظ اشتري كتاب سيبويه ليقدمه هدية لمحمد بن عبد الملك الزيات حينما رحل

اليه ، وأكد الجاحظ أن " الفرَّاء لم ينتفع بالنظر في هذا الكتاب كبير النفع ، ولا صادق في روايته عنه ، فإنه سرق بعضاً وادعاه لنفسه ، وسترَ حق صاحبه فلم يشكره ، ونقل عنه مسائل وعَزَاها إلى الخليل ".[37]

2-الانتحال الكلى:

يعد الانتحال الكلى للكتب من أخطر أشكال وأساليب الانتحال ، فإذا كان النوع الأول يقتصر على السرقات الفكرية بدءاً من انتحال الألفاظ والجمل والعبارات وصولاً إلى اختصار الكتب وتلخيصها ، فإن هذا النوع يقوم فيه المنتحل بالسطو على الكتاب فينسِبه أو يدَّعيه لنفسه سواء غَيَّر عنوانه أم لم يُغيره ، ومن أبرز نماذج هذا النوع من الانتحال ؛ كتاب " الفصول في نكت الأصول " الذي انتحله محمد أبو الحسن الوراق النحوي (ت381هـ) ، وهو كتاب مختصر أملاه عليه أبو سعيد السِيرافي فنسبه هو إلى نفسه [38] ، دون أن يُغير في محتواه شيء سواء بالإضافة أو الحذف أو التعديل ، وإنما انتحله بأكمله ، كما ذكر ابن النديم أن كتاب " الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء " لأبى بكر الصولي (ت335هـ) " عُول في تأليفه على كتاب المُدثرى في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله ".[39]

وثمة نماذج أخرى للانتحال الكلى سيتم ذكرها فيما بعد، منها كتاب الأزنيقي وهو بعنوان " مرشد المتأهل " حيث تعرض للانتحال الكلي، فضلاً عن ذكر عدد كبير من نماذج الانتحال الكلي تحت الجانب التالي في بيان دواعي وأسباب انتحال الكتب في الحضارة العربية.

دواعي وأسباب انتحال الكتب في الحضارة العربية:

تعددت وتنوعت أسباب ودواعي انتحال الكتب في الحضارة العربية؛ فمنها ما وقع بغرض الربح المادي، أو الكسب المعنوي، أو رغبة في الشهرة بين الآخرين، وقد يكون للناسخ أو الوراق دور في نسبة الكتاب إلى غير مؤلفه سواء كان ذلك عمداً أو سهواً، ومن الممكن أن تتداخل الأسباب والمبررات لخدمة هدف واحد جامع، سواء أفصح عنها من انتحل الكتاب أو لم يُفصح، ويمكن بيان أغراض وأسباب انتحال الكتب في الحضارة العربية على النحو التالي:

1-أخطاء وتزوير النُسَّاخ والوراقين:

وجد بعض النُسَّاخ والوراقين في الكتاب الإسلامي المخطوط ميداناً فسيحاً ومرتعاً خصباً لممارسة ألوان متعددة من التزوير والتزييف سواء بالمحو أو الكشط أو الإضافة أو النقل أو التقليد أو التصحيف ،كما زُورت عناوين بعض المخطوطات وأسماء مؤلفين وتاريخ التأليف أو النسخ ،وعُتِقت الأوراق وأُضيفت تقييدات وتمَلكات وقُلدت خطوط وأحبار[40] إلى غير ذلك من ممارسات شوهت الكتب بعدما خرجت من أيدي مؤلفيها صحيحة وسليمة ، وممن اشتهر بذلك أبو عبد الله الكرماني النحوي الوراق (ت329هـ) ، حيث برع في تقليد الخطوط ،وساعده على ذلك أنه كان مليح الخط دقيق النقل[41]، بينما كان ابن فضل الله العدوى(769هـ) " يُعتق الورق والحبر ،وينْقل الكتاب بخط مؤلفه أو كاتبه لدرجة يصعب معها التمييز بين الكتابين ،وقد اختبروه في نسخ وتدوين كتاب لابن البواب ،فأتقنها وعتَّقها ولم يَشُك أحد أنها بخط ابن البواب ذاته ".[42]

إن أخطاء النُسَّاخ والوراقين عديدة ومتنوعة ، وبغض النظر عما إذا كانت هذه الأخطاء حدثت بعمد أو بغير عمد ، فإنها تسببت في نسبة كتب إلى غير أصحابها ، مما حدا بالبعض أن يُسيء الظن فيمن نُسبت اليهم هذه الكتب ، بل وصل الأمر إلى اتهامهم بانتحال كتب غيرهم ، فكتاب الأغاني الكبير الذي نُسب خطأ إلى اسحق بن إبراهيم الموصلي ، مما دعا ابنه حماد أن ينفي تأليف أبيه لهذا الكتاب ، بينما ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن جحظه (أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي) " أخبره أنه يعرف الوراق الذي وضعه و يُدعى سِندي بن على وحانوته في طاق الزُبل ببغداد ،وكان يورق لإسحق الموصلي ، فاتفق هو وشريك له على وضعه ، وعُرف هذا الكتاب في القديم بـكتاب السراة وهو أحد عشر جزءاً ".[43]

وبالرغم من اهتمام العلماء والمؤلفين بمتون الكتب ورغبتهم في أن تبقى على الوجه الذي خرجت به وانتشرت بين الناس، إلا أن أخطاء النُسَّاخ والوراقين وحالات التزوير والتزييف في المخطوطات انتقلت شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى بعض دور الطباعة والنشر ، فقد نُشر كتاب بعنوان "مكارم الأخلاق" لأبى منصور عبد الملك بن إسماعيل المعروف بالثعالبي (ت429هـ) ، والحقيقة أنه لم يُؤلف كتاباً بهذا الاسم ، وإنما هي مختارات من كتابه " الفوائد والقلائد " حَذف منها المنتحل ما يمكن أن يفضح صَنِيعهُ في الكتاب ، ويُمكِنه من اختراع اسماً له ، وهو " مكارم الأخلاق ".[44]

2-تحقيق المكاسب المادية:

إن الظروف المادية الصعبة لبعض الأفراد – خصوصاً ممن ارتبط عملهم بمجال النسخ والتدوين والتأليف - وحرصهم الشديد على تحقيق المكاسب المادية عاملاً أساسياً لانتحال الكتب والمؤلفات ، ويبدو أن هذا الأمر كان منتشراً خلال القرون الأولى من عصر الحضارة العربية ، مما دعا صاحب معجم الأدباء أن يقول " لو أُعطيتُ حُمر النِّعَم وسُودها ، و مقانب الملوك و بُنودها ، لَمَا سَرَّنِي أَنْ يُنسب هذا الكتاب إلى سِوَاي ، أو أن يفوزَ بِقَصْبِ سَبَقِه إِلَّاي ؛ لِما قاسيتُ في تحصيله من المشقة وطويتُ في تكميله من طول الشُقة ".[45]

ومما لا شك فيه أن الحصول على المكسب المادي كان غاية كثير ممن انتحل كتب ومؤلفات السابقين ، وبذلوا جهوداً مضنية حتى تُرَوَج هذه الكتب المُنتَحلة بأسواق الوراقة وخارجها ، ولم يكن ثمة قوانين تمنعهم من القيام بذلك ، وسلكوا طرقاً غير مشروعة للحيلولة دون كشف حقيقتهم حتى لو اقتضى الأمر انتحال اسم المؤلف أو عنوان الكتاب ، أو كلاهما معاً ، ويُذكر أن رجلاً انتحل كتاب " العين " لينفق الكتاب باسمه ، ويُرغب فيه ، وقيل أنه سمى نفسه الخليل ، وذكر السيوطي أن هذا الرجل يُدعى الليث بن المظفر ، في حين ذكر الأزهري أنه : الليث بن نصر بن سيار الخُرسانى[46] ، بينما قال أبو الطيب اللغوي أن هذا الرجل يُدعي : الليث بن المُظفر - كما ذكر السيوطي – وأنه خلط بين أقواله وأقوال الخليل بن أحمد في هذا الكتاب ، وحتى يُميز القارئ بينهما فإن عليه أن يُدرك أنه إذا قال في الكتاب : الخليل ابن أحمد ، فهو من كلام الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وإذا قال فيه : وقال الخليل ، مطلقاً دون تحديد ، فهو من كلام الليث بن المُظفر ، وكل ما وقع في الكتاب من خَلل فإنه من الليث بن المُظفر وليس من الخليل بن أحمد الفراهيدي. [47]

ظن منتحلو الكتب في الحضارة العربية أن مثل هذه الحيل ستمحى آثار ما فعلوه ولن يتمكن أحد من كشف حقيقتهم ، حتى أضحى انتحال الكتب والسطو عليها أمراً معتادا لديهم ، كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن حبيب أبو جعفر الذي كان يُغِير على كتب الناس فيُسقط أسماءهم و يدَّعيها لنفسه ، مثلما انتحل كتاباً ألفه إسماعيل بن أبى عبيد الله فلم يُغَير منه حرفاً ولا زاد فيه شيئاً ،ومما ساعده على انتحاله أن هذا الكتاب " لم

تَكثُر روايته ، ولا اتسع في أيدي الناس ، فقدَّر محمد ابن حبيب أن أمره يَنْسَتر وأن إغارته عليه تُميتُ ذكر صاحبه "[48] ، لكنه لم يدرك أنه مع مرور الزمن ربما يتم تحقيق أمر هذا الكتاب والوقوف على مؤلفه الحقيقي ونسبة كتابه اليه .

3-حب الشهرة وتحقيق مكانة بين العلماء:

إن الرغبة في الشهرة وتحقيق مكانة علمية - مزعومة و مزيفة - بين العلماء والمؤلفين في الحضارة العربية دفع البعض إلى انتحال الكتب والمؤلفات ونسبتها إلى أنفسهم ، سواء صرحوا بهذا أم لم يصرحوا ، الأمر الذي جعل السيوطي يسأل " ما الذي ألجأهم إلى هذا الباب وليس لهم به طاقة وما الذي اضطرهم إلى التشبه بأهل الإفاقة وهم من أهل الفاقة ، وإن ظنوا بذلك أنهم سيربحون فإنما هم يخسرون وإن توهم أنه يُدعى بذلك رأساً فإنما هو رأسُ مِنْسَر "[49] لأنه مهما علا شأنهم وسما قدرهم فإنهم لن يرتقوا إلى مصاف العلماء والمؤلفين وحتماً سينكشف أمرهم .

ومما يؤسف له أن حب الشهرة دفع البعض إلى عدم الانتظار حتى ينتهي المؤلف من كتابه وخروجه إلى الناس لينتفعوا به ، فعثروا على مُسودات الكتب فبَيضوها وأخرجوها على أنها من تأليفهم وتصنيفهم ، ومن ذلك ما ذكره السخاوى أن " أحمد بن عبد الله الشهاب الأوحدى (ت811هـ) كانت له كتب مُسودة كبيرة لـ " خطط مصر والقاهرة " تعب فيها وأجاد ،وبيض بعضها ، فأخذها المقريزي فبيضها ونسبها لنفسه مع زيادات ،وقد أفاد المقريزي انه انتفع بمسوداته في الخطط "[50] ، وإن كان يُحمد للمقريزي أنه أشار إلى مدى انتفاعه بهذه المسودات في كتابه ، فإن هناك من لم يتورع فيذكر أو يشير إلى استفادته من كتب ومؤلفات الآخرين ، إنما قطع الطريق على مؤلفيها فسَطَا عليها وانتحلها ظناً منه أنه سوف يشتهر ويرتقى إلى مكانة العلماء ، وممن عُرف واشتهر بذلك يحيى بن حميد ظافر بن النجار المعروف بـ " ابن أبى طي "(ت630هـ) إذ أن أكثر مصنفاته قطع فيها الطريق على أصحاب المصنفات الأخرى ، يأخذ كتاباً قد أتعب العلماء فيه خواطرهم فيقدم فيه ويؤخر أو يزيد قليلاً أو يختصر ، ويخلق اسماً غريباً وينتحله انتحالاً [51] ولم يعبأ بما بذله هؤلاء العلماء من مجهودات طيلة عمرهم في سبيل خروج مصنفاتهم على النحو الذي ارتضوه لها لينتفع بها طلاب العلم في كل حدب وصوب .

مصادر ومراجع الفصل السادس:

1- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (ت 463هـ) . الموضح أوهام الجمع والتفريق / تصحيح ومراجعة عبد الرحمن بن يحيى المعلمى .- ط2 .- القاهرة : دار الفكر الاسلامى ،1985.- ج1، ص 5.

2- أحمد زكى . موسوعات العلوم العربية ، وبحث على رسائل إخوان الصفاء .- ط 1 .- القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، 1308 هـ [1887م] .- ص ص31- 32 .

3- القنوجى ، صديق بن حسن (ت 1307هـ / 1889م) . أبجد العلوم : الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم/ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار .- بيروت : دار الكتب العلمية ،1978.- ج2 ، ص21.

4- جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية / راجعه وعلق عليه شوقي ضيف .- القاهرة : دار الهلال ، 1957. - ج 3، ص256.

5- الكتاني ، محمد عبد الحي (ت1382هـ / 1962م) . نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية / تحقيق عبد الله الخالدى .- ط2 .- بيروت : دار الأرقم للطباعة للنشر والتوزيع ، 1996.- مج 2، ص 134.

6- أحمد عبد الحليم عطية . دراسات في تاريخ العلوم عند العرب .- القاهرة : دار الثقافة ،1991. - ص 25.

7- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم – الشرق الأقصى .- ط2 .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2001. – ص 144 .

8- محمد ماهر حمادة . سرقات الكتب وانتحالها في العصور الإسلامية .- في : مجلة عالم الكتب .- الرياض : دار تثقيف للنشر والتأليف ،1982 .- مج 2 ، ع4 (يناير / فبراير 1982) .- ص ص707– 712 .

9- عابد سليمان المشوخى . التزوير والانتحال في المخطوطات العربية .- ط1 .- الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، 2001. – 210ص .

10- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى : الشرق المسلم – الشرق الأقصى . – مرجع سابق .- ص ص 141- 148 .

11- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .- بيروت : دار صادر ، [د . ت] .- مج 11 ، ص ص 650 - 651 .

12- الفيروز آبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى ؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد .- القاهرة : دار الحديث ،2008 .- ص.1589

13- المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية .- القاهرة : المجمع ،1996.- ص907.

14- الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية .- بيروت : دار العلم للملايين ، 1990. - مج 5 ، ص ص1826- 1827.

15- أحمد محمد الشامي و سيد حسب الله . المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات .- الرياض : دار المريخ ، 1988.- ص876 .

16- شعبان خليفة . قاموس البنهاوي الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات.- ط تذكارية .- القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ،1991. – ص 338 .

17-Prytherch، Raymond John. Harrods librarians glossary and reference book . – 10th ed . – Great Britain : MPG Book Ltd.، 2005 .- P 543

18- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم – الشرق الأقصى . – مرجع سابق .- ص 146 .

19- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم .- مرجع سابق .- مج 15 ، ص ص52- 53 .

20- الجوهري ، إسماعيل بن حماد . – مرجع سابق .- مج 6، ص.2425

21- المعجم الوسيط . القاهرة : دار المعارف ،1972. - ط2 .- ص599 .

22- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (392- 463هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها / شرحه وحققه محمد أحمد جاد المولى بك ، على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط3.- القاهرة : دار التراث ، [د . ت] . – مج 2 ، ص319 .

23- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت 671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان / تحقيق عبد الله التركي ، محمد رضوان عرقسوسي .- ط 1.- بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2006. - ج1 ، ص 8 .

24- محمد جمال الدين القاسمى (1283- 1332 هـ) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث / قدم له عبد القادر الأرنؤوط ؛ حققه وعلق عليه مصطفي شيخ مصطفي .- ط1.- بيروت : مؤسسة الرسالة ،2004.- ص.54

25- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) . معجم الأدباء، أو ، إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب . - ط1 . - لبنان : دار الكتب العلمية ، 1991.- ج 6، ص2551 .

26- المشوخى ، عابد سليمان . – مرجع سابق .- ص181، ص186 .

27- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (732- 808هـ) مقدمة ابن خلدون / حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش .- ط1 .- دمشق ، دار يعرب ، 2004 .- ج2 ، ص343 ؛ أنظر أيضاً : حاجى خليفة ، مصطفي بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. – بيروت: مكتبة المثنى ، [د - ت] . - ج1، المقدمة ص35 .

28- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد . أدب الإملاء والاستملاء. - ط1. - بيروت: دار الكتب العلمية ،1981.- ص.4

29- ابن خير الاشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة . فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف / وقف على نسخها وطبعها ومقابلتها على الأصل الشيخ فرنسشكه قداره زيدين ، خليان ريبيرا طرغوه .- سرقسطة : مطبعة هومس ، 1893.- ص.12

30- ابن الأثير ، نصر الله محمد بن محمد عبد الكريم بن ضياء الدين (ت 637هـ) . كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب / تحقيق نور الدين القيسي ، حاتم صالح الضامن ، هلال ناجى .- العراق : منشورات جامعة الموصل ،1982.- ص .109

31- المسعودي ، أبى الحسن على بن الحسين بن على (ت 346هـ) . مروج الذهب ومعادن الجوهر / اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعى .- ط1.- بيروت : المكتبة العصرية ، 2005 .- ج 1، ص15 ؛ ج4 ، ص325 .

32- المسعودي ، أبى الحسن على بن الحسين بن على (ت 346هـ) . التنبيه والإشراف .- بيروت : دار صادر ، 1893.- ص.401

33- ابن أبى اصيبعة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت688هـ) . عيون الأنباء في طبقات الأطباء / شرح وتحقيق نزار رضا .- بيروت : دار مكتبة الحياة ،[د . ت] .- ص421 .

34- السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .- بيروت : دار الجيل ، 1992.- ج 7 ، ص.282

35- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . إنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط1 .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986.- مج 2، ص .103

36- الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ) . معجم البلدان . – بيروت : دار صادر ، 1977.- مج1، ص.13

37- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف . – مرجع سابق.- ج4 ، ص ص14- .15

38- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) .- مرجع سابق .- ج 6، ص.2544

39- ابن النديم ، محمد بن اسحق .الفهرست : دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية / تحقيق ونشر خليفة ، شعبان عبد العزيز وليد محمد العوزة .- القاهرة :العربي للنشر والتوزيع ، 1991.- مج 1، ص276.

40- المشوخى ، عابد سليمان .- مرجع سابق .- ص 13.

41- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) . - مرجع سابق .- ج6 ، ص .1065

42- ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت 852 هـ) . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .- حيدر أباد : دائرة المعارف العثمانية ، [د . ت] .- ج3، ص ص 138- 139.

43- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) .- مرجع سابق .- ج1 ، ص ص 615- 616 ؛ أنظر أيضاً : ابن النديم ، محمد بن اسحق .الفهرست : دراسة بيوجرافية ببليوجرافية ببليومترية .- مرجع سابق .- مج1 ، ص 203 ، ص .428

44- عبد الفتاح الحلو . أمانة تحمل العلم .- في : مجلة عالم الكتب .- الرياض : دار تثقيف للنشر والتأليف ، 1982 .- مج 2 ، ع4 (يناير / فبراير 1982) .- ص 706 .

45- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) .- مرجع سابق .- ج 1، ص .13

46- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ) . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . – ط2 .– القاهرة : دار الفكر ، 1979. - ج 2 ، ص270 .

47-أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوي الحلبي (ت 351هـ) . مراتب النحويين / حققه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، 1955. – ص .31

48-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبى عبد الله (ت 626هـ) . - مرجع سابق.- ج 6، ص ص2480- 2481.

49- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين (ت 911هـ) . الفارق بين المصنف والسارق / حققه هلال ناجى .- ط1 .- بيروت : عالم الكتب ، 1998. - ص ص 45- 46.

50-السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ) .- مرجع سابق .- ج1، ص ص 358- 359.

الفصل السابــع

تاريخ المكتبات الوطنية

مقدمة:

المكتبة الوطنية هي مكتبة تنشئها الدولة خصيصا كمستودع معلومات للبلد، حيث تقوم بجمع وحفظ التراث الفكري الوطني والإعلام عنه ويتم الجمع من خلال قانون الإيداع القانوني أو ما يسمى أيضا بالإيداع الشرعي ، وهو القانون الذي يلزم المؤلف أو الناشر أو المطبعة بإيداع نسخة أو أكثر من المطبوع أو المنشور في المكتبة الوطنية مجانا، وضمن شروط معينة ليأخذ بعد ذلك رقما للإيداع .

تعتبر المكتبة الوطنية المكتبة المركزية للدولة والمركز الثقافي والمعلوماتي الذي يعكس تراث الأمة وتطورها العلمي والأدبي والثقافي، ولهذا انتبهت دول كثيرة في العالم إلى أهمية المكتبة الوطنية واعتبرت إنشاءها واجبا وطنيا، وحرصت الدول التي لا تسمح إمكاناتها الاقتصادية والبشرية بإقامة مكتبة وطنية على جعل إحدى المكتبات الكبرى في الدولة تقوم بمهام ومسئوليات المكتبة الوطنية.

وتختلف المكتبة الوطنية عن المكتبات العامة بأنها لا تسمح عادة للمواطنين باستعارة الكتب وتحوي المكتبة الوطنية المخطوطات والكتب القيمة والنادرة والأعمال الهامة ، ولذلك تكون أرصدتها من الكتب هامة وضخمة في العادة .

وظائف المكتبة الوطنية:

1-جمع وحفظ نسخ من كافة المطبوعات التي تصدر داخل وخارج الدولة.

2-إصدار الببليوجرافيا الوطنية.

3-إصدار دليل الخدمات المكتبية والمعلومات الأساسية للدولة ومؤسساتها.

4-جمع كل ما يكتب عن الدولة المؤسسة للمكتبة بمختلف لغات العالم وفي مختلف المجالات وحفظه وتنظيمه.

5-حفظ الوثائق المخطوطة المعاصرة والقديمة.

أولاً: تاريخ دار الكتب المصرية:

لمحة تاريخية:

أنشأت دار الوثائق بالقاهرة عام 1828، وقد أطلق عليها آنذاك " الدفتر خانه ". وكان هدفها جمع نتاج أنشطة أجهزة الدولة وحفظه، والتي صارت بمضي الوقت تراثاً قومياً.

وتولى راغب أفندي منصب أول رئيس للدفتر خانه، بينما قام الخواجا يوحنا كاتب المصروفات بوضع لائحتها الداخلية. واستمرت الدفتر خانه في أداء دورها في حفظ السجلات الحكومية بعد انتهاء الحاجة إليها إلى أن ضاق مبنى الدفتر خانه مما اضطر محمد على إلى إنشاء فروع للدفتر خانه في المصالح الحكومية وفروعها بالأقاليم.

وظل حال الدفتر خانه المصرية على هذا التنظيم الذي وضعه محمد على باشا (1805 – 1848) إلى أن تولى الخديوي إسماعيل حكم مصر (1863-1879) الذي ألغى فروع الدفتر خانه بالأقاليم وأمر بأن تودع السجلات والوثائق بالدفتر خانه الأصلية بالقلعة. وفى عهد الخديوي عباس حلمي الثاني (1892-1914) صدرت لائحة جديدة اشتملت على 24 مادة لتنظيم طرق تسليم وتسلم المحفوظات، وصار اسم الدفتر خانه «دار المحفوظات العمومية» وظل مقرها بالقلعة.

عهد الملك فؤاد الأول (1917 - 1936) إلى المستشرق الفرنسي دينيه بمهمة فحص الوثائق التركية وتنظيمها تمهيداً لوضعها بين يدي الباحثين والمؤرخين. وفى عام 1932 أنشأ الملك فؤاد «قسم المحفوظات التاريخية» بقصر عابدين بناء على توصية دينيه ـ وكان هذا القسم بمثابة الأرشيف القومي المصري الحديث، الذي يعمل على فهرسة وتصنيف الوثائق. واستطاع قسم المحفوظات التاريخية أن ينجز العديد من الإنجازات منها:

1-جمع الفرمانات التي أصدرها سلاطين آل عثمان، والتي تبلغ 1046 فرمان يرجع أقدمها إلى عام 1597م. كما تم تصوير هذه المجموعة من الفرمانات بمصلحة المساحة المصرية في سبعة مجلدات.

2-تحليل وترتيب الوثائق الإفرنجية الخاصة بعهد الخديوي إسماعيل (حوالي 900000 بطاقة) وعمل ملخصات لبعضها وترجمتها.

3-عمل بطاقات فهرسة لعدد كبير من الوثائق العربية والتركية.

ومع قيام ثورة يوليو 1952م لم تعد محفوظات عابدين تحقق ما ينشده رجال الثورة، خاصة فيما يخص أسرة محمد علي، التي كانت موضوعاً رئيسياً في محفوظات قصر عابدين، وبات من الضروري إعادة كتابة تاريخ هذه الأسرة.

فكان هذا هو الدافع من وراء إنشاء «دار الوثائق القومية» حيث أنشأت بموجب القانون 356 لسنة 1954 م، والتي حدد القانون وظيفتها في جمع وحفظ الوثائق.

ثم انتقلت دار الوثائق من قصر عابدين إلى مبنى خصص لها بالقلعة بالقاهرة في عام 1969م. وفى عام 1990 م نقلت دار الوثائق إلى موقعها الحالي بكورنيش النيل. ثم صدر قرار رئيس الجمهورية رقم 176 لسنة 1993 بشأن إنشاء هيئة مستقلة تضم دار الكتب والوثائق القومية وفصلهما عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. وعلى وجه الإجمال، تعد دار الوثائق القومية واحدة من أهم دور الأرشيف في العالم لاحتوائها على كم هائل من المصادر الوثائقية.

وقد أرخ الموقع الإلكتروني للدار الكتب والوثائق القومية لما يسمونه بنظام الحفظ في مصر قبل انشاء الدفتر خانة وجاء على النحو التالي:

1-التاريخ القديم:

لقد كان المصري القديم أول من خطَّ بالقلم، وأول من صنع الورق، وكان أيضاً أول من اهتم بحفظ الوثائق والمستندات، فكانت الدولة تهتم بحفظ المكاتبات والسجلات وتنظيمها وترتيبها؛ بغرض الحصول على البيانات والمعلومات.

2-العصر البطلمي:

وفي العصر البطلمي كانت الإسكندرية مقراً للأرشيف الملكي، كما وجدت أرشيفات أخرى في الأقاليم، من أشهرها الأرشيف الذي عثر عليه في الفيوم والذي عرف باسم أرشيف زينون.

3-العصر الروماني:

وفي العصر الروماني زاد عدد دور الوثائق في مصر، فإلى جانب دار الوثائق العامة التي أنشأها الإمبراطور هادريان في السرابيوم؛ كانت هناك دار للوثائق في عاصمة كل إقليم، وقد عثر على إحدى الوثائق التي ترجع إلى عام 127م تشرح أنواع دور الوثائق ونوعية ما بكل منها من سجلات ووثائق.

4-العصر الإسلامي:

وفي العصر الإسلامي تشير البرديات العربية إلى وجود نظام دقيق لحفظ الوثائق، وقد وضع أحمد بن طولون نواة النظام الذي عرف باسم " ديوان الإنشاء " الذي كان يحتفظ بنسخ من كل المكاتبات التي تصدر عن الوالي.

وفي العصور التالية أصبح ديوان الإنشاء هو الجهة المسئولة عن حفظ الوثائق والمكاتبات ونصوص الأوامر والمراسيم التي يصدرها سلاطين الأيوبيين والمماليك.

5-العصر العثماني:

وفي العصر العثماني كانت كل مصلحة مسئولة عن حفظ وثائقها، فكانت الروزنامة مسئولة عن حفظ وثائق وسجلات المالية المصرية والضرائب والأطيان من خلال مؤسسة حفظ عرفت باسم الدفتر خانة، كما احتفظت المحاكم الشرعية بأعداد ضخمة من سجلاتها من خلال مؤسسة حفظ عرفت باسم " خزانة السجلات " ونتيجة لتنوع جهات الحفظ، وعدم وجود نظام محدد لأنواع الوثائق التي تحفظ او تعدم قرر محمد علي انشاء دار مخصصة لحفظ السجلات والأوراق "الدفتر خانة "، وألزم كل المصالح والأفراد بتقديم دفاترهم وأوراقهم إليها.

6-ثورة يوليو 1952م وما بعدها:

مع قيام ثورة يوليو 1952 لم يعد قسم المحفوظات التاريخية بقصر عابدين يحقق رغبة رجال الثورة في تقديم مادة تاريخية تصلح لكتابة تاريخ مصر القومي بكل عصوره، وتكون تلك المادة متاحة لجميع أفراد الشعب من باحثين ومستفيدين، فأصبح من الضروري استحداث «دار الوثائق التاريخية القومية» التي أنشأت بموجب القانون 356 لسنة 1954، والذي حدد وظيفتها في جمع وحفظ الوثائق وإتاحتها للباحثين، وظلت دار الوثائق التاريخية في القلعة حتى عام 1969 عندما عادت مرة أخرى إلى القلعة بالقاهرة.

وفى عام 1979 أصدر رئيس الجمهورية قرار رقم 472 لسنة 1979 بشأن "المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وأسلوب نشرها واستعمالها" والذي نص على أن تحتفظ الجهات الحكومية بوثائقها التي تنتجها لفترة خمسة عشر عاما، ثم تنقل بعدها إلى دار الوثائق التاريخية، وبعد إيداعها في الدار تظل محتفظة بسريتها لمدة خمسة عشر عاما أخرى، ثم يُفرج عنها بعد ذلك للاطلاع عليها.

وفي عام 1990 بانتقالها من القلعة إلى موقعها الحالي بكورنيش النيل بالقاهرة، وتم إلحاقها بالهيئة المصرية العامة للكتاب. ثم جاءت النقلة الثانية بصدور قرار رئيس الجمهورية رقم 176 لسنة 1992 بشأن إنشاء هيئة مستقلة تضم دار الكتب والوثائق القومية وفصلهما عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وبذلك جمعت الدولة التراث الثقافي المصري المطبوع والمخطوط في هيئة واحدة؛ فأصبحت "الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية" تمتلك نحو أربعة ملايين كتاب، ومائة وعشرة آلاف مخطوط، ومائة وستين ألف مجلد من الدوريات، وتسعة وثلاثين ألف مادة صوتية موسيقية، ونحو مائة مليون وثيقة تصور تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي منذ العصر الفاطمي وحتى سبعينيات القرن الماضي.

مشروع رقمنه مقتنيات دار الوثائق القومية:

يهدف المشروع إلى عدة أهداف أساسية هي:

1-فرز وفهرسة وتصنيف حوالي مئة مليون وثيقة.

2-إنشاء قاعدة بيانات إليكترونية عملاقة لهذه الوثائق تضم 25 مليون تسجيله، تسمح بالبحث والاسترجاع بجميع المدخلات المتعارف عليها.

3-مسح رقمي لنحو 150 ألف وثيقة بما لا يتجاوز نصف مليون لقطة وربطها بقاعدة البيانات.

4-إنشاء بوابة إليكترونية تسمح بالبحث والاطلاع على قاعدة البيانات من أي مكان في العالم كما تقدم معلومات علمية للباحثين عن الوثائق والوحدات الأرشيفية والدار نفسها.

5-تكوين كوادر قادرة على تحمل المسئولية في المستقبل ومتابعة نفس المستوى التقني الرقمي المطلوب.

6-تطوير البنية الأساسية بالدار من إدارة تسجيل والإتاحة للباحثين وقاعات الاطلاع بما يواكب أحدث التقنيات العالمية.

أهمية المشروع:

مشروع رقمنه مقتنيات دار الوثائق القومية هو تجربة غير مسبوقة وهام ليس على المستوي المحلي فقط وإنما تمتد الي النطاق الإقليمي العربي بصفة أساسية والدولي بصفة عامه.

إن معايير الوصف والفهرسة التي استحدثت في هذا المشروع تعتبر نواة لعملية فهرسة أي أرشيف عربي آخر طبقاً للمعايير الدولية.

نظراً لخصوصية اللغة العربية فإن الكوادر الفنية التي أفرزها هذا المشروع تعتبر من أغلى وأهم مخرجاته على الإطلاق وهم النواة لتطوير أي أرشيف عربي آخر في المستقبل القريب.

إن البوابة الرقمية لدار الوثائق القومية تقدم معلوماتها والدراسات الوثائقية باللغتين العربية والإنجليزية وخاصة أن قواعد البيانات تحتوي على وثائق باللغات العربية وغيرها من اللغات الأخرى، مما يؤكد على عالمية الموقع.

ثانياً: تاريخ المكتبة الوطنية العراقية

دار الكتب والوثائق العراقية هي المكتبة الوطنية ومركز الإيداع في العراق، تشكلت في عام 1987 م نتيجة قرار دمج المكتبة الوطنية مع المركز الوطني للوثائق.

تعود المكتبة الوطنية السابقة (المكتبة العامة) إلى مكتبة السلام التي افتتحت في 1920 م.

وظائف المكتبة:

إن وظائف المكتبة الحالية تتلخص فيما يلي:

1-اصدار الببليوغرافية الوطنية العراقية بشكل دوري ومنظم.

2-تبادل المطبوعات على مستوى عربي واقليمي ودولي وتطوير العلاقات الثقافية بينها وبين المكتبات الوطنية في العالم.

3-توفير واقتناء النتاج الفكري العراقي الذي يصدر خارج العراق لمؤلفين أو مترجمين أو مثقفين عراقيين.

4-اقتناء المطبوعات التي تخص العراق الصادرة باللغات العالمية لتغدو مجموعات المكتبة متكاملة وشاملة.

دار الكتب والوثائق التي تضم في هيكلتها كل من المكتبة الوطنية والوثائق العراقية، تعد رافداً مهماً من روافد الثقافة والحضارة الإنسانية ... تقع في منطقة شهدت الكثير من عمليات الحرق والتدمير وسرقة الكتب والوثائق العائدة الى عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي.

وقد بدأت المكتبة في تأسيس قسم تكنولوجيا المعلومات الذي يتولى ادارة موقع الدار على شبكة الانترنيت، واصدار ثلاث مجلات الكترونية هي:

1-الموروث،

2-الفردوس

3-روافد.

كما أن قسم تكنولوجيا المعلومات يشرف على المكتبة الرقمية العالمية وهو مشروع دولي، لأن الدار واحدة من المؤسسين السبعة لهذا المشروع الدولي، ومن أبرز الإنجازات أيضاً هو انشاء دوريات رقمية أي تصوير رقمي لجميع المجلات والصحف القديمة بدءاً من الحرب العالمية الاولى.

إعداد أرشيف رقمي من خلال تصوير الوثائق وذلك بتحويل الأفلام الى الشكل الرقمي.

أما مختبر ترميم الكتب والوثائق، ويضم هذا المختبر أحسن أجهزة الترميم، وقد أنجز هذا القسم الكثير في مجال ترميم الكتب النادرة والوثائق والسجلات العثمانية المتضررة.

أما قسم الميكروفيلم وبعد أن دمرت أجهزة هذا القسم تم اصلاحها وتصوير ما يقارب 750 ألف وثيقة.

الأرشيف الوطني العراقي:

تأسس الارشيف الوطني عام 1962 بموجب القانون رقم 142 الذي نص على تأسيس مركز للحفظ في بغداد يسمى المركز الوطني لحفظ الوثائق تديره هيئة مستقلة ترتبط بمجلس الوزراء، ثم الحق القانون المذكور بتعديلين الاول رقم 55 لسنة 1969 نص على الحاق المركز بوزارة الثقافة والاعلام والتعديل الثاني رقم 108 لسنة 1973 نص على تغيير الاسم من المركز الوطني لحفظ الوثائق الى المركز الوطني للوثائق. وفي عام 1987 دمج المركز مع المكتبة الوطنية لتنبثق من اندماجهما دار الكتب والوثائق استنادا الى التعليمات رقم 8 لسنة 1987 .

يعمل الارشيف الوطني وفقا للأهداف والمهام التي حددها قانون الحفاظ على الوثائق رقم (70) لسنة 1983 وتتمثل تلك الاهداف بقيام الارشيف بجمع وحفظ الوثائق الرسمية والشخصية وغيرها الموجودة في دوائر الدولة والجمعيات والمؤسسات الخاصة والاشخاص الطبيعيين والتي تعبر عن القيم والممارسات والحقوق والممتلكات المادية والمعنوية للدولة والمجتمع وتيسير الاطلاع عليها وفقا للأسس والضوابط التي حددها القانون .

يضم الارشيف الوطني عدداً كبيراً من الملفات والاضابير الرسمية ذات الاهمية التاريخية والسياسية والادارية مثل الملفات والسجلات التي تتعلق بفترة الاحتلال البريطاني(1916-1932) والاوراق التي كانت محفوظة في البلاط الملكي ومنها ما يخص الملك غازي والملك فيصل الاول كذلك المواثيق والمراسلات والاتفاقيات الخاصة بعلاقة العراق بالدول المجاورة وهنالك ايضا وثائق عن الاحزاب والشخصيات السياسية والاجتماعية التي لعبت دورا في تاريخ العراق الحديث فضلا عن عدد كبير من الوثائق التركية التي تخص العراق في العهد العثماني.

أقسام الارشيف الوطني:

توجد بالأرشيف الوطني عدة أقسام متنوعة يمكن بيانها كالتالي:

1-التفتيش:

ويتولى مهمة متابعة تطبيق وزارات الدولة ودوائرها للقانون رقم 70 لسنة 1983 والخاص بحفظ الوثائق .

2-الفهرسة والتصنيف / الاعداد الفني:

ويقوم بمهمة تسلم الوثائق وفهرستها وتصنيفها واعداد الخلاصات والبطاقات والفهارس والكشافة والادلة الارشادية لمحتويات الوثائق المحفوظة في الارشيف.

ويتولى ايضا مهمة اعداد وتهيئة الوثائق لأغراض التصوير الفوتوغرافي والمايكرو فلمي او الاستنساخ فضلا عن توثيق المعلومات وتامين وسائل استرجاعها لأغراض البحث والدراسة.

3-خدمات الباحثين:

ويقوم بمهمة تقديم الخدمات والمعلومات الوثائقية الى الباحثين، ودراسة الطلبات الواردة من دوائر الدولة الخاصة بالاطلاع على الوثائق .

4-خزائن الوثائق:

ويتولى مهمة فرز وترتيب ملفات الوزارات والدولة وتسجيلها .

5-المكتبة الوثائقية:

وهو قسم حديث يستقبل الباحثين ويعمل على فرز وترتيب المجلدات.

وهناك ما يسمى بمختبر صيانة وترميم الوثائق: وهو من أحدث المختبرات في الشرق الاوسط ويقوم بمهمة تطهير الوثائق والملفات وصيانتها وترميم التالف والمتضرر منها، ويضم المختبر أحدث الاجهزة المختبرية.

مشاريع دار الكتب والوثائق العراقية:

استطاعت الدار أن تعزز طابعها الوطني بتأدية دور دولي من حيث توفير الخدمات المكتبية والأرشيفية والتعريف بالنتاج الثقافي العراقي والتعاون الثقافي مع المؤسسات الثقافية والأجنبية والعراقية.

وقد استعادت الدار عضويتها في الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات (IFLA) الخاص بالمكتبات الوطنية والأكاديمية وكذلك في المجلس الدولي للأرشيف (ICA) .

وكل ذلك تحقق من خلال مشاريع المستمرة، ويمكن بيانها كالتالي:

مشروع قاعدة المعلومات الإلكترونية.

مشاريع مشتركة مع المكتبة البريطانية لسد الفجوات الحاصلة في الذاكرة التاريخية الحديثة للعراق

مختبر صيانة وترميم الوثائق.

مختبر تصوير الوثائق بوساطة المصغرات الفلمية بدعم تشيكي وأمريكي.

مشاريع التدريب خارج العراق.

تنفيذ مشروع التدريب على إنشاء المكتبات الرقمية وإدارة المواقع الإلكترونية.

ثالثاً: تاريخ مكتبة الملك فهد الوطنية

تعد مكتبة الملك فهد من أكبر المكتبات الوطنية في الوطن العربي، ولقد أصبحت مكتبة الملك فهد الوطنية بموجب نظام الإيداع الهيئة الوطنية المسئولة عن حفظ الإنتاج الفكري السعودي بأشكاله كافة، ومنذ تطبيق نظام الإيداع عام 1414هـ، بدأت المكتبة في تلقي المطبوعات المودعة وفهرستها، ثم إدراجها في الببليوجرافية الوطنية.

مفهوم الإيداع النظامي:

يقصد بالإيداع النظامي وجود نظام يلزم الناشر، أو الطابع، أو المؤلف أن يقدم للمكتبة الوطنية بالدولة نسخا مجانية من الكتب التي ينشرها دون أي مقابل؛ وذلك خلال مدة معينة يحددها النظام، ويوقع الجزاء على كل من يخالف هذا النظام، ويأخذ المطبوع رقما للإيداع قبل أن ينشر، بحيث يطبع هذا الرقم على الصفحة الأخيرة من الكتاب.

أهداف نظام الإيداع النظامي:

1-حقوق الناشرين والطابعين والمؤلفين وصيانة أعمالهم الفكرية وحرية استغلالهم لها ، ومنعهم من مشاركتهم في ذلك بالسطو أو الاقتباس غير المقنن .

2-حفظ الإنتاج الفكري الوطني حماية لتراث الدولة من الضياع أو الإهمال أو التشتت .

3- إنشاء الببليوجرافية الوطنية وذلك بغرض التعريف بالإنتاج الفكري في الدولة .

4- ضبط الإنتاج الفكري الوطني وتوثيقه ومتابعته على المستوى الوطني والعالمي .

5- إثراء المكتبة الوطنية بنسخ من الكتب والمطبوعات المختلفة .

6- مراقبة المطبوعات وغيرها من أوعية المعلومات المعدة للتوزيع .

قانون الإيداع:

ينص نظام الإيداع على أن المواد التي يجب إيداعها والتي تخضع للإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية كل عمل فكري أو فني تمّ إنتاجه داخل المملكة العربية السعودية أو طبع في الخارج بمعرفة ناشرين أو مؤلفين سعوديين، ويشمل مصادر المعلومات التالية: -

1-المواد المطبوعة: مثل:

الكتب والكتيبات المدرسية وما شابهها، الرسائل الجامعية، الوثائق والمطبوعات الحكومية، الدوريات والصحف اليومية، المخطوطات، المخططات، التقاويم، نسخ الرسوم الزيتية .

2-المواد غير المطبوعة: مثل:

التسجيلات الصوتية والوسائل السمع بصرية والمصغرات الفلمية وبرامج الحاسبات الالية والأقراص الممغنطة .

ومطبوعات المكفوفين ، ولوحات الأنساب و الصور الفوتوغرافية .

والمجسمات الفنية والنوتات الموسيقية وطوابع البريد .

ويشترط القانون أن:

تودع نسختان من جميع الأعمال السابقة في قسم الإيداع بالمكتبة؛ ماعدا الرسائل الجامعية والمجسمات الفنية، فيتم إيداع نسخة واحدة منها، بشرط أن يتم الإيداع قبل توزيع العمل وتداوله، أما الصحف اليومية فتودع نسختين من كل طبعة تصدرها الصحيفة؛ وذلك يوم صدورها.

تنمية المجموعات:

أولاً: الاقتناء :

تقوم الإدارة بمتابعة حركة النشر المحلية والعالمية والتعاقد مع الوكلاء ودور النشر والمؤلفين؛ إلى جانب الاستمرار في إدارة برنامج الإهداء والتبادل مع المكتبات المحلية والأجنبية لتنمية مجموعات المكتبة.

ثانياً: الإهداءات :

تتلقى المكتبة مجموعة من الإهداءات والمكتبات الخاصة من المخطوطات والمطبوعات القديمة والمهمة أو مما له علاقة بتاريخ المملكة وإنتاجها الفكري من الهيئات والأفراد والمؤسسات، وتتولى الإدارة عملية فرزها وتصنيفها إما بإضافتها إلى مقتنيات المكتبة أو إهدائها إلى المكتبات الأخرى .

ثالثاً: الإهداء والتبادل:

تتولى الإدارة تنظيم البرنامج مع المؤسسات الثقافية الداخلية والخارجية المختلفة ويتبع قسم الإهداء والتبادل سياسة إعداد قوائم بالعناوين المعدة للإهداء والتبادل يتم تحديثها كل ثلاثة أشهر لاستبعاد ما نفد وإدراج الإضافات الجديدة بها لتوزيعها على المكتبات المحلية والخارجية .

إدارة الدوريات:

تقوم إدارة الدوريات بجميع عمليات التزويد ومتابعة الاشتراكات وتنظيم الدوريات وتقديم خدمات البحث والتصوير للمستفيدين في قاعات خاصة. وتقتني المكتبة الدوريات العربية والأجنبية الراجعة والجارية على وسائط متعددة، منها الأقراص المدمجة والميكروفيلم إلى جانب الشكل الورقي للصحف والمجلات التي تصل أقسام المكتبة عن طريق الشراء والاشتراكات والإيداع .

كما تقوم الإدارة بتقييم عناوين الدوريات الأجنبية ودراسة عروض خدمات الاشتراكات المقدمة من الشركات المتخصصة، الى جانب استكمال نواقص الدوريات من الأعداد القديمة.

القاعة العثمانية والتركية (المركز العلمي المتخصص):

أنشئت قاعة الكتب العثمانية والتركية بالمكتبة عام 1412هـ/1992م عند ظهور بعض الكتب والمجلات العثمانية والتركية المتخصصة ضمن مجموعات عربية من الكتب التي اقتنتها المكتبة. وبعد العثور على تلك المجموعة النادرة، كان لابد من إكمالها لتصبح القاعة مهيأة لتقديم الخدمات المرجعية للباحثين بشكل عام، والمهتمين منهم بالتاريخ بشكل خاص، ومساعدتهم في توفير المادة العلمية اللازمة في بحوثهم؛ اختصاراً للوقت والجهد والمال؛ إضافة إلى إنشاء قاعدة معلوماتية تركية عن تاريخ الجزيرة العربية، يتوفر فيها جميع ما يتعلق بالمنطقة من وثائق وكتب ورسائل جامعية ومقالات علمية متخصصة.

وإلى جانب اقتناء أمهات كتب التاريخ وبعض المصادر المرجعية المهمة للباحثين المتخصصين، فقد اقتنت القاعة أيضاً في فترة وجيزة مصادر تركية تاريخية خاصة بالمنطقة، وموسوعات تاريخية مميزة، ومجلات أكاديمية متخصصة، وألبومات للخط العربي نادر المحتوى، ومجموعة من الخرائط القديمة، إضافة إلى اقتناء مجموعة نادرة من بواكير الطباعة العربية في إستانبول والتي تعرف بمطبوعات إبراهيم متفرقة.

وجدير بالذكر أنه: عند تأسيس القاعة في بداية أمرها لم يكن في الحسبان أن تصبح القاعة مركزاً علمياً متخصصاً، يقوم بالعديد من الخدمات العلمية والمعرفية للمراكز العلمية والباحثين في داخل المملكة وخارجها.

وقد تحولت القاعة العثمانية والتركية بالمكتبة لمركزاً متخصصاً ومرموقاً يفد اليها الباحثون من مختلف التخصصات العلمية ومن أهم أعماله وأنشطته ما يلي:

1-إرشاد الباحثين إلى المراجع الأساسية (العثمانية أو التركية) في أبحاثهم العلمية أو في توفير المادة العلمية اللازمة لهم،

2-الحصول على مجموعة نادرة من الوثائق العثمانية عن تاريخ المملكة وترجمة قسم كبير منها، ومازالت عملية الترجمة جارية حتى الآن.

3-الرد على الأسئلة والاستفسارات العلمية لمختلف المؤسسات والمراكز العلمية داخل المملكة وخارجها.

4-إصدار ونشر العديد من الأبحاث والكتب المرجعية.

5-المشاركة في ندوات علمية متخصصة.

ومن أهم المصادر التركية التي اقتنتها القاعة العثمانية والتركية بالمكتبة أخيراً أحدث دائرة معارف عثمانية باللغة التركية الحديثة، وهي أشمل كتاب في دراسة الحياة العثمانية، الثقافية والفكرية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

صدر الكتاب عن دار يني تركية (تركيا الجديدة) بأنقرة عام 1999م، بمناسبة مرور سبعمائة سنة على نشأة الدولة العثمانية. ويقع في اثني عشر مجلداً من القطع الكبير (كل مجلد في حوالي 800 صفحة). شارك في إعداد مواد هذه الدائرة عدد كبير من الباحثين المتخصصين من داخل تركيا ومن خارجها. حيث بلغ عدد

الأساتذة المشاركين في تحرير المواد 1189 شخصاً من أصل 2033 متخصصاً، من ست وخمسين دولة. مما أضفي على الكتاب طابعاً علمياً متميزاً. وقد اشتمل على العديد من الرسوم التوضيحية والصور البيانية والخرائط الملونة عن جغرافية الدولة العثمانية في مختلف الحقب التاريخية .

وهذه الدائرة التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها عام 699هـ/1299م وحتى انقراضها عام 1346هـ/1924م أحدث كتاب علمي شامل لكافة جوانب الحياة العثمانية.

ومن الخصائص التي اتسمت بها الدائرة أيضاً إعدادها من لدن المتخصصين المعروفين على المستوى العالمي بباعهم الطويل في الدراسات العثمانية التاريخية والحضارية.

اقتنت القاعة العثمانية والتركية بالمكتبة أخيراً أيضاً دائرة معارف جديدة تسمى الأتراك، التي تتكون من واحد وعشرين مجلداً من القطع الكبير، وصدرت هذه الدائرة من دار تركيا الجديدة، بإشراف حسن جلال كوزل، ولجنة تحرير تكونت من اثنين وثلاثين عضواً متخصصاً في التاريخ وشؤون التركيات من ثلاث عشرة دولة.

وقد ذكر في المقدمة أن المنهج المتبع في تصنيف البحوث وفي الشكل والمحتوى جديد في بابه. كما أن سرد الموضوعات التي تتعلق بفترة ما بعد عام 1960م وتحليل تاريخ ما بعد تلك الفترة كان خالياً من الانحياز. وهذا يعني أن تدوين الفترة السابقة عليها كان مبنياً على نقل التاريخ الرسمي للدولة .

ومن الكتب القيمة التي حصلت عليها القاعة العثمانية والتركية بالمكتبة أيضاً المجلد الخامس والعشرون من دائرة المعارف الإسلامية التي يصدرها مركز البحوث الإسلامية بلجنة الأوقاف في تركيا .

ودائرة المعارف الإسلامية هذه تتميز عن غيرها من دوائر المعارف الإسلامية المتخصصة بأن المسلمين هم المحررون لموادها. بعكس دوائر المعارف المترجمة من اللغات الأجنبية، يضاف إلى ذلك اشتمالها على كثير من المصطلحات الجديدة التي لا نجد لها أثراً في دوائر المعارف الإسلامية المتخصصة، واحتواؤها كذلك على كثير من الأعلام.

ومن أهم المجلات التركية التي اقتنتها القاعة العثمانية التركية بالمكتبة العدد الأول والثاني من مجلة القدس الجديدة الصادرة باللغة التركية عن لجنة من الإعلاميين والأكاديميين في إستانبول .

نماذج من المطبوعات النادرة التي تقتنيها القاعة :

1-سالنامة ولاية الحجاز: وهي خمسة أعداد، وقد صدرت في مكة المكرمة في الفترة من 1301هـ وحتى 1309هـ.

2-سالنامة الدولة العثمانية وهي أكثرها صدوراً واستمراراً، حيث يوجد منها بالقاعة ثلاثون عدداً.

3-سالنامات لبعض الولايات العربية الأخرى مثل سوريا وبيروت وبغداد. إلخ.

ومما يجدر ذكره أن مكتبة الملك فهد الوطنية تنفرد من بين المكتبات السعودية بوجود قسم مستقل لمصادر المعلومات العثمانية والتركية، مما له صلة بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية.

محتويات القسم:

يحتوي القسم على أكثر من " 1707 " كتاب ودورية عثمانية. كما يضم بعض الكتب النادرة التي لا يوجد منها إلا القليل في مكتبات العالم، مثل :

1-بواكير الطباعة التركية، وتعرف بمجموعة إبراهيم متفرقة.

2-نماذج من الطباعة العثمانية في أوربا، ومطبوعات تركية حديثة عن الجزيرة العربية وأوضاعها الثقافية والاجتماعية والجغرافية .

3-موسوعات علمية ولغوية وأدبية متخصصة .

4-مجموعة كتب عن المسكوكات العثمانية القديمة والتركية الحديثة .

5-مجموعة كتب الخط العربي بأقلام الخطاطين العثمانيين وتراجمهم ... إلخ .

6-مجلات علمية تاريخية متخصصة، ومجلة مجمع التاريخ التركي .

الأرشيف الوطني للصور:

يعد الأرشيف الوطني للصور التاريخية في المكتبة الوحيد من نوعه في المملكة، وذلك من حيث حجم مقتنياته وتنوعها، حيث يضم أقدم الصور التي تعود إلى بدايات التقاط الصور الشمسية في الجزيرة العربية.

وقد استكملت المرحلة الأولى من المشروع بحصول المكتبة على سبعة وعشرين ألف صورة قديمة، تم جمعها من مصادر محلية وخارجية ومن المكتبات والأرشيفات العربية والعالمية ومن الأفراد داخل المملكة وخارجها.

وتم استخدام تقنية المعلومات في تنفيذ المشروع فيما يتعلق بمعالجة الصور وتوثيقها واسترجاعها وتحسين جودتها، بحيث يسهل تخزينها واسترجاعها بواسطة الحاسوب. كما تحتفظ المكتبة بالأصول الورقية للصور التي حفظت في أماكن تخزين خاصة.

البحوث والنشر:

تعد مكتبة الملك فهد الوطنية من أكبر الهيئات المتخصصة في نشر علوم المكتبات والمعلومات والببليوجرافيا؛ فقد أصدرت المكتبة عدداً من الأعمال الببليوجرافية والبحوث والكتب والترجمات التي لاقت إقبالاً على المستويات كافة، وأصبح بعضها من المراجع المعتمدة في بعض الجامعات السعودية والعربية.

وتصدر المكتبة مطبوعاتها في أربع سلاسل؛ منها ما هو معني بنشر البحوث والمؤلفات عن المكتبات والمعلومات في المملكة، ومنها ما هو خاص بعلم المكتبات والمعلومات بشكل عام. أما السلسلة الثالثة فتختص بنشر الأعمال الببليوجرافية والفهارس والكشافات، وهناك سلسلة رابعة حرة تُعنى بالدراسات والبحوث التي تؤرخ للحياة الفكرية والثقافية للمملكة قديمًا وحديثًا.

وقد قامت لجنة النشر بمتابعة مشروع إصدار سلسلة جديدة من الأعمال المتخصصة التي تعتمد على إعادة نشر البحوث والمقالات ذات الفائدة المستديمة التي سبق نشرها في الدوريات العربية، وذلك لتسهيل إتاحتها للباحثين وطلبة دراسات المكتبات والمعلومات.

كما تتولى المكتبة نشر الدوريات العلمية والنشرات ومنها (مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية) وهي مجلة علمية محكمة تصدر مرتين في العام، وذلك منذ عام 1416هـ.

وتصدر المكتبة كذلك (نشرة المستخلصات) التي تهدف التعريف بالمقالات الحديثة في العلوم الإنسانية، وما يُنشر عن السعودية والعرب والإسلام في المجلات: الفرنسية والإنجليزية والتركية والألمانية، تضم كذلك

المستخلصات للمقالات المتعلقة بعلوم المكتبات والمعلومات، وهي الوحيدة التي تصدر في مجالها باللغة العربية.

مركز الوثائق:

يضم مركز الوثائق ما يقرب من مليوني وثيقة تاريخية ومعظم مجموعات الوثائق من الأوراق المحلية ومن المصادر الأجنبية التي لها صلة بتاريخ المملكة وبالملك عبد العزيز، بما يشمل وثائق محلية تنتمي لعدة مناطق في المملكة والوثائق الشخصية لبعض العلماء والأدباء؛ إلى جانب الوثائق البريطانية والعثمانية والألمانية وغيرها، ويقوم المركز بفرز الوثائق وفهرستها.

وبلغ إجمالي مُقتنيات المركز (5780) ملفًا و (2025) سجلاً، ويقوم المركز بجمع الوثائق الأصلية المحلية الخاصة بالدولة السعودية، مع التركيز على وثائق الملك عبد العزيز، حيث يجري العمل على قراءتها ومراجعتها، تمهيدًا لنشرها كما تم ترجمة العديد من الوثائق العثمانية.

كما يقوم مركز الوثائق بتخزين برنامج فهرسة الوثائق التاريخية وإدخالها في الحاسب الالي، وقدم المركز خدمات الوثائق للعديد من الباحثين والهيئات؛ إلى جانب تسهيل مهمات الاطلاع على الوثائق لعدد من الأفراد والهيئات الحكومية، وتصوير الوثائق المطلوبة للباحثين.

وبذلك تعد مكتبة الملك فهد الوطنية نموذجاً يحتذى به في مجال المكتبات الوطنية في العالم العربي نظراً لما تلقاه من عناية ورعاية من جانب المسئولين، فضلاً عن خدماتها التي تقدمها للباحثين والمترددين عليها للاستفادة من خدماتها.

مصادر ومراجع الفصل السابع:

1-أيمن فؤاد سيد. الكتب المصرية بين الأمس واليوم والغد. – القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2008.

2-أسامة السيد محمود .المكتبات والمعلومات في الدول المتقدمة والنامية. - القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1978

3-السيد السيد النشار. دراسات في المكتبات والمعلومات. - مصر: جامعة الإسكندرية، 2002.

4-جاسم محمد جرجيس. عصر المعلومات: سماته واتجاهاته وقضاياه. متابعات إعلامية. ع 62 نوفمبر – ديسمبر، 1998.

5- سعد محمد الهجرسي ، سيد حسب الله . - المكتبات والمعلومات والتوثيق. - الاسكندرية: دار الثقافة العلمية، 1999.

6-سعد محمد الهجرسي. المكتبات وبنوك المعلومات في مجمع الخالدين وحديث السهرة. – القاهرة: البيت العربي للمعلومات، 1985.

7- سعيد احمد حسن . انواع المكتبات في العالمين العربى والإسلامي. – القاهرة: دار الفرقان للنشر والتوزيع، (د. ت).

8- سيد حسب الله . الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات و المعلومات و الحاسبات إنجليزي – عربي . القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 2001 .

9- عبد العزيز محمد النهاري . المكتبات الوطنية: تاريخها-وظائفها-واقعها. – الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية، 1989.

10-عبد الله الزويري . " أثر تكنولوجيا المعلومات على المكتبات ومراكز المعلومات ". - جمعيتي المكتبات الاردنية والعراقية. - عمان: 1997.

11-عبد اللطيف الصوفي. " إنترنت 2000 أهميتها في المكتبات وسبل مواجهتها ". - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1999.

12-محمد أمان. تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. – القاهرة: دار حنين للنشر والتوزيع،2005.

مواقع الانترنت التالية:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF8A

http://www.kfnl.org.sa/?action=showSection&id=2

http://www.darelkotob.gov.eg/BabElKhalq.aspx

http://www.kfnl.org.sa/?action=showSection&id=5

الفصل الثامن

تاريخ المكتبات في أوربا في العصور الوسطى

تقديـــم:

في بداية العصور الوسطي شهدت أوربا سقوط الدولة الرومانية في القرن السادس الميلادي، وذلك على أثر هجمات القبائل الجرمانية، كما كانت المسيحية قد انتشرت في أقطار أوربية عديدة، وأصبحت الديانة الرسمية لشعوبها. وكان لهذين العاملين أثرهما الواضح على تأخر ظهور المكتبات في أوربا الحديثة؛ فالجرمانيون الغزاة لم يكن لديهم اهتمام كبير بالكتب أو المكتبات، كما أن المسيحيين من أهل البلاد لم يكونوا يرحبون كثيراً بالكتب غير المسيحية باعتبارها من وجهة نظرهم كتباً وثنية.

وهكذا وقعت المكتبات الأوربية بين شقي الرحى، مما أدى إلى ضياع وتلاشي إعدادا كبيرة من المخطوطات التي كانت تمتلكها هذه المكتبات في بداية العصور الوسطى. أما البقية الباقية من المخطوطات فقد وجدت ملجأ لها في داخل الأديرة والمؤسسات الدينية المسيحية الجديدة.

وهكذا كان إنشاء وإدارة المكتبات في القرون الأولى من العصر الوسيط يقوم على عاتق الرهبان بالدرجة الأولى، وكانت المكتبات توجد في الأغلب في داخل الأديرة، ولم يكن هناك نشاط ملحوظ لتكوين المكتبات خارج الأديرة؛ وذلك بسبب انتشار الأمية في مختلف البلدان الأوربية، فقد كان التعليم محدوداً، وأن عدد الذين يقرأون اللاتينية التي لغة التأليف والكتابة في ذلك الزمان - كان قليلاً، وأن القرون الأولى من تاريخ المسيحية كانت فترة قلاقل سياسية؛ فقد أغارت القبائل الجرمانية البربرية على إيطاليا ودمرتها، وشن السكسون والأيرلنديون هجماتهم الهمجية على انجلترا في القرن الخامس فخربوها، ولم تكد تلتقط أنفاسها في القرن السابع وتظهر فيها مكتبات الأديرة وتجلب لها الكتب من روما حتى تعرضت للخراب والدمار من جديد على يد الدانماركيين في القرن التاسع الميلادي.

ويبدو أن الحال قد ظل هكذا حتى القرن التاسع الميلادي. عندما تمكن أحد الرهبان المعروفين، وهو ألكوين Alcuin من أن يقنع شارلمان ملك ألمانيا، بأن يهتم بقضية التعليم – تعليم الشعب مما جعل هذا الملك، الذي يقال انه كان يقرأ بصعوبة ولم يتعلم الكتابة أبدا، جعله يهتم بفتح المدارس في الأديرة والكنائس الكبيرة. مما ساهم في انتشار التعليم، ومن ثم زيادة الوعي بأهمية الكتب والمكتبات. فأنشأ في قصره أكثر من مكتبة. وحذا حذوه من خلفه على حكم ألمانيا من أمثال حفيده شارل الأصلع.

أنواع المكتبات في أوربا في العصور الوسطى:

منذ ذلك الوقت بدأت نوعيات مختلفة من المكتبات في الظهور في أوربا، ولكنها كانت في الأغلب مكتبات تابعة لمؤسسات دينية. ومن أهم هذه النوعيات:

1-مكتبات الأديرة.

2-مكتبات المجالس الكنسية.

3-مكتبات الباباوات.

4-مكتبات الحكام.

مكتبات الأديرة:

من أهمها المكتبات التالية:

1- مكتبة دير فيفا روم:

وتعتبر هذه المكتبة أقدم المكتبات الديرية في أوربا، وكانت توجد في دير فيفا روم الذي أسسه رجل الدولة والسياسي كاسيودورس في القسطنطينية حوالي منتصف القرن السادس الميلادي.

وقد تميزت هذه المكتبة بأنها كانت تحتوي على نسخ من الكتاب المقدس، ومؤلفات الكتاب المسيحيين، بالإضافة إلى الكثير من مؤلفات الكتاب الوثنيين مثل: شيشرون، وسينكا، وليفي، وتاسيت، وكانت هذه الكتب توضع في خزائن خاصة بها.

وعن التنظيم الداخلي لهذه المكتبة فتشير المصادر التاريخية إلى أن المجموعات كانت تنقسم إلى قسمين:

الكتب الدينية المسيحية:

كانت توضع في خزائن كل خزينة مرقمة برقم خاص بها

الكتب غير الدينية:

وكانت تنقسم سبع مجموعات حسب التصنيف القديم الذي كانت تسير عليها المكتبات.

والواقع أن كاسيودورس كان يهدف من إنشاء هذه الكتبة أن يحفظ التراث القديم، فقد كان على اقتناع بضرورة دمج هذا التراث في العلم الروحي الجديد: أي العلم المسيحي، وكان يقول دائما "أن هدفنا هو خلق شيء جديد على أن ننقذ القديم ".

ويقول الفريد هيسيل:

" كاسيودورس كان حقيقة أول رجل في الغرب يحرص على جمع مجموعة منظمة من المؤلفات الأدبية الدينية والدنيوية ".

" بل إن النصوص اليونانية كانت تستقدم من الشرق وتترجم في دير فيفأ روم، وكان كاسيودورس يعني بأن تكون المخطوطات ذات مظهر خارجي مقبول، ولكن أكبر همه كان يتركز على صحة النصوص.

2-مكتبة دير كورفي: korvey

تعتبر هذه المكتبة من أقدم المكتبات الديرية في ألمانيا، حيث يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الوسيط. ولكنها بلغت أو ج مجدها في أو سط القرن الثاني عشر؛ حيث كانت تحتوي على مجموعة نادرة من المخطوطات. منها على سبيل المثال: مخطوط مكتوب على الرق من تأليف المؤرخ الروماني تاسيتوس، بالإضافة إلى مخطوط يضم مجموعة نصوص لشيشرون.

3-مكتبة دير فولدا: Fulda

وهذه المكتبة أنشأها الراهب رابان مور Raban Maur المولود بمدينة ماينز حوالي سنة 780م، وصف بأنه أحد رجالات الكنيسة غير العاديين في القرون الوسطى الأولى. وقد بلغت هذه المكتبة أو ج عظمتها في فترة حكم رابان مور، والتي استمر لمدة أربعة عقود، فكان رابان مور قد تولي رئاسة المدرسة أولا، وبعد ذلك أصبح رئيسا للأبرشية. ويقع دير فولدا في مدينة روتنبرج في ألمانيا.

4-مكتبة دير رشناو Reishnaw

تعتبر هذه المكتبة من أهم المكتبات الديرية في ألمانيا وقد أسسها ريجنبيرت، حيث قام بجمع الكتب لهذه المكتبة، وقد ازدهرت هذه المكتبة في القرن العاشر الميلادي.

ويؤكد الفريد هيسيل على أنه " كان هنا مركزاً ثالثاً للحياة الدينية هو دير ريشناو Reishnaw الذي كان يتبادل المخطوطات على نطاق واسع مع سانت جال المجاور، ولم يكن يتردد في إمداد موربارخ بالكتب. ومنذ إنشائه جد الرهبان في جميع الكتب له، ولكن عصره الذهبي لم يظهر إلا في عصر شارلمان. وكان رجنبيرت Reginbert الذي يطلق عليه أعظم أمين مكتبة في زمانه يعمل هناك، وقام بنفسه بإنتاج النصوص لمؤلفين دينين وعلمانيين وأشرف على قراءات الطلبة الجادين، وكان يجمع له المخطوطات من الأماكن القريبة.

5-مكتبة دير سوري Sore

وهذه المكتبة كانت تتبع أحد أديرة الدانمرك وهو دير سوري، وكانت هذه المكتبة تحتوي على مجموعة رائعة من المخطوطات من أهمها مخطوط لجستنيان وهو الآن محفوظ في المكتبة بكوبنهاجن. وهكذا انتشرت المكتبات داخل الأديرة، ولم تكن وظيفتها مجرد حفظ الكتب وتيسيرها للقراء. وإنما كانت بمثابة مراكز أنشطة لإنتاج الكتب، حيث كانت تنتج في ورش النسخ الخاصة بذلك، ثم تقوم بتوزيعها على الأديرة المختلفة.

ورغم ذلك فقد كانت المكتبات في أغلب الأديرة فقيرة للغاية في مقتنياتها من المخطوطات. هذا وقد تميزت مكتبات عدد قليل من الأديرة وخصوصا في ألمانيا بكثرة مقتنياتها من المخطوطات. فقد بلغ عدد المقتنيات في بعض هذه المكتبات نحوا من (600) كتاباً. على حين أن متوسط ما كانت تملكه مكتبة الكنيسة أو الدير في ذلك لم يكن يتجاوز العشرة كتب. وكانت هذه في العادة هي كتب دينية. هذا، ويعطينا الفريد هيسيل صورة للطريقة التي كان يتم بها تزويد مكتبات الأديرة بالكتب حيث يقول:

"وإذا ما أسس دير جديد فإنه كان يتلقى نصيبه الأساس من الكتب، أو على الأقل القدر الضروري من كتب الطقوس الدينية وغير الدينية. وكانت هذه الهدايا التي تأتي إليه من مصادر متنوعة، من الدوائر الدينية وغير الدينية.

وكانت هذه الهدايا نتيجة طبيعة لالتقاء المتبرعين عند الصلاة. كما كان الرهبان الجدد والطلبة الذين يلتحقون بمكتبة الدير يقدمون هداياهم أيضا. كما كان الشراء مصدراً آخر لتزويد مكتبة الدير بالكتب، وإن كان ذلك يتم في أضيق الحدود نظرا لارتفاع أثمان المخطوطات بشكل غير عادي ".

"فكثيراً ما كنا نسمع بان مساحات بأكملها من الأرض، أو مزارع للكروم مثلا، قد دفعت ثمنا لبعض المخطوطات، ولهذا كان من الطبيعي تزويد الدير بالكتب عن طريق الهدايا الخاصة، وفرض الضرائب وعوائد تحصل لصالحة بانتظام ".

هذا، وكان تمويل مكتبات الأديرة في الأغلب من الضرائب السنوية، أو من الهبات والإعانات التي كانت تقدم للدير.

وتشير المصادر التاريخية ان رئيس دير فليرى ماسكاريوس، قد حدد في عام 1146م ضريبة سنوية قدرها (280) صولدي ذهب يدفعها أعضاء الدير والجهات التابعة له، وتخصص هذه للمحافظة على المكتبة وزيادتها، وقد ظل العمل بذلك حتى عام 1562 ميلادية، وكانت هناك أوامر مشابهة بمبالغ للمكتبات في الأديرة الأخرى. كما أن مكتبة دير كورفي بفرنسا كان تمويلها يتم من إعانة قررها لها البابا في القرن الثاني عشر وكان المكتبي يحصل على مرتبة من هذه الإعانة. بينما يخصص المبلغ الباقي لتجليد الكتب.

2-مكتبات المجالس الكنسية:

خلال القرن التاسع والعاشر وكانت تنشأ في داخل الكاتدرائيات حيث كان بكل مجلس مدرسة. ويلحق بهذه المدرسة مكتبة. وكانت هذه المكتبات تفوق المكتبات الديرية من حيث النظام الداخلي وقيمة محتوياتها الثمينة.

3-مكتبات الباباوات:

أما بالنسبة للنوع الثالث من المكتبات، وهو مكتبات الباباوات، فان خير مثال لها هو المكتبة التي أنشئت في أفينون بفرنسا ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى القرن الرابع الميلادي، عندما قام البابا داماس الأول ببناء كنيسة القديس لورانس.

وخصص قرب هذه الكنيسة بناء كمركز للوثائق البابوية، حيث كانت الكتب تحفظ هناك أيضا. ويقال إن هذه المكتبة نقلت في عهد البابا جريجور الكبير (590 – 604ميلادية) إلى لاتيران، وإنها تعرضت للتدمير عدة مرات. ولكنها كانت تبنى فتعود إلى الوجود من جديد في كل مرة، كما أن هذه المكتبة ازدهرت في القرن

الثاني عشر الميلادي في عهد البابا يونيفاتيوس، ولكنها تعرضت أيضاً للتدمير، وأخيراً جددها البابا يوحنا الثاني والعشرون في أفينون.

وكانوا البابوات الذين تعرضوا للنفي قد انتقلوا إلى هذه المدينة واتخذوها مقراً لهم. وهناك كانت الهدايا من الكتب تقدم إليهم، وفي الوقت نفسه كانوا يقومون بالاستيلاء على كتب رجال الكنيسة بعد وفاتهم. وبهذا استطاع الباباوات إن يؤسسوا هذه المكتبة في أفينون.

ويقال إن الباباوات لدى عودتهم إلى روما لم يحملوا معهم كتبهم. وإنما تركوا الجزء الأعظم منها. حيث تم ضم جزء منها إلى المكتبة الأهلية بباريس. كما تم ضم جزء منها آخر إلى أسرة بور حيزي. وبعد ذلك اشتراها منها الفاتيكان، حيث دخلت ضمن مجموعات مكتبة الفاتيكان المعروفة في روما.

4-مكتبات الحكام:

إما بالنسبة للنوع الرابع من المكتبات وهو مكتبات الحكام، فقد عرف في ألمانيا في فترة حكم شارلمان (القرن الثامن الميلادي)، وكانت هذه المكتبات تنشأ في القصور، إما لخدمة رجال البلاط، أو لكي تكون بمثابة مكتبات خاصة بالحاكم، ومن أهم الأمثلة على هذه المكتبات المكتبة التي أنشأها شارلمان في قصره.

وكانت تعرف بمكتبة القصر، وقد أنشأها شارلمان في قصره، ووضع فيها عدداً كبيراً من النسخ، بالإضافة إلى العلماء الذين كانوا يقومون بتحقيق المخطوطات ثم نسخها، بل وكان شارلمان يطلب من العلماء أن يأتوا إلى قصره ومعهم المخطوطات من بلادهم، ولعل يول الشماس كان أنشط العلماء في هذه الناحية حيث أتى بالكثير من أثار الكلاسيكيين ولم تكن هذه المكتبة تهتم فقط بتحقيق، وإنتاج، وحفظ النصوص، وإنما كانت بمثابة مركز لحركة المخطوطات، حيث كان من بين خدماتها خدمة الاطلاع على المخطوطات لكل من يرغب في ذلك.

وبصفة عامة، فقد كانت مكتبات تلك الفترة من العصور الوسطي المتقدمة مؤسسات متواضعة من حيث مقتنياتها من المخطوطات، بل إن هذه المخطوطات كانت ملكا للأديرة والكنائس، ومن ثم فلم تكن هناك حاجة

إلى إقامة أبنية ضخمة أو فخمة لهذه المكتبات، يضاف إلى ذلك أن هذه المكتبات كانت توجه خدماتها إلى الرهبان بالدرجة الأولى، وهذا هو السبب في أنها كانت تنشأ دائما في داخل الأديرة أو في كنف المؤسسات الدينية المختلفة.

خصائص المكتبات الأوربية في العصور الوسطى:

كان مما يميز مكتبة العصور الوسطي عن مكتبات العصر القديم ومكتبات العصر الحديث، هو ضآلة الموجود بها من الكتب، فلم تكن فهارسها لتحتوي على أكثر من عدة مئات قليلة من المداخل.

وكانت الموضوعات التي تمثلها هذه الكتب عبارة عن الكتابات المسيحية والمخلفات القليلة من العصور القديمة، بالإضافة إلى ما استحدث من مؤلفات دينية وعلمانية في الفترة ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلاديين.

وبعد أن فقد الكتاب خلال العصر الوسيط دوره من عدة جوانب كأداة لنقل المعلومات، كان من الطبيعي أيضاً أن تفتقد المكتبات دورها الاجتماعي، وهكذا عوضاً عن أن تكون المكتبات كما كانت في العصر الروماني في بيزنطة والعالم العربي مكانا يلتقي فيه الناس المتعلمون والمهتمون بالعمل العلمي والارتقاء في مجال اختصاصاتهم، فقد أصبحت المكتبات الآن مستودعات للمخطوطات الغالية المخصصة لدائرة ضيقة جداً من النخبة.

وبعبارة أخرى لم تعد المكتبات مؤسسات مفتوحة وعامة، وهي الحالة التي استمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وحتى في الحالات التي كان يسمح فيها أصحاب المكتبات (الأديرة، الكنائس، الحكام، هواة جمع الكتب الأغنياء) بالاستفادة من الكتب التي كانت توجد فيها، فان هذه الاستفادة كانت تقتصر على عدد محدود من الأصدقاء، والرهبان من الأديرة الأخرى والناس المتعلمين وغيرهم. ولكن لم يكن في الإمكان أن يدخل المكتبة كل من يريد، وفي الواقع فقد كان الوصول إلى كتاب ما في بداية ومنتصف العصر الوسيط يعتبر صعبا للإنسان العادي ومستحيلا لأكثرية الناس، كان وجود أكثرية المكتبات في الأديرة المنعزلة، البعيدة غالبا عن طرق المواصلات يساهم في حد ذاته في إبعاد هذه المكتبات عن المشاركة الأنشطة في

الحياة الثقافية وهكذا بقي الكتاب طيلة الفترة التي كانت فيها الأديرة المراكز الرئيسة للثقافة والكتابة والمنتجة الرئيسية للكتاب، يجد بصعوبة بالغة دوره إلى دائرة أو سع من القراء.

كانت وظيفة الجمع والحفظ هي الوظيفة الرئيسية أو الغاية الأساس التي تسعى كل مكتبة إلى تحقيقها. وكانت الكتب تربط إلى خزاناتها بالسلاسل، بل إنه كان يبدو أن هذا الإجراء كان شائعا ومرغوبا فيه في المكتبات الفرنسية في خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. ففي عام 1271م ترك جيرار أحد أصدقاء روبرت دي سوربون ثلاثمائة كتاب لصديقه المذكور ومن أجل حمايتها فإن جيرار هذا كتب في وصيته أن هذه الكتب لابد أنه تقيد بالسلاسل.

وأيضا في عام 1313م ترك ريموند لول r. lull نسخا من مؤلفاته للجمعية الخيرية الكبرى في باريس، واشترط أن يتم ربطها بالسلاسل أجل أن يستخدمها الجميع الذين يرغبون في ذلك وبدون أن نتعرض للخطر أو السرقة".

كان أمين المكتبة آنذاك يحرص كل الحرص على أن تكون كتبه بعيدة، بقدر الإمكان عن أيدي الناس، وحتى يمكنه فيما بعد أن يقوم بتسليمها لمن يأتي بعده للعمل في المكتبة دون أن تتمزق الكتب أو يصيبها التلف بسبب كثرة الاستعمال، ولقد كان لأمين المكتبة عذره في ذلك فقد كانت الكتب في تلك الفترة غالية الثمن صعبة المنال.

لم تكن المكتبات تبذل أية جهود لتشجيع الناس على استخدام الكتب بل إنها كانت تضع القيود حول هذا الاستخدام، فلم يكن يسمح بارتياد المكتبات في أيام معينة من الأسبوع وكانت المكتبات تشترط أحيانا ألا تقل سن المستفيد عن 21 عاما. أو أن يكون ارتياده للمكتبة بقصد الاطلاع وحسب مع عدم جواز القراءة بقصد اجتياز لامتحان معين.

لم تكن المكتبات تهتم بتنظيم مقتنياتها من المخطوطات، بطريقة تجعلها ميسورة للمستفيدين، وكانت طرق التنظيم تختلف من مكتبة إلى أخرى. فكل مكتبة من المكتبات كانت لها طريقتها الخاصة في ترتيب

الكتب، وفي تحديد مواضعها على الرفوف وكذلك كانت لكل مكتبة إجراءاتها الخاصة وكذلك طريقتها في إعداد سجلاتها.

كانت خدمات المكتبات قاصرة على الأقلية الفكرية من المواطنين الذين كانت لهم معرفة بالكتب ويستطيعون بالتالي أن يحددوا ما يحتاجون إليه منها وبسبب معرفتهم هذه الكتب فقد كانوا يحتاجون إلى أقل القليل من الإرشاد أو المساعدة الشخصية من جانب أمين المكتبة.

وهكذا ساءت حال المكتبات في تلك الفترة من العصور الوسطى، وقد امتدت حركة الاضمحلال في كيان المكتبات إلى نشاط الأديرة في ميدان إنتاج وحفظ الكتب حتى أن دير سان إمرام بمدينة راتزون والذي كان له نشاط ملحوظ في مجال إنتاج الكتب لم يعد له في أواسط القرن الرابع عشر إلا نصف كتبه فقط التي كان يمتلكها في القرن العاشر كما هبط سنوي دير مورباخ بدرجة كبيرة في القرن الثالث عشر إلى حد أن رهبانه لم يعودا يعرفون الكتابة نفسها.

خصائص المكتبات في أوربا في العصور الوسطى:

رغم أن المكتبات في هذه الفترة المتقدمة من العصور الوسطى تتشابه مع مكتبات العصور القديمة في أنها كانت تنشأ في المعابد أو تلحق بها. ورغم أن العاملين بها كانوا من رجال الدين، إلا أن مكتبات هذه الفترة من العصور الوسطى تنفرد بمجموعة من الخصائص، تميزها عن مكتبات العصور القديمة، سواء فيما يتصل بمجموعات المكتبة من المخطوطات أو بالتنظيم الداخلي للمكتبة وبطريقة حفظ المجموعات أو بالقواعد الخاصة بالإعارة من المكتبة.

وفيما يلي عرض لبعض هذه الخصائص.

أولاً: التزويد

كانت مجموعات المكتبة في أي دير جديد تأتي من الأبرشية الأم، وتودع في الدير لتكون النواة الأساسية للمكتبة وكانت عادة عبارة عن مجموعة من المخطوطات وكتب الطقوس الدينية. وبعد ذلك تنمو المكتبة في كل من الأديرة بعدة طرق بعدة طرق منها:

1-الإهداء:

وقد كان المصدر الرئيسي لتنمية مجموعات المكتبات في الأديرة في تلك الفترة حيث كانت الهدايا من المخطوطات تأتي إلى الدير من الرهبان الجدد، وكذلك أيضاً من الرهبان الشبان الذين كانوا يلتحقون بمدرسة الدير. وكان هؤلاء جميعا يقدمون هداياهم إلى المكتبة عن طيب خاطر أملاً في الثواب، وكانوا يقومون بوضع علامات على الكتب تدل على اسم الشخص الذي قام بإهدائها.

2-الشراء:

كان شراء المخطوطات يتم في أضيق الحدود، وذلك بسبب ارتفاع أثمان المخطوطات في ذلك الوقت.

3-التبادل:

كان التبادل يتم بين الأديرة المختلفة وذلك للنسخ المكررة من المخطوطات في المكتبات. وكانت هذه الطريقة تتوقف في أهميتها ودرجة الاعتماد عليها على نشاط المناسخ في إنتاج النسخ التي يمكن تبادلها مع الأديرة الأخرى.

4-النسخ:

كانت المناسخ الملحقة بالأديرة تقوم بإعداد النسخ للمحفوظات وكانت النسخ تمثل مصدراً هاماً لتنمية مجموعات المكتبات في تلك الفترة. حيث كان الرهبان العاملون في المناسخ وكذلك أيضاً المتطوعون للعمل بها يقومون بنسخ المخطوطات لإيداعها في المكتبة أملاً في الثواب.

ثانيا: حفظ المجموعات:

كانت المخطوطات في مكتبات تلك الفترة تحفظ في مكان آمن داخل الدير مثل حجرة المقدسات، وغالبا ما كانت هذه المخطوطات تحفظ مع الأوراق الرسمية والمستندات الهامة وذلك داخل دولاب خاص أو أكثر إما في داخل الجدران، أو موضوعة بحذاء الجدران كما كان الحال في المكتبة القديمة، وعندما تكون المجموعات كبيرة الحجم، فإنها كانت تحفظ في مكان خاص بها، وكان مبنى المكتبة في ذلك الوقت يشبه إلى حد كبير حجرة المقدسات.

اتخذت المكتبات تدابير كثيرة لضمان سلامة مجموعاتها من السرقة أو التلف منها:

1-ما يعرف بلعنة الكتب، وهذه كانت عبارة عن كلمات قليلة تكتب على المخطوطات تهدد السارق بالعقاب الشديد.

2-تكليف حارس بالمحافظة على الكتب. وغالبا ما كان هذا الحارس يقوم بهذه المهمة إلى جانب وظيفته الأساسية وهي الترتيل في الكنيسة.

3-ربط الكتب إلى خزانتها بسلاسل من حديد. وهذا الإجراء قد أصبح أكثر شيوعا في العصور الوسطى المتأخرة وربما في فرنسا خاصةً.

ثالثا: القواعد المنظمة للإعارة

وضعت القواعد الخاصة بالإعارة من المكتبات وكانت هذه القواعد تتسم بالشدة والدقة، وكانت تقضي بأن يسمح بالإعارة للعاملين بالدير، ولغيرهم أيضا، وكانت القواعد تقضي بأن يجتمع أعضاء الأبرشية في يوم محدد من أيام السنة وينادى على من استعار كتبا من المكتبة في العام الماضي ليقوم بإرجاعها إلى المكتبة بعد ذلك تبدأ إجراءات إعارة الكتب للسنة الجديدة.

كان المستعيرون من العاملين بالدير أو من الخارج، وفي الحالة الأولى فان أمين المكتبة كان يكلف بالاحتفاظ بأسمائهم وأسماء الكتب المعارة لهم. وإذا كان المستعيرون من خارج الدير فقد كانت التعليمات تقضي بأن يقدم المستعير إيصالا أو رهنا أو ضمانا لرد ما استعاره من كتب.

ورغم صرامة هذه القواعد إلا أنها لم تمنع ضياع بعض الكتب، أو إساءة استعمال بعضها الآخر. مما جعل المسئولين عن الأديرة يقومون بعد ذلك بتعديل هذه القواعد، بحيث تمنع الإعارة الخارجية تماماً. وضعت أيضاً القواعد الخاصة بمهام أمين المكتبة. فإلى جانب أعمال الإعارة والإرجاع. كان أمين المكتبة يقوم بتصنيف الكتب وتنظيمها في أماكنها داخل المكتبة، كما كان يقوم بجردها أيضاً.

مصادر ومراجع الفصل الثامن:

1- السيد السيد النشار. دراسات في المكتبات والمعلومات. – الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، 2002.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور. تاريخ أوربا في العصور الوسطي. - القاهرة: دار النهضة العربية،2009.

3- ستيبتشفيتش، ألكسندر. تاريخ الكتاب / ترجمة محمد الأرناؤوط. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1993. القسم الأول.

4- ستيبتشفيتش، ألكسندر. تاريخ الكتاب / ترجمة محمد الأرناؤوط. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1993. القسم الثاني.

5- عمران محمود سعيد. كتاب حضارة أوروبا في العصور الوسطى. - الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،1998.

6- شعبا ن عبد العزيز خليفة. كتب والمكتبات ت في العصور الوسطي: الشرق المسلم والشرق الأقصى. ـالقا هرة: الدار المصرية اللبنا نية، 1997م.

7- هيسيل، ألفرد. تاريخ المكتبات / نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة. - القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1996.

الفصل التاسع

تاريخ مكتبة الإسكندرية القديمة

نشأة وتأسيس مكتبة الإسكندرية القديمة:

ورد في بعض المصادر والمراجع التاريخية أن المكتبة الكبرى افتتحت في القرن الرابع أو القرن الثالث قبل الميلاد، عندما كان بطليموس الأول أو بطليموس الثاني يحكمان مصر، يقول أحد المصادر إن ديميتريوس أوف فاليرون، وهو طالب الفيلسوف الأثيني العظيم أرسطو، نظم مجموعة من اللفائف إلى ما أصبح المكتبة الكبرى. لا يمكن التحقق من التخطيط الدقيق للمكتبة الكبرى، حيث يعتقد بعض المؤرخين أنه بالإضافة إلى مستودعات التخزين، يحتوي مجمع المكتبة الكبرى على حديقة وقاعات للقراءة وعدة غرف للاجتماعات وعدد قليل من قاعات المحاضرات. وكان أبرزها مكتبةbibliotheca ، وهي قاعة مليئة بالأرفف لتخزين اللفائف، وكلها مصنوعة من ورق البردي، وتقول بعض التقديرات أنه تم تخزين ما يصل إلى 500000 وثيقة في المكتبة العظيمة في أوجها.

تأسست مكتبة الإسكندرية القديمة على يد ديمتريوس فالون، وهو سياسي أثيني سقط من السلطة وهرب إلى مصر، هناك، وجد ملجأً في البلاط الملكي للملك بطليموس الأول سوتر، الذي حكم مصر بين 323 و285 قبل الميلاد، ونظرًا لإعجابه بالمعرفة الواسعة والتعلم العميق ديميتريوس، كلفه بطليموس بمهمة إنشاء مكتبة. كانت مكتبة الإسكندرية القديمة جزءًا من مؤسسة للتعليم العالي تعرف باسم متحف الإسكندرية.

لقد كان المقصود من المكتبة أن تكون مصدرا للعلماء الذين قاموا بالبحث في المتحف. تم تقسيم الكتب في المكتبة إلى الموضوعات التالية: الخطابة، القانون، الملحمة، المأساة، الكوميديا، الشعر الغنائي، التاريخ، الطب، الرياضيات، العلوم الطبيعية، ومتنوعة، ويُعتقد أن المكتبة تضم ما بين 200000 و700000 كتاب، مقسمة بين فرعين بالمكتبة.

ولقد تم الحصول على كتاب للمكتبة من خلال عمليات الشراء في أثينا رودس، وهما السوقان الرئيسيان للكتاب في البحر المتوسط القديم من خلال النسخ؛ ومن خلال المصادرة. تم تسمية فئة واحدة من الكتب التي

تم الحصول عليها من السفن، كلما وصلت السفينة إلى ميناء الإسكندرية، كان المسؤولون الحكوميون على متنها بحثين عن الكتب، أحضروا الكتب التي وجدوها إلى المكتبة للتفتيش.

كانت كتب مكتبة الإسكندرية القديمة مكتوبة باللغتين: اليونانية والمصرية، وهي اللغة الأفروآسيوية المنقرضة الآن. ويُعتقد أن المجموعة الأدبية الكاملة لليونان القديمة كانت محفوظة في المكتبة، إلى جانب أعمال أرسطو، وسوفوكليس، ويوربيدس، ومن بين آخرين.

كانت الكتب المصرية عبارة عن كتب عن تقاليد وتاريخ مصر القديمة. استخدم الباحثون العاملون في المتحف السكندري المكتبة لإنشاء تصنيف لتاريخ مصر القديمة في 30 سلالة، والتي لا تزال تستخدم حتى اليوم عندما ندرس التاريخ القديم، وكذلك الترجمة الأولى للكتاب المقدس العبري، والمعروفة باسم السبعينية، حتى يومنا هذا، مازالت السبعينية نصًا مهمًا في دراسات الكتاب المقدس النقدية.

وتجدر الإشارة إلى أن بعد وفاة الإسكندر الأكبر المفاجئة في عام 323 قبل الميلاد، ساعدت فتوحات ألكسندر في دخول عصر جديد في التاريخ القديم المسمى الهيلينية، الهيلينية هي نتيجة للثقافة اليونانية المقدونية التي تمتزج مع مجتمعات شمال إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى والهند، يتم تعريفه بالتعبيرات الفنية النابضة بالحياة، والآفاق الفلسفية الموسعة، والبحث المستمر عن المعرفة الجديدة. تم تدمير مكتبة الإسكندرية القديمة في مناسبتين مختلفتين.

ويقع فرع المكتبة الأصلي في القصر الملكي في الإسكندرية، بالقرب من الميناء، عندما تدخل يوليوس قيصر في الحرب الأهلية بين كليوباترا بطليموس الثالث عشر، أشعل قيصر النار على السفن في الميناء، ويعتقد أن هذه النار امتدت إلى المكتبة ودمرت بالكامل. وبينما يقع الفرع الثاني للمكتبة داخل معبد مخصص للإله سيرابيس، في عام 391 م، وأعلن الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس أن المسيحية هي الديانة الشرعية الوحيدة لروما، وأمر بتدمير جميع المعابد الوثنية، تم تدمير معبد سيرابيس فى الإسكندرية بالكامل، ومعه الفرع الثاني للمكتبة.

مكتبة الإسكندرية الملكية، وهي جزء من متحف ومكتبة على غرار متحف ليسيوم في أثينا، أكبر مكتبة في العالم القديم، وتأسست في الأصل عام 283 قبل الميلاد، كمعبد للفنانين، شمل المتحف، مناطق المحاضرات، والحدائق، وحديقة الحيوانات، والمزارات الدينية. أجرى الباحثون المقيمون الذين يصل عددهم إلى 100 بحثًا وكذلك وثائق مترجمة ونسخة، خاصة أعمال الفلسفة والشعر والدراما اليونانية الكلاسيكية، تشير التقديرات إلى أن المكتبة قد خُزِّنت ما بين 400000 إلى 700000 مخطوطة من آشور واليونان وبلاد فارس ومصر والهند والعديد من الدول الأخرى.

كانت مكتبة الإسكندرية الكبرى مستودعًا لكثير من النصوص القديمة، على الرغم من أن مدينة الإسكندرية قد نجت حتى يومنا هذا، إلا أن المكتبة الكبرى لم تنج، وكانت "المكتبة العظيمة" عبارة عن مجموعة من اللفائف المخزنة في مجموعة من المباني في المدينة التي أطلق عليها اسم الإسكندر الأكبر وقام بإنشائها. التناقضات التاريخية تعرقل جمع مجموعة مشتركة من الحقائق حول محتويات المكتبة الكبرى، والطريقة التي اكتسب بها المكتبيين تلك المحتويات، وحتى تاريخ وطريقة تدمير المكتبة الكبرى.

مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة:

عندما عرف تجار الكتب أن هناك سوقاً للكتب في الإسكندرية أسرعوا إلى مصر لبيع أندر الكتب وأثمن الوثائق للبطالمة. كما كانت المكتبات الشخصية مجالاً خصباً لتغذية مكتبة الإسكندرية بمجموعات كبيرة كما هو الحال بالنسبة لمكتبة أرسطو ومكتبة تيوفراستوس.

ومن طرق الحصول على الكتب، تفتيش حمولات السفن التي كانت ترسو في ميناء الإسكندرية ومصادرة أية كتب توجد على متنها وتستنسخ منها نسخ فقط تعطى لأصحابها ويحتفظ بالأصول في المكتبة مع أية تعويضات تطلب إذا كانت هناك أية مشاكل في هذا الإجراء.

ومن خلال هذه الطرق تجمع عدد ضخم من الكتب شمل الإنتاج الفكري اليوناني المكتوب كله، وربما تكون المكتبة الرئيسية قد ضاقت بما تجمع فيها من كتب، مما استدعى إنشاء مكتبة فرعية لها في معبد السيرابيوم.

وليست هناك أرقام محددة عن حجم المجموعات أو عدد الكتب التي كانت موجودة في المكتبتين. وقد أعطى الكتاب الإغريق أرقاماً مختلفة عن عدد الكتب (اللفافات) التي كانت مقتناه في المكتبة، ويجب أن نعرف أن اللفافة الواحدة قد تنطوي على عدد من الأعمال كما أن الكتاب الواحد قد يقع في عدد من اللفافات.

وتشير الأرقام إلى أن المكتبة الرئيسية بالمتحف كانت تضم 400 ألف لفافة غير مصنفة و90 ألف لفافة و800 مرتبة ومصنفة. وهذه الأرقام تسجل ما كانت عليه المجموعات في زمن كاليماخوس الذي توفي في سنة ما بين 235 و240 ق.م. وتؤكد الوثائق أن أقصى رقم وصلت إليه المجموعة هو 700 ألف مجلد حتى القرن الأول قبل الميلاد، أي قبل الحريق الجزئي الذي عساه يكون قد وقع مع ضرب "يوليوس قيصر" للإسكندرية. ومن المؤسف أنه ليست لدينا أرقام مؤكدة بعد ذلك التاريخ وبعد تعويض كليوباترا كما قيل بمكتبة برجاموم بعد سقوطها في يد أنطونيو عام 41 ق.م والتي قدرت بنحو 200 ألف لفافة، وكانت فخراً للملوك الاتاليين، كذلك فمن الصعب معرفة الاتجاهات الموضوعية لمقتنيات المكتبة حيث لم يصلنا حتى الفهرس الذي وضعه كاليماخوس للمجموعات.

أمناء المكتبة في مكتبة الإسكندرية القديمة:

- **الفاليري(284 ق.م).**
- **وزينودوتوس الأفيسي(284- 260 ق.م).**
- **وكاليماخوس البرقاوي(260- 240 ق.م).**
- **وأبوللونيوس الرودسي(240- 235 ق.م).**
- **وإراتوستثيس البرقاوي(235- 195 ق.م).**
- **وأريستوفانيس البيزنطي(195-180 ق.م).**
- **وأبوللونيوس إيدوجرافوس(180-160 ق.م).**
- **وأريستارخوس الساموتراقي(160-145 ق.م).**

تدمير مكتبة الإسكندرية:

تضع العديد من المصادر اللوم بشكل مباشر على أكتاف يوليوس قيصر، كما تقول القصة، كان قيصر يهاجم المدينة في خلاف مع أرشيفه بومبي، في محاولة لتجنب قطعها من قبل الأسطول المصري، أشعل قيصر النار على السفن في الميناء وكانت الجهود ناجحة للغاية لدرجة أنها لم تحرق فقط السفن ولكن أيضا جزء كبير من المدينة، بما في ذلك المكتبة الكبرى. في حرب ألكساندرين، ذكر أحد مساعدي قيصر، هيرتيوس، قيام قيصر بإشعال النار في السفن المصرية لكنه يقول إن المدينة نفسها لن تحترق لأنها مصنوعة من الحجر.

روى الكتاب اللاحقون قصة قيصر في رواياتهم عن التاريخ الروماني الملكية، أو المتحف كما كان يُطلق عليها حيث كانت تضم أصول العديد من أمهات الكتب في العالم، لم تكن المكتبة الوحيدة الموجودة في مدينة الإسكندرية، بل كانت هناك مكتبتان آخرتان على الأقل: مكتبة معبد السيرابيوم ومكتبة معبد السيزاريون. واستمرار الحياة الفكرية والعلمية في الإسكندرية بعد تدمير المكتبة الملكية، وازدهار المدينة كمركز العلوم والآداب في العالم ما بين القرن الأول الميلادي والقرن السادس الميلادي، قد اعتمدا على وجود هاتين المكتبتين وما احتوتاه من كتب ومراجع.

ومن الموثق تاريخيا أن المكتبة الملكية كانت مكتبة خاصة بالأسرة المالكة وبالعلماء والباحثين، بينما كانت مكتبا السيرابيوم والسيزاريون مكتبتنيّن عامتيّن مفتوحتيّن أمام عامة الشعب. ويعود الفضل في إنشاء المكتبة الملكية لبطليموس الثاني فيلادلفيوس بينما أسس ابنه بطليموس الثالث معبد السيرابيوم والمكتبة الملحقة به. ولاحقاً عُرفت مكتبة السيرابيوم باسم المكتبة الأبنة .Daughter Library

وبينما كان موقع المكتبة الملكية في حي بروخيون Bruchion الملكي بالقرب من القصور والحدائق الملكية، فقد كانت مكتبة السيرابيوم ومعبد السيرابيوم الذي للإله سيرابيس في حي راكوتيس Rhakotis الشعبي. وبينما حوت المكتبة الملكية النسخ الأصلية لمعظم كتب العالم، فقد كان من المعتاد وضع نسخ من تلك الأصول في مكتبة السيرابيوم.

وبعد إحراق المكتبة الملكية صارت مكتبة معبد السيرابيوم، الأكبر حجما من مكتبة معبد السيزاريون، المكتبة الرئيسية لمدينة الإسكندرية. وأول إشارة تاريخية لتلك المكتبة كانت في كتاب The Apology للعلامة المسيحي ترتليانTertullian ، حيث يذكر أن مكتبة البطالمة محفوظة في مكتبة السيرابيوم، وأن من ضمن ما تحتويه من كتب نسخة للعهد القديم يذهب يهود الإسكندرية لسماعها تُقرأ في المكتبة.

وإذا اعتبرنا أن مكتبة البطالمة هي المكتبة الملكية، فيمكن القول بأن ما تم إنقاذه من كتب أصلية من مكتبة الإسكندرية الملكية قد تم نقله لمكتبة السيرابيوم لتوضع بجانب النسخ التي كانت موجودة بالفعل في تلك المكتبة الابنة. وهذا التحليل مدعم بما هو مذكور في رسالة ارستياس Letter of Aristeas (كاتب سكندري يهودي) والتي يرجع تاريخ كتابتها لنهاية القرن الأول الميلادي، من أن مخطوطات المكتبة الملكية قد نُقلت لمكتبة السيرابيوم. وفي عام 379 م. يعود القديس يوحنا ذهبي الفم لذكر مكتبة السيرابيوم في كلامه الموجه للأنطاكيين من أن مكتبة السيرابيوم تحوي نسخة العهد القديم التي أمر بطليموس الثاني فيلادلفيوس بترجمتها من العبرية لليونانية.

مصادر ومراجع الفصل التاسع:

1-السيد عبد العزيز سالم. تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي. -الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،1982.

2-السيد السيد النشار. دراسات في المكتبات والمعلومات. - مصر: جامعة الإسكندرية، 2002.

3- بابلو دي جيفنوا. مكتبة الإسكندرية. ترجمة علي إبراهيم منوفي. - ط1. - القاهرة: المركز القومي للترجمة،2014.

4-سلمى العشماوي. مكتبة الإسكندرية. - ط.1. – الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 2004.

5-شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات في العصور القديمة. - ط1 -القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997.

6-شعبان عبد العزيز خليفة. مكتبة الإسكندرية الحريق والأحياء. - سلسلة كتاب الجمهورية لشهر إبريل 2002.

ثانياً: مواقع الإنترنت:

https://www.bibalex.org/ar/default

/https://mqaall.com/search-bibliotheca-alexandrina

تدريبات

تدريبات:

اقرأ العبارات الآتية جيدًا ثم اختر علامة (T) إذا كانت العبارة صحيحة. وعلامة (F) إذا كانت العبارة خاطئة.

1	1-تختلف " مجالس الإملاء " اختلافا واضحاً عما عُرف بـــ " مجالس الرواية ".	
	(F)	(T)
2	2-استعمل بعض العلماء حرفي اللام والألف" لا "وحرف الجر" إلى" ومعناه أن الكلام الموجود بينهما لا يَصِحُ من هنا إلى هنا.	
	(F)	(T)
3	3-مجالس الرواية كانت تُعد مسبقاً، ومن ثم ركزت على موضوع بعينه لم تحد عنه خلال المجلس الواحد في معظم الأحيان.	
	(F)	(T)
4	4-ظهر الإملاء في الحضارة العربية منذ بداية العصر العباسي الثاني.	
	(F)	(T)
5	5-ظاهرة الأمالى عند علماء المسلمين وطلاب العلم خلال الحضارة الإسلامية قامت على أربعة عناصر.	
	(F)	(T)
6	6-يقوم بعض تلاميذ الشيخ بأخذ إحدى نُسخ الإملاء حتى يعرضوها علي الشيخ ويُجمع على تلك القراءة وتسمي المحرامة.	
	(F)	(T)
7	7-تُجمع النُسخ وتعرض علي الشيخ وتقرأ عليه ليتقرر بذلك الكتاب ولا تكون بعدها زيادة وتسمي هذه العرضة بالفذلكة.	
	(F)	(T)
8	8-كانت مجالس الإملاء تُعقد في البُرحات الكبيرة وكان المُستملى يُبلغ الحاضرين كلام الشيخ أو الأستاذ.	
	(F)	(T)

9	9-كان جميع العلماء يُعينون " مساعداً " له يهتم بأمور ضبط مجلس الإملاء وتنظيمه وتهيئته وترتيب التلاميذ.
	(F) (T)
10	10-تعتبر أمالي ابن سمعون البغدادي (300 -387 هـ) من فئات أمالي الشيعة.
	(F) (T)
11	11 -عندما ال الأمر إلى خلفاء بنى أمية بدأ الاهتمام بتدوين القصص والأخبار والتاريخ على يد معاوية بن أبى سفيان `
	(F) (T)
12	12-دخل البردي كمادة جديدة إلى العرب والمسلمين. وذلك بعد فتح مصر علي يد عمرو بن العاص.
	(F) (T)
13	13-ظهر الورق كمادة جديدة للكتابة والتدوين عند العرب والمسلمين بعد فتح سمرقند، عن طريق الأسري الصينيين.
	(F) (T)
14	14-كانت الأقلام في بداياتها تصنع من سعف النخل أو من الغاب أو من القصب.
	(F) (T)
15	15-كان العرب يصنعون المداد من العفص والزاج والصمغ العربي والماء وبعض الملح والعسل
	(F) (T)
16	16-التزييف المادي للمخطوط مثل التلاعب في الورق والزخرفة والتذهيب ... الخ.
	(F) (T)
17	17-من أسباب التزوير في الكتب العربية في بدايتها: الخطأ أو الجهل من النساخ أو الوراق.
	(F) (T)
18	18-لا يُقصد بكلمة إصلاح وتصحيح الكتب " التحرير " لأن تحرير الكتب يعني إصلاح الكتب وتجويدها.
	(F) (T)
19	19-كان العلماء يفضلون الكشط عن المحو، ويعني إزالة الخطأ ومحو أثره باستعمال أي مادة كالقماش أو الماء أو

	خلافه؟	
	(F)	(T)
20	20-لم يعتبر علماء المسلمين إصلاح الكتب والمؤلفات من دروب التأليف.	
	(F)	(T)

قائمة المحتويات:

الفصل الأول: تاريخ إملاء وتدوين الكتاب في الحضارة العربية.

الفصل الثاني: تدوين وتأليف الكتاب في العصور الوسطي.

الفصل الثالث: إصلاح وتصحيح الكتب في الحضارة العربية.

الفصل الرابع: الإعارة الشخصية للكتب في الحضارة العربية.

الفصل الخامس: بيع وتجارة الكتب في الحضارة العربية.

الفصل السادس: انتحال الكتب في العصور الوسطي.

الفصل السابع: تاريخ المكتبات الوطنية.

الفصل الثامن: تاريخ المكتبات في أوربا في العصور الوسطى.

الفصل التاسع: تاريخ مكتبة الإسكندرية القديمة.